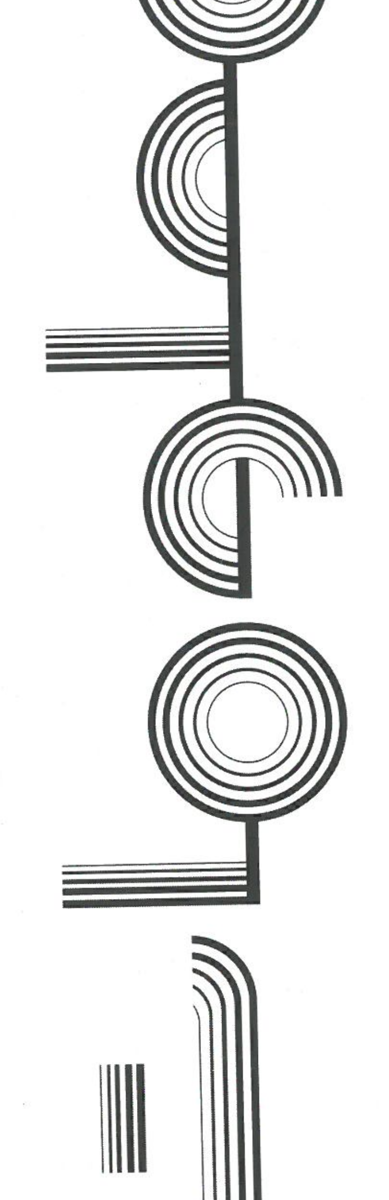




شهادات في المقاومة

□ الأحداث والوثائق

- □ من العفوية .. إلى التنظيم
- □ ذاكرة الاجتياح والحصار
- □ كمائن «الحرب الكبرى»
- □ الشينوك .. ويوم الميركافا
- □ تعبئة شعبية وعمليات
- □ نضال الخنادق والمعتقلات
- □ المواجهات الميدانية
- □ ذاكرة «سلاح الكاميرا»

□ الدراسات

- لبنان والمقاومة .... سعود المولى
- قراءة في تجربة المقاومة الإسلامية .... ميشال إده
- الخوف من المقاومة يتحول إلى خوف كاذب عليها .... نصري الصايغ



يصدرها المركز العربي للمعلومات ش.م.م

والخمسون

حزيران / يونيو ٢٠٠٨

مجلة تعنى بقضية كل شهر
يصدرها «المركز العربي للمعلومات» بالتعاون مع جريدة «السفير»

العدد الخامس والخمسون حزيران / يونيو ٢٠٠٨

إعداد وإشراف:
بادية حيدر

إخراج وتنفيذ:
أحمد رياض سلمان

Maaloumat

A Monthly Periodical Journal
Published by The Arab Documentation Center & Assafir Newspaper

No. 55 Jun 2008

المدير المسؤول:
أحمد طلال سلمان

المركز العربي للمعلومات

بيروت ـ الحمراء ـ نزلة السارولا
هاتف: ٠١/٣٥٠٠٨٠ ـ ٠١/٧٤٣٦٠١
ص.ب. ٨٢٨ / ١٣٥ بيروت ـ لبنان

e.mail: maaloumat@arabdocuments.info

لشراء النسخة الالكترونية:
www.arabicebook.com

الصور الموجودة في هذا العدد
هي بالتعاون مع جريدة «السفير»

Issn: 1993-8084

المحتويات

الترتيب الزمني للوثائق والأحداث

الدراسات

تقديم

بيتاً بيتاً، تكتب بنت جبيل ديوان النصر الأول (*)

غمست بنت جبيل ريشتها في دمها وباشرت كتابة الفصل الجديد من ديوان جبل عامل. رصفت «بيوتها» بيتاً بيتاً. وغادر «الشباب» قصائدهم ليكملوا الملحمة.

ليست بيوتاً من حجر هذه التي تتناثر متكاثفة من حول الساحة، ثم تتدرج وتتنافر لتتكامل مقدمة شيئاً من الشعر المنثور. كل ما في بنت جبيل يقرأ منغماً ومموسقاً كالآيات البيّنات.

القصائد مشطرة الآن. أفلتت منها الرموز وقصدت الى الدبابات المتسللة لتدمرها، فتكتب جديدها بعويل جنود العدو.

كيف يمكن احتلال الشعر؟ كيف يمكن إسكات المعنى المتدفق من الرمز الذي يختزل تاريخاً من الثورات والانتفاضات والمواجهات الممتدة جيلاً اثر جيل منذ أن استقرت عاملة في هذا الجبل ورابطت فيه لتحميه باصطناع البطولة التي تدرّ القصائد الجديدة؟

من أين ينبع هؤلاء الفتية الذين يسرون في الليل خفافاً فيفاجئون العدو الآتي لكي يفاجئهم، ويقتحمون في النهار قلب النار فإذا الدبابات تنحطم، وإذا الطائرات تضيع عن أهدافها، ولا تستطيع استنقاذ جنود اسرائيل الذين جاؤوا لمحاصرة المقاومة فإذا هم محاصرون يعجزون عن التقدم ويعجزون عن التراجع فيعولون ويطلبون الإسناد المدفعي والنجدات لكي ينسحبوا قبل أن يبادوا؟!

والفتية الذين هبطوا من القصيدة، أو صعدوا من قلب ديوان أرضهم يتقدمون الى الدبابات فيدمرونها، مواجهة، ويسمعون بكاء من فيها من جنود الجيش الذي لا يُهزم، فيكبرون، وينصرفون الى ما بعدها منتشين بلا زهو، عامري الصدور بالايمان بحقهم في أرضهم ولا فخار.

إنهم يقاتلون بتاريخ آبائهم وأجدادهم، الذين شرّفهم الناس بإطلاق اسمهم على جبلهم. ويقاتلون لكي يضيفوا إليه سطوراً فيفاخر بهم أبناؤهم والأحفاد. ليست

(*) افتتاحية «السفير» ٢٨/٧/٢٠٠٦، أثناء حرب تموز.

هذه هي مواجهتهم الأولى لعدو حقهم في أرضهم وفي غدهم، ولن يكون الأخير. هو متفوق عليهم عدة وعتاداً، تماماً مثل الأعداء الذين جاؤوا غزاة قبله. ولكنهم ها هنا مرابطون. لقد أعطى الناس اسمهم للجبل تيمناً بجهادهم في حماية هذه الأرض الممتدة من حرمون الى الشاطئ عند صور وما بعدها. لقد قاتلوا الصليبيين وسائر الغزاة، مع أهلهم جميعاً. وقاتلوا الولاة الظالمين. قاتلوا أحمد باشا الجزار. وقاتلوا الفرنسيين. على أن أعظم جهادهم كان ضد الفتنة ولقد انتصروا فكان ديواناً نبيلاً.

إن هذه الأرض فوارة بالشعر. الشعراء هنا أكثر عدداً من الغارات. من شبعا في السفح الأعلى لحرمون، مروراً بكفرشوبا وكفرحمام والهبارية والقوزح، وصولاً الى الخيام ومرجعيون وكفركلا وعديسة والطيبة، والتفاتة الى ميس الجبل وإبل السقي وعين إبل ورميش، وعيترون ويارون وعيناتا ومارون الراس..

ما الشعر اذا لم تكن قصيدته الفاتحة مارون الراس؟

من أرضهم، حيث ينبجس الشعر، يخرج هؤلاء الفتية «نوراً على نور»، فيشربون الشعر زلالاً ثم يدورون يروونه ويضيفون إليه، ثم يتبارون به. يرضعونه أطفالهم وهم يحدون لهم ليفيقوا وينتبهوا الى أن عدو حياتهم أمامهم وليس من خيار غير أن يقاتلوه لتكون لهم الحياة.

أرضهم التي غدت حدوداً مع فلسطين التي في القلب. من يستطيع أن ينتزع من صدورهم فلسطين وتبقى قلوبهم خافقة بحب الحياة؟ كيف تبقى لهم أرضهم، كيف تبقى لهم حياتهم والذين احتلوا فلسطين يواجهونهم بالمدافع والطائرات يحاولون إجبارهم على خفض رؤوسهم والرحيل واقتلاع أنفسهم من أرضهم بينما الدبابات تقصف على الشعر في صدورهم والذاكرة؟

تدمر الطائرات البيوت فتتشظى شطوراً لكنها لا تسقط. الشعر لا يموت. الشعر ينتصب واقفاً بالرجال الذين رضعوه مع الحليب فتصلّب عودهم واستعجلوا زمن الرجولة بالاستشهاد لتبقى الأرض ديوانهم القاني.

تقصف الدبابات والصواريخ والمدفعية المباني الرموز. تتهدم المباني وتتدافع الرموز مقاتلين فإذا الدبابات ركام، وإذا جنود «لواء جولاني» الذين كانوا يرعبون

الجيوش العربية يتساقطون قتلى ويولول قادتهم مذعورين ويطالبون بسحبهم، ويتفرج عليهم العالم وهم يتراكضون مهزومين تحت غطاء كثيف من النيران الساترة الكاشفة للهزيمة.

***

في بنت جبيل، حيث يتدفق الدم شعراً لا وقت لأن يتوقف المجاهدون ليسمعوا ما جرى في روما. لقد قرأوا الرسالة في زيارة الإنذار لوزيرة الخارجية الاميركية. وهم يعرفون أن الحرب التي فرضت عليهم، في بيوتهم، أميركية أساساً وأن اسرائيل تخوضها بالنيابة، وربما كارهة. هم يلمحون العلم الأميركي ونجمة اسرائيل واحدة من نجومه الكثيرة. هم تحققوا الآن بالدليل الحسي الملموس أن اسرائيل تقاتل حرباً تعرف أنها لن تنتصر فيها، برغم قوتها الهائلة. هم يقاتلون لبيوتهم، لأطفالهم، لحاضرهم، لمستقبلهم، واسرائيل تقاتل لغيرها. هذا جزء مهم من ديوان النصر.

أما ما حدث في عوكر فلم يهتم به كثيراً هؤلاء الذين ينسجون من حطام الدبابات قصائدهم الجديدة في بنت جبيل التي تعطينا الآن مع جاراتها اللواتي سبقنها أو سيلحقن بها في غزل المقاومة شعراً الملحمة الأبهى للنصر الأول في هذه الحرب المفتوحة على الإنسان العربي في كل أرضه، والذي لا يمكن أن يحتكر المواطن اللبناني في الجنوب وسائر المناطق مجده لوحده ولكنه ينتظر أن يطل إخوانه لكي يكتمل الديوان.

طلال سلمان

الترتيب الزمني للوثائق والأحداث

الاعتداءات الإسرائيلية والمقاومة



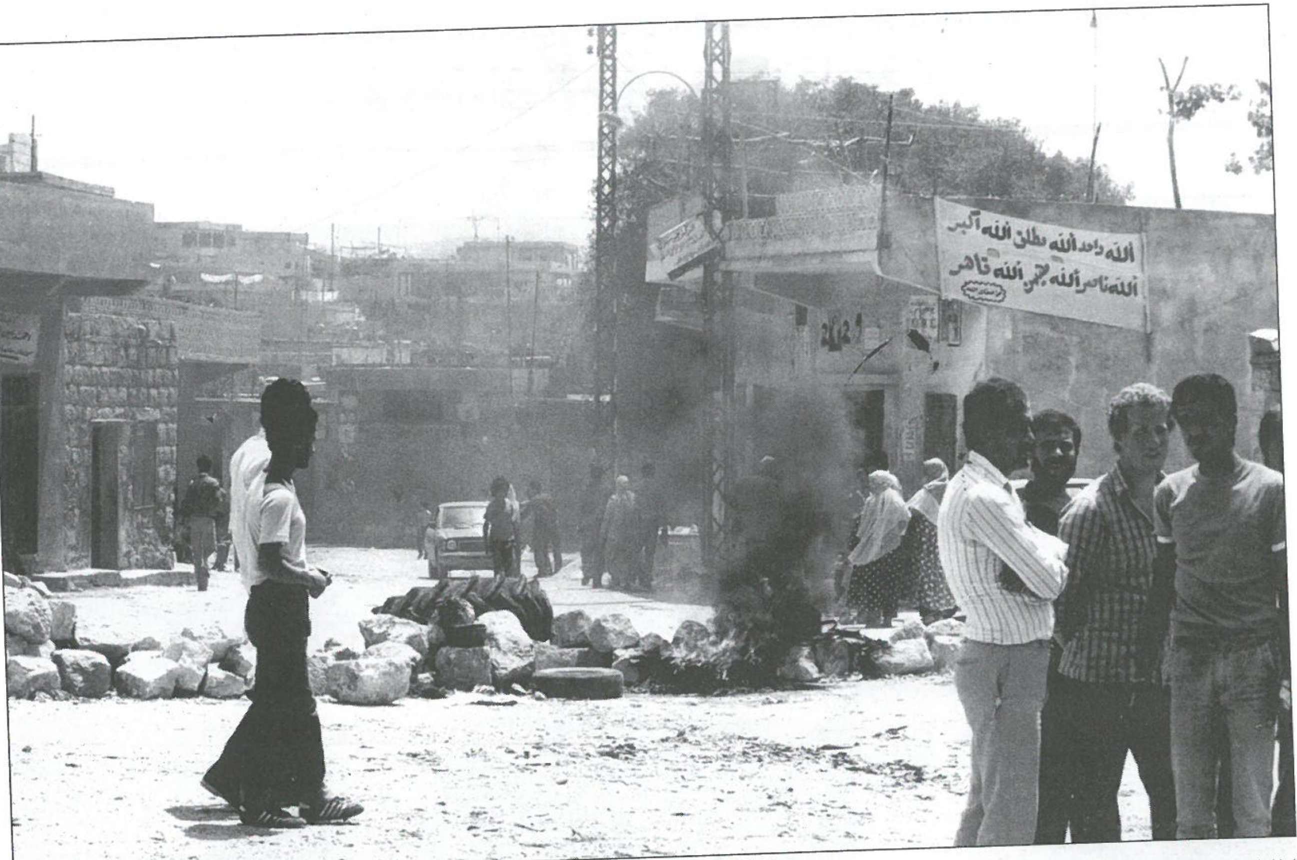
طليعة قافلة دبابات إسرائيلية دخلت البقاع (٢٩/٧/١٩٨٢)

يقع جنوب لبنان في منطقة هي امتداد جغرافي للجليل، وكان يشكّل مع فلسطين منطقة ثقافية واقتصادية واحدة. من هنا سبب التأثر البالغ لسكانه بمأساة العام ١٩٤٨. لجأ عشرات الآلاف من الفلسطينيين آنذاك إلى جنوب لبنان، في حين أن إسرائيل ضمّت ٧ قرى لبنانية إلى الأراضي المغتصبة من فلسطين. بين ١٩٤٩ و١٩٦٤، سجّل لبنان ١٤٠ اعتداء إسرائيلياً بين ١٩٦٨ و١٩٧٤، ٣٠٠٠ اعتداء. بداية الحرب الأهلية، العام ١٩٧٥، سرّعت أعمال التدخل الإسرائيلية في شؤون لبنان، ولاسيما من خلال دعم عسكري لليمين المتطرّف المسيحي. دعم شيمون بيريز، وزير الدفاع الإسرائيلي في تلك الحقبة، حوالى ٤٠٠٠ ضابط وجندي منشقين عن الجيش (اللبناني)، اتحدوا مع ٣٠٠ ميليشياوي كتائبي وأعضاء من حراس الأرز كي يشكلوا «جيش لبنان الحر»، الميليشيا العميلة السابقة للحالية، «جيش لبنان الجنوبي».

مع حدوث عملية «الليطاني» ١٩٧٨، اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان الجنوبي، واحتل منطقة من ٧٠٠ كلم٢. النتيجة: ١١٨٦ قتيلاً مدنياً، ٢٨٥ ألف مهجر، ٨٢ قرية أصيبت بأضرار ثقيلة و٦ قرى دمرت تماماً. بعد مضي ٤ سنوات، خلال صيف ١٩٨٢، سببت عملية «السلام في الجليل» وحصار بيروت سقوط حوالى ٢٠ ألف قتيل مدني لبناني وفلسطيني، و٥٠٠ ألف مهجر.

ممارسات الجيش الإسرائيلي تشبه تلك التي ترتكبها جيوش الاحتلال كلها، ومنها تحويل مجرى مياه نهري الوزاني والحاصباني إلى داخل فلسطين المحتلة، إضافة للاعتقالات التعسفية، وفتح معسكرات للاعتقال، وعقوبات جماعية وطرد عائلات...

بعد الاجتياح الإسرائيلي العام ١٩٨٢، نظمت المقاومة بسرعة جداً. شكلت منظمات اليسار («الحزب الشيوعي اللبناني»، و«منظمة العمل الشيوعي اللبناني»، و«حزب العمل الاشتراكي العربي»)، في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، «**جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية**»، تبعتها حركة «أمل» بدءاً من



إطارات مشتعلة وحجارة تسد مدخل بلدة معركة بوجه الجيش الإسرائيلي (٣/٥/١٩٨٤).

منتصف ١٩٨٣. لم يكن لدى منطقة النفوذ الإسلامي آنذاك بنية تنظيمية موحدة.

ولدت مختلف المجموعات التي شكلت لاحقاً **«حزب الله»** في الأماكن «الريفية ـ المدينية» التي تكون الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت وجزءاً من ضاحيتها، الشرقية. (حي النبعة دمّره الكتائب العام ١٩٧٦). مدوا في ما بعد نفوذهم باتجاه القرى التي يتحدّر منها أولئك السكان الذين يقيمون في المناطق الواقعة بعيداً من المركز (بيروت) ومهملة من قبل الدولة (بعلبك ولبنان الجنوبي)، وكانت إلى ذلك الحين معاقل للأحزاب الداعية للوحدة العربية وأحزاب اليسار المتحالفة مع المقاومة الفلسطينية. هذا الوعي كان يتناقض مع الموقف المتحزب للشرعية من قبل السكان المدنيين الشيعة في المدن الساحلية (صور، صيدا وبيروت)، الذين كانوا يجدون أنفسهم أكثر في مشروع «حركة أمل»، التي يتزعمها الرئيس نبيه بري، القائم على الإصلاح وسيادة الدولة على كامل الأراضي الوطنية. **كان للحماسة التي أحدثتها الثورة الإيرانية في ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩، والاجتياح الإسرائيلي في ١٩٨٢، والاحتلال مناسبة لبَنْينة النفوذ الإسلامي في المقاومة.**

رأى اليسار دوره السياسي والعسكري ينحسر. إن الانعطافة الطائفية التي اتخذتها الحرب الأهلية، والاستراتيجيات الإقليمية والدولية، وانهيار الاتحاد السوفياتي، وخلافاته الداخلية حول الحكم في نتائج الحرب الأهلية والاستراتيجية التي ينبغي أن تتبع بعد الحرب، هذه الأمور أضعفت اليسار كثيراً. أما بالنسبة إلى «حركة أمل»، فقد أصبحت بعد الانسحاب الإسرائيلي الأول في نيسان/أبريل ١٩٨٥ أحد أهم التنظيمات على الساحة اللبنانية.

بدءاً من النصف الثاني من الثمانينيات، أصبح «حزب الله» القوة الأساسية في المقاومة، وحاول تجسيد النضال الوطني..

في المجتمع اللبناني، تشكل المقاومة موضوع إجماع بين مجمل القوى السياسية، الطائفية والعلمانية، يدعم ذلك تغير التوجه السياسي لـ«حزب الله». لقد سرّع هذا الأخير تطور مؤسساته المدنية، واندمج في الحياة السياسية والاجتماعية. **اختفى من برنامجه السياسي شعار «دولة إسلامية»، وأهدافه الداخلية تتطابق برأي عضو مكتبه السياسي، علي فياض، مع أهداف أحزاب اليسار والأحزاب العلمانية.**

(«الكفاح العربي»، ٨/ ١١/ ١٩٩٩،
عن «لوموند ديبلوماتيك»)

عوامل نهضة المقاومة في جنوب لبنان



مقاتلون لبنانيون يتحلقون حول دبابة إسرائيلية غنموها في معركة بيادر العدس خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢.

جنوب لبنان، الذي سقط كثمرة ناضجة في يد الإسرائيليين في حزيران ١٩٨٢، سرعان ما تحول إلى مستنقع بالنسبة الى أقوى جيوش الشرق الأوسط. معدل عمليات المقاومة تكثف: أكثر من هجومين في اليوم منذ أشهر عدة. والتعبئة الشعبية لم تضعف برغم استخدام المحتل لترسانة ضخمة من القمع: اعتقالات عشوائية طويلة، عقوبات جماعية، تنكيل، إقفال متكرر للمعبر الوحيد إلى المنطقة. بل على العكس فقد غذّى القمع هذه التعبئة. وكيف يمكن إيجاد تفسير آخر لكون المقاومة المسلحة التي انطلقت في جو من اللامبالاة العامة، إذا لم نقل في جو معاد، هي اليوم محط تضامن متصاعد وفعال؟

سرعان ما تحوّل الاحتلال، الذي لقي في البداية تأييداً من معظم السكان الذين كانوا يرون فيه نهاية لمرحلة من الفوضى المسلحة والعنف اليومي، إلى حالة لا تطاق. وبعد بضعة أشهر من انطلاقة الكفاح المسلح، قامت تظاهرات شعبية في عدد من قرى المنطقة. والمناطق التي تتعرض لحصار قاس منتظم لم تعد تحصى: الحلوسية، دير قانون النهر، معركة، العباسية، الخ. ونقطة الذروة في هذا التطور كانت في آذار ١٩٨٣، حيث **«انتفاضة الجنوب»** مثلما دعتها الصحافة اللبنانية وجزء من الطبقة السياسية، عندما اعتصمت قرية جبشيت بكاملها للمطالبة بإطلاق إمامها الشيخ راغب حرب (اغتيل في بداية هذا العام). ولقيت جبشيت الدعم في المناطق المجاورة وعبر حركة تضامن في الأجزاء الأخرى من البلاد. لكن التعبئة المناهضة للإسرائيليين لم تتوقف هناك: **ففي الذكرى السنوية الأولى للاحتلال، في حزيران ١٩٨٣، شل إضراب عام مجمل جنوب لبنان، وهو إضراب وجه أيضاً ضد إبرام**

اتفاق ١٧ أيار الذي أجهض لاحقاً.

وخلال شهر آب وحده، تم تسجيل ٧٤ عملية مسلحة ضد الجيش الإسرائيلي أو ضد أتباعه المحليين. وقد تجاوز مجموع العمليات التي قامت بها «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» منذ عامين، الألف بكثير. وتختلف الأرقام بين مصدر وآخر.

وهذا الاختلاف في الأرقام مرده إلى أساليب وشروط عمل جبهة المقاومة، وغالباً ما لا يتم الإعلان عن هجمات بسبب صعوبة الاتصالات بين قيادة الجبهة، الموجودة وفق كل الدلائل في بيروت، وبين الوحدات المقاتلة. لكن هناك سبباً آخر ربما، يتعلق بطبيعة المنظمة السرية نفسها التي هي توليفة من المجموعات الصغيرة المستقلة والمنفصلة تماماً أكثر منها حركة أحادية.

وهذه الهيكلية، التي أمكن ملاحظتها منذ الأشهر الأولى، تفسر عدم قدرة الإسرائيليين على تدميرها برغم الحملات التي تشن في أعقاب كل هجوم، وبرغم اعتقال عدد من الأنصار. بينما لم يؤسر أو يقتل سوى عدد قليل من المقاومين خلال الاشتباكات. وفي العموم، فإن خسائر الجبهة في عامين لا تتعدى الثلاثين.

وتطور «جبهة المقاومة الوطنية» لا يقاس فقط بالكم. ففي الواقع، ومع كون الكمائن وعبوات الشوارع هي العمليات الأكثر تنفيذاً، فإن وحدات الجبهة تستطيع الآن القيام بهجمات أكثر إعداداً، مثل عملية آذار الماضي في مرفأ صيدا: فبعد صب نيران أسلحتهم على إحدى الدوريات، انكفأ المقاتلون، ثم فجروا لغماً لدى مرور دورية أخرى جاءت للمساندة، وفي مرة ثالثة، بعد أقل من نصف ساعة، وبينما الجنود الإسرائيليون يجوبون الأزقة المحيطة بالمكان، عاد المقاومون إلى الظهور ليهاجموا من جديد الآليات الإسرائيلية. **ومثل هذه الجرأة دليل على الثقة التي يتمتع بها مقاتلو المقاومة اللبنانية، وهي تعكس، على وجه الخصوص، سهولة احتضانهم من قبل السكان.**

وامتداد المقاومة المسلحة إلى مناطق لم تكن تطالها سوى نادراً في البداية دليل آخر على تطورها. ففي حين كانت الهجمات محدودة بالطريق الساحلي وبمنطقة صور، ثم في صيدا منذ الخريف الماضي - حيث اضطرت كثافتها الإسرائيليين إلى استبدال وحداتهم من المجندين بأخرى من لواء غولاني المظلي بدون كبير نجاح - فإنها تضاعفت في الشهرين الأخيرين في مناطق الداخل، لا بل في المناطق التي تشكل جزءاً من الشريط الحدودي لسعد حداد قبل ١٩٨٢ أي في إقليمي مرجعيون وبنت جبيل.

إن القمع ليس مرتبطاً سوى جزئياً بتكثيف المقاومة المسلحة. **فمعتقل أنصار**، حجر الزاوية في نظام القمع الذي يمارسه المحتل، لم ينتظر انطلاقة جبهة المقاومة لكي يمتلئ بالمعتقلين اللبنانيين. ووظيفة المعتقل كانت «الإمساك» بالجنوب، وبقاءه سيفاً مسلطاً على رأس الجنوبيين لحملهم على الخضوع للأمن الإسرائيلي. وقد عرف هذا الأسلوب بعض النجاح، خصوصاً في ما يتعلق بتجنيد بعض المعتقلين الذين كان أبرزهم المدعو «أبو عريضة» في صيدا الذي أمضى عشرة أشهر في الاعتقال. **لكن هذه الطريقة فقدت فعاليتها تدريجياً بعد بدء سيطرة المعتقلين على مجريات حياتهم داخل المعتقل، وتنميتهم لروح المقاومة، لينتهوا بجعله منيعاً على الحراس أنفسهم.**

وفي الواقع، فإن الإسرائيليين اشتكوا مراراً، بعد عملية تبادل الأسرى بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، من أن عدداً من المطلق سراحهم انخرطوا في العمل السري والمقاومة المسلحة.

والأسلوب القمعي للمحتل لا يقتصر على الاعتقال العشوائي وغير القانوني، فقد أصبح مجمل جنوب لبنان معتقلاً منذ انسحاب القوات الإسرائيلية من الشوف في أيلول ١٩٨٣.

والمعين الأول للجيش الإسرائيلي هو «جيش لبنان الجنوبي»، وريث «جيش لبنان الحر» الذي كان يقوده سعد حداد، بعد انتقال قيادته إلى الجنرال أنطوان لحد، ضابط الاحتياط اللبناني المقرب من كميل شمعون. وسعت إسرائيل، بعد فشل تجربة «الحرس الوطني» و«الجيش الشيعي»، إلى توحيد حركات عملائها في إطار «جيش لبنان الجنوبي» الذي يضم جنوداً من طوائف مختلفة، مع أغلبية ضئيلة من المسيحيين (٦٠ بالمئة).

وقد كلف هذا الجيش بمهام أمنية خصوصاً في صيدا، حيث يقيم الحواجز ويجمع الأتاوات. ويفرض في مرفأ صيدا، مبلغ ٢٠ ليرة على كل طن من البضائع و٢٥ ليرة لكل معاملة في دائرة «الميكانيك» و٥ في المائة من قيمة المعاملات التي تسجل في الفرع المحلي لوزارة المالية. ومؤخراً فرض لحد ضريبة قيمتها ٢ بالمئة على دخل المواطنين، إضافة إلى «الخوّات» الأخرى.

وفي ذهن المشرفين على هذا الجيش، فإنه مدعو إلى لعب دور مهم في الحلول محل الجيش الإسرائيلي بعد انسحابه. لكن كيف يمكن لهذا الجيش أن يواجه المقاومة في حين أن الجيش الإسرائيلي نفسه يواجه صعوبات في ذلك؟

(«السفير»، عن «لوموند ديبلوماتيك»، ١٩٨٢/١٠/٢٤)

«المقاومة الوطنية اللبنانية»: من العفوية إلى التنظيم



آليات إسرائيلية تتقدم في منطقة الرملة البيضاء (١٩٨٢/٩/١٦)

«جبهة المقاومة» ... إنها نكران الذات، العمل السري الذي يتساوى فيه الجندي بالقائد، وقودها هم الذين قالوا لا للمحتل، وحكموا على أنفسهم بدخول «معتقل العزلة» ليعبروا عن موقفهم كلما سنحت لهم الفرصة. يضعون خططهم بأنفسهم وينفذونها في اللحظة المناسبة، ويواجهون بصدور عارية فولاذ الآلات المدمرة. تجربتهم رائدة، فهم يدافعون عنا وبالنيابة عنا.

هم نواة مؤلفة من مختلف أطراف «الحركة الوطنية اللبنانية»، وإن لم تقتصر عليها، نواة انتقلت من العمل السياسي والعسكري العلني المباشر، إلى العمل العسكري السري الفدائي.

في ١٦ أيلول وقبل أن يمسح جنود الاحتلال الغبار عن مدافعهم التي اقتحموا بها بيروت الغربية، أعلنوا عن أنفسهم في بيان مقتضب.

ضرباتهم الأولى في بيروت كانت مزيجاً من العفوية والتنظيم، نستطيع أن نتبين تفاصيلها من وقائع سجلها الماضي القريب.

في ٢٤ أيلول ١٩٨٢، تقدم مقاتل في ثياب مدنية، مربوع القامة، بخطى ثابتة من رصيف مقهى «**الويمبي**» في شارع الحمراء، حيث كان يجلس ضابط إسرائيلي وجنديان، وعند وصوله على بعد مترين منهم، سحب من تحت قميصه مسدساً رشاشاً، وأفرغ طلقاته في أجساد عناصر الاحتلال الذين شلت المفاجأة أية مبادرة للتصرف لديهم.

رمى مسدسه في الأرض وغادر بخطى مسرعة وواثقة في اتجاه نزلة شارع عبد العزيز، ثم اختفى مهرولاً بين متفرعاته والمباني. **المحصلة**: مقتل الضابط وجرح الجنديين، وحتى اليوم ما زال «المواطن المربوع» مجهولاً.

وقبل مضي ٢٤ ساعة على هذه العملية، شهدت منطقة **عائشة بكار** «مبادرة» عفوية مماثلة: «مواطن» يمطر سيارة جيب إسرائيلية كانت تمر على الكورنيش في محلة عائشة بكار، بوابل من سلاحه الرشاش، فيصيب سائقها الذي كان بمفرده.

في الليلة ذاتها انتقلت المواجهة من العفوية إلى شكل شبه منظم تمثل بهجمات بالصواريخ على مواقع الاحتلال وآلياته في بيروت الغربية، كان أبرزها إصابة مدرعة معادية في منطقة **الرملة البيضاء** وجرح ٣ جنود من طاقمها، وانفجار قذيفة صاروخية في منطقة القيادة الإسرائيلية قرب مبنى

سينما «كونكورد».

وفيما كانت قوات الاحتلال تقوم بمداهمة مخابئ الأسلحة التابعة للتنظيمات والأحزاب في بيروت الغربية، كانت صناديق السيارات وخزانات الوقود فيها تتحول إلى مخابئ و«مخازن» سرية للسلاح استعداداً لمواجهة إقامة ربما تكون طويلة للاحتلال في العاصمة.

طوال هذه الفترة كانت الجيوب المقاتلة التي تتألف من بقايا المقاتلين اللبنانيين والفلسطينيين (حوالى ٥٠٠ مقاتل) تقوم بالمهمات التي ألزمت نفسها بها في المناطق المحتلة، ولاسيما في الجنوب، فتشتبك مع القوات الإسرائيلية وتنسحب. وقد استشهد عدد من هذه العناصر، كما انسحب العدد الآخر ليلتحق بقيادته خارج المناطق المحتلة.

وفيما كان الإسرائيليون ينسحبون من بيروت الغربية، كان الاستعداد لمواجهتهم في المناطق المحتلة يأخذ شكلاً أكثر تنظيماً، في إطار التحضير لمرحلة ثانية في المناطق التي يعتبر العدو نفسه ممسكاً فيها بزمام الأمور.

وكان المطلوب في المرحلة التالية التصدي بشراسة أكبر للإسرائيلي الذي بدأ يتحرك فوق أرض الجنوب المحتل باطمئنان وحرية بعد تصفية الجيوب المقاتلة، وبدأ يفرض الشراء بـ «الشيكل» في أسواق صيدا وصور، ويفاصل في الأسعار ويعرض بيع بضائع إسرائيلية في أسواق المدينتين بأسعار متدنية.

وشهد شهر تشرين الأول هجوماً بقنبلة يدوية على حاجز إسرائيلي **شمال مرفأ صور** (١٧/ ١٠/ ٨٢) أدى إلى إصابة ثلاثة جنود بجروح، كما شهد هجوماً بالصواريخ على موقع إسرائيلي قرب الدوحة أدى إلى جرح جندي (١٢/ ١٠/ ٨٢) وثالث على آلية قرب **بشامون** (٣٠/ ١٠/ ٨٢).

وفي الثالث من تشرين الثاني ١٩٨٢، ترجل شاب أسمر البشرة يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً من الجينز أزرق اللون من سيارة مدنية، يحمل بيده قنبلة وعلى خاصرته مسدساً شبه ظاهر، ويتقدم خلف شاحنة إسرائيلية في **شارع رياض الصلح ـ طلعة الشهرزاد**، وبهدوء بالغ يفتح صمام أمام القنبلة ويمد يده بها إلى داخل مقصورة السائق في الشاحنة، ويلقيها، ويتناول مسدسه فيطلق طلقات عدة خلال تراجعه، ويسرع متوارياً بين السيارات.

سائق الشاحنة الإسرائيلي يقفز بسرعة إلى خارجها، فتنفجر القنبلة بمرافقيه، أحدهما يموت والثاني يصاب بجروح.

السائق يطلق النار بشكل عشوائي، وتصيبه حالة هستيرية، ويمنع الناس من الاقتراب من المصابين طوال نصف ساعة اقتضاها وصول سيارة إسعاف إسرائيلية.

وفي أواخر تشرين الثاني (٢٨/ ١١/ ٨٣) يطلق شاب النار **من رشاش مزود بكاتم للصوت على جندي إسرائيلي فيصيبه في رقبته** (ذكر يومها أنه طعنه بسكين ذلك أن شهود العيان لم يروا سوى الدماء بدأت تسيل من رقبة الجندي دون أن يسمعوا أي صوت)، فيبادر رفيق الجندي إلى إطلاق النار على المارة في كل جانب ويصيب عدداً من المواطنين.

كانت حصيلة الأشهر الأربعة الأولى على الاحتلال ٤١ عملية ومقتل وإصابة ٢٨٢ ضابطاً وجندياً فيها.

ومع تصاعد المرحلة الثانية من المقاومة جيّش الإعلام الإسرائيلي كل طاقاته للإيحاء بأن العمليات التي تستهدفه بشكل شبه يومي إنما ينفذها مقاتلون فلسطينيون يتسللون من الشمال والبقاع، إلا أن إجراءاته على الأرض كانت تؤكد أنه يدرك واقعاً مغايراً، ذلك أن إجراءات القوات الإسرائيلية كانت تشير إلى قناعتها بأنها تفرض نفسها على محيط يرفضها، وقد تمثلت هذه الإجراءات الوقائية في مرحلتها الأولى، بتراجع كبير وفق الآتي:

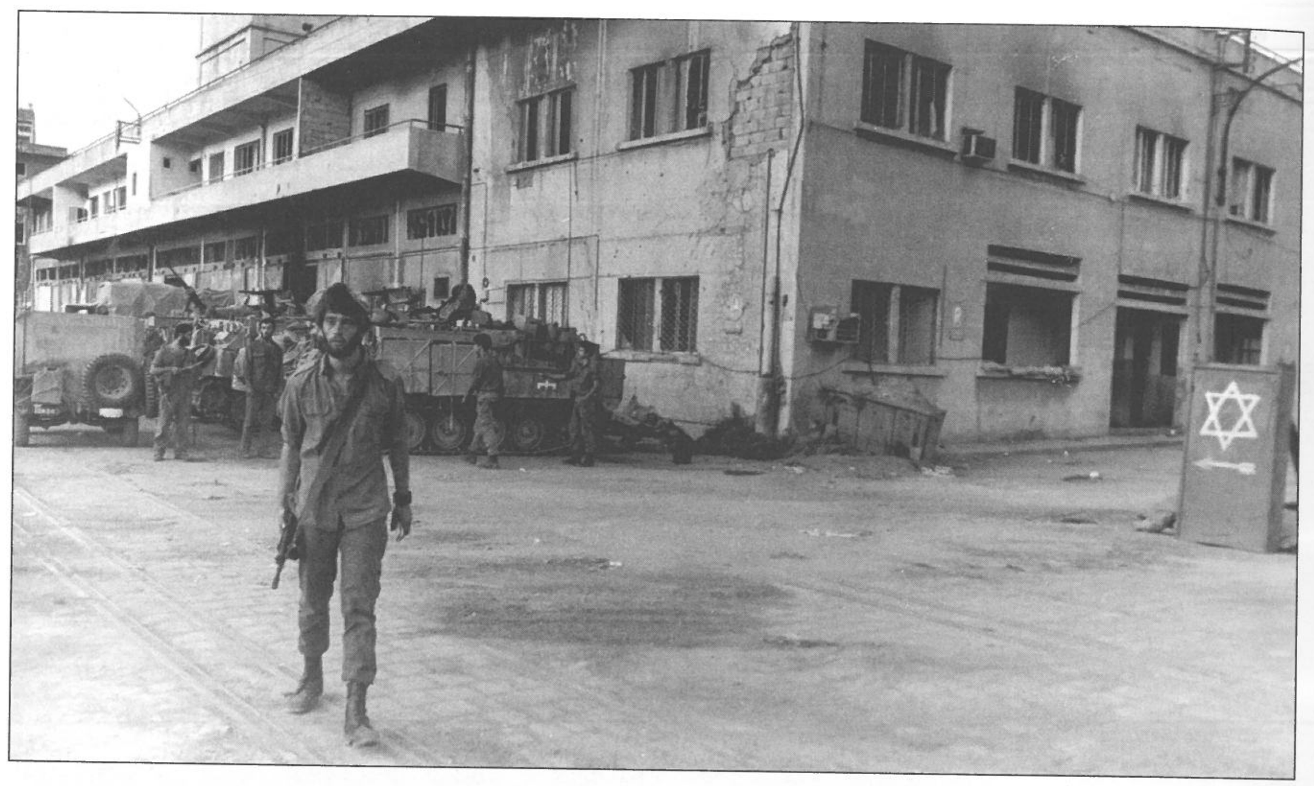
- منعت القوات الإسرائيلية عناصرها من التجول بشكل إفرادي، وفرضت التحرك بمجموعات.
- اعتمدت مبدأ التجميع في معسكرات.
- نشرت السواتر الترابية حول مواقعها.
- بنت المطارات للحد من تنقلات قياداتها براً.
- حدّت من الدوريات التي كانت تتولاها عناصرها، وبدأت بتسليح مجموعات محلية لتسليمها الأمن.
- بدأت تلجأ إلى استخدام العملاء المحليين لكشف المقاومين الوطنيين.

وفي مرحلة ثالثة، ومع تشدد قوات الاحتلال الإسرائيلية في إجراءاتها، دخلت «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» تجربة جديدة ضدها وتحولت من العمليات الفردية التي تستهدف اغتيال عناصر بعيدة عن مراكز تجمعها، إلى تشكيل مجموعات صغيرة تقوم بأعمال التفخيخ والتلغيم ضد دوريات وتحركات آليات الاحتلال، على طول الساحل من غاليري سمعان ـ الحدث ـ الشويفات حتى صور، وصولاً إلى الجبل والبقاع.

وأصبحت العبوات الناسفة الموقوتة والتي تفجر لاسلكياً، والسيارات المفخخة هاجس قوات الاحتلال التي راحت تعتمد عمليات التمشيط ضد السيارات التي تشتبه بها، فتطلق عليها النيران الرشاشة عن بعد، أو تفجرها بواسطة قذائف الدبابات.

إلا أن الإجراءات الوقائية الإسرائيلية لم تحد من العمليات ضدها، وسجلت خلال الأشهر الأولى من العام ١٩٨٣، عشرات عمليات التفجير ضد الإسرائيليين وكانت تنفذ بشكل شبه يومي.

وساهمت الضربات المتتالية ضد قوات الاحتلال في إعادة رفع معنويات المواطنين الذين يعيشون في المناطق المحتلة، فبدأت صورة المحتل المنتصر الذي جرهم كالخراف إلى شاطئ البحر



موقع إسرائيلي في حرم مرفأ بيروت (٢٥/ ٩/ ١٩٨٢)

عند اجتياحه منازلهم تصغر في داخلهم وتتراجع لتختفي، **وتحتل مكانها صورة المحتل الذي يحصن مواقعه من كل الجهات تحسباً لضربات الليل التي لا يعرف من أية جهة ستأتيه، وصورة المحتل الذي أصبح يرهب «المواجهة» ويبحث عن «عميل» ينفذ عنه ما يخطط، والذي لم يسلم أيضاً من ضربات المقاوم الوطني.**

وكبرت صورة المقاوم الوطني في قلب المواطن، فانتقلت «جبهة المقاومة» إلى مرحلة أكثر فاعلية تمثلت بتصعيد وتعزيز الكمائن المسلحة لآليات وأفراد قوات الاحتلال، والتي غالباً ما كانت تتحول إلى مواجهة مسلحة مباشرة تستمر دقائق طويلة، بعد أن كانت نهايات العام ١٩٨٢ شهدت مواجهات عدة.

ولم تقتصر الكمائن على المناطق القريبة من خطوط التماس مع المناطق غير المحتلة، بل كانت تحصل في العمق.

وكان هجوم **وادي الزينة** والاشتباك الذي أعقبه في (١٣/ ٣/ ٨٣) هو المحطة الفاصلة التي اعترفت فيها إسرائيل أن مواجهتها ليست مع فريق مقاتل، بل مع «سكان الأراضي المحتلة»، ويروي شهود العيان أن مجموعة مقاتلة كانت تكمن إلى جانب الطريق، تصدت لقافلة عسكرية إسرائيلية تتألف من آليات عدة عند مرورها في منطقة وادي الزينة، وأمطرتها بالقذائف الصاروخية، وعندما قفز جنود الاحتلال من الشاحنات للاحتماء تحت الطريق لجهة البحر، عمدت عناصر حماية المجموعة المهاجمة إلى قنص أفراد الاحتلال، واشتبكت معهم لمدة عشر دقائق.

ولكن أفراد المجموعة المقاتلة انسحبوا في ظروف سيئة بسبب كثرة عدد العناصر الإسرائيلية.

وذكرت المعلومات أن ثلاثة مقاتلين منهم أصيبوا بجروح، وقد عجزت القوات الإسرائيلية التي مشطت المنطقة عن تتبع آثارهم. وقد عمدت إلى تفتيش جميع المستوصفات في منطقة الإقليم التي عملت قوات الاحتلال على عزلها طوال عشر ساعات، دون جدوى. واعترف الناطق الإسرائيلي بإصابة سبعة جنود في العملية، فيما أفادت التقارير الأمنية الرسمية عن مقتل أربعة جنود وجرح ٢٠ آخرين. وقد شنت قوات الاحتلال حملة اعتقالات واسعة في المنطقة حين شعرت أن الأهالي لعبوا الدور الرئيسي في اختفاء أفراد المجموعة المهاجمة وفرارهم رغم إصابة ثلاثة منهم.

ومنذ ذلك التاريخ، وفيما تواصلت الكمائن وعمليات التفجير ضد أفراده وآلياته بشكل، دخل المحتل مرحلة جديدة لحماية نفسه، معتمداً الأسلوب التقليدي الذي يعتمده حين يعجز عن مواجهة واقع أنه محتل، والذي يتمثل بشن حملات مداهمة واعتقال وقائية واسعة، شهدت ذروتها مع حلول الذكرى الأولى للاجتياح، ليعترف ضمناً أن الجنوب يتحول مجدداً، وبعد مرور عام على دخوله كغاز، «مقاومة وطنية» ضده.

(غسان حبال، «السفير»، ٤/ ٦/ ١٩٨٣)

من خنادق «المقاومة الوطنية اللبنانية» إلى شاطئ البحر
نموذجان



الجيش الإسرائيلي في بيروت (١٩٨٢)

-١-

هناك رهبة دائمة في أن تجلس مع أحد كوادر المقاومة، وخصوصاً إذا لم تكن على معرفة مسبقة به. يلاحظ **جوزف سعد هذه الحالة، وهو «الخبير في اكتشاف الأشخاص وأهليتهم للثقة منذ اللقاء الأول». جوزف، الشيوعي الذي أشرف على العملية الأولى ضد عملاء الاحتلال في الخيام والعديسة قبل صدور بيان «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية»**، وصار واحداً من أهم كوادرها في الجنوب، حيث «ضربنا في كل مكان طالته يدنا». يوجه عينيه صوب رفيقة نضاله وزوجته سوزان، كأنه يطلب منها تأكيد كلامه.

خلال عدوان تموز في العام الماضي، كان على يقين بأن «حزب الله» سينتصر، «رغم أن الجيش الإسرائيلي يستطيع اليوم الوصول إلى بيروت، لكن الثمن سيكون غالياً جداً». **يحدد أسباب الانتصار كالتالي: «جهوزية المقاومة، والحفاظ على خطوط الاتصال، والغطرسة الإسرائيلية ومتانة الجبهة الداخلية».**

يرى جوزف أن دوره خلال العدوان كان يجب أن يكون عسكرياً، لكنه اقتصر على الإغاثة واحتضان النازحين. هنا، يمكن ملاحظة غصة ما لدى رجل يستطيع أن يفعل الكثير، لكن الظروف الموضوعية لإطلاق مقاومته غير موجودة، رغم اعتقاده بأن **«المقاومة لا تحتاج إلى سلاح نوعي، بل إلى رجال نوعيين».**

انتسب جوزف سعد إلى «الحزب الشيوعي» في العام ١٩٧٤، وشارك في العديد من التظاهرات، «يعني لقد تمتعنا بالنضال الديموقراطي قبل اندلاع الحرب». أما بداية تعرّفه إلى الحزب، فكانت في عام ١٩٧٢، عند سلوكه لطريق «قادومية» في النبطية (طريق مختصرة لا تمرّ عليها السيارات) حيث وجد حوالى ثلاثين مغلفاً أبيض. حمل واحداً منها وفتحه. قرأ التالي: «الحزب الشيوعي ينعى إليكم الشهيد الأول «للحرس الشعبي»». خبأ جوزف المغلفات وأخذها إلى المنزل، ثم انتسب إلى الحزب بعد سنتين.

بدأت الحرب الأهلية ولا صوت يعلو فوق صوتها: «شاركنا بداية باسم المنظمات الفلسطينية، وخصوصاً الجبهة الديموقراطية

لتحرير فلسطين». سافر في عام ١٩٨٠ إلى موسكو ليتسجل لمدة سنة، في دورة مكثفة في أركان الحرب، على يد قائد لواء «الأنصار» التاسع في أوكرانيا الجنرال فيدور فينش.

عاد في عام ١٩٨١ إلى لبنان، ليكمل عمله العسكري ضمن صفوف الحزب في الجنوب. وكانت المعلومات التي وصلت إلى الحزب في تلك الفترة تشير إلى نية إسرائيل اجتياح لبنان، لكن الحزب كان غارقاً في أوحال الحرب الأهلية ومعاركها الجانبية، فلم يجهّز نفسه بشكل كامل.

بدأ القصف في ليلة الرابع من حزيران مستخدماً مختلف أنواع القذائف. وفي اليوم الاول الذي استطاع فيه جوزف الخروج بالثياب المدنية مع أحد الاصدقاء، شاهد دبابات تحمل أعلاماً حمراء، فظن أنها لحركة «فتح». وما إن اقترب منها، حتى بدأت بإطلاق النار. اتجه صوب مركز حزبه فوجد أفراداً ينهبونه، «فقررت جمع الشباب وتنظيمهم في مجموعات». ثم التقى مع «أبو جمال» (قاسم بدران، القيادي في المقاومة الذي استشهد في الغارة على دير الرميلة عام ١٩٨٩) والقيادة العسكرية للجنوب في كفررمان حيث أجبر تحت تهديد السلاح على الانسحاب. هنا، بدا واضحاً الضياع العسكري عند الشيوعيين. حاول إقناع مسؤوله بالمواجهة، لكنه رفض، فانسحبوا.

خلال الانسحاب، اشتبكوا عند تخوم جرجوع - حومين مع الإسرائيليين وحرقوا لهم دبابتين. يبتسم جوزف ويقول: «كنا نظن أنه عند الوصول إلى أول نقطة انتشار عسكري سوري سيتوقف الانسحاب وسننظم صفوفنا». وصل الشيوعيون إلى الجبل، حيث حاول الاشتراكيون منعهم من المرور على معبر باتر، لكنهم واصلوا طريقهم إلى بعلبك، ومنها إلى عرسال. وشهدوا على سقوط ٩٦ طائرة سورية، وتدمير لواء المدرعات السوري.

في عرسال، قرّر جوزف العودة من أجل «جمع شمل العائلة»، وهو كان قد اقتنع بإمكان تنظيم مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وخصوصاً أننا **«شعرنا في ذاك الوقت بأننا قد نخسر لبنان كما خسرنا فلسطين».**

عندما وصل إلى النبطية، ذهل بحالة قبول الاحتلال عند الأهالي وبعض التنظيمات السياسية التي سلمت سلاحها للجيش الإسرائيلي، ثم استعادته منه لاحقاً. في هذه اللحظة، تقول عينا جوزف الكثير، وتشير إلى حجم القهر المتولد من تلك المرحلة.

بدأت عملية استيعاب الوضع وإعادة التواصل مع الشباب، «وإزالة العلم الأبيض الذي وضعه الجيران على البيت»، والبحث عن عمل جديد كان عبارة عن متجر خضار.

لكن ذلك لم يمنعه من المشاركة في العمل المقاوم، حتى قبل إعلان جبهة المقاومة بعدّة أسابيع. يومها، زاره أحد اقاربه الذي ينتمي إلى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، وأخبره أنه عميل «للجبهة الشعبية» في كفركلا. **وجاء الاختبار الأول لصدقيته بنقل مجموعة من الألغام إلى الخيام، والثاني في نسف مبنى إذاعة سعد حداد في العديسة، والثالث في نسف مخزن سلاح للعملاء في الخيام.**

وصل بيان إطلاق «الجبهة»، وأسهم برفع معنويات الشباب بشكل كبير، وهنا بدأت عملية إعادة التنظيم بشكل أوسع، إذ «شعرنا بأن الحزب عاد إلينا». وصلت رسالة إلى متجره تطلب منه الحضور إلى البقاع. التقى هناك بقاسم بدران (أبو جمال)، وأخبره بالعمليات التي حصلت، ما دفعه إلى مواجهة مسؤول الجنوب «لأن الجنوب كان مقصراً في تنفيذ قرارات المكتب السياسي». كما شرح للقيادة في البقاع إمكان التحرّك والمقاومة في الجنوب.

ينسى سيجارته، وينطلق بالكلام على كيفية بدء العمل جنوباً حيث جرى التركيز على كسر معنويات الجيش الإسرائيلي، وتأليب الرأي العام عليه. لذلك «افتعلنا انتفاضة عاشوراء في النبطية في عام ١٩٨٣»، إذ قام الشيوعيون بعملية بالقرب من مكان إحياء مراسم عاشوراء، ما دفع الإسرائيليين إلى إطلاق النار على الناس، وحصلت الانتفاضة. كما قام الشيوعيون «بشطف» الحسينية بعد دخول الجيش الإسرائيلي إليها، لكسب تأييد المواطنين. عمل المقاومون بحرية مطلقة من دون طلب موافقة القيادة على العمليات. فبنظر جوزف، إن أفضل طريقة لضرب معنويات العدو **«أن تلتحم معه وجهاً لوجه وتريه عينيك كي يرتعب»**.

وهكذا قويت المقاومة وارتبطت أكثر مع شعبها، واستطاعت تنفيذ عشرات العمليات النوعية وخرق صفوف العدو والعملاء. تم تجنيد العشرات للعمل في صفوفها، بعد عدة اختبارات وبناء فكري وشخصي، واعتمد على العنصر النسائي بشكل أساسي من أجل التواصل بين المناطق المحررة والداخل المحتل.

وفي عام ١٩٨٧، بدأت الاستقطابات الحادة في الحزب، وأخذت القيادة السياسية قراراً بإبعاد الكوادر الأساسيين عن مراكز المسؤولية. تراكمت الاخطاء، وكان أهمها فقدان الثقة بالقيادة الجديدة، وسقوط العديد من الشهداء. تعرّض جوزف، بدوره، لعقاب من القيادة التي منعت الرفاق من التواصل معه، ومن ضمنهم سوزان. يتحدث عن تلك المرحلة بسرعة كأنه يريد أن يمحوها من ذاكرته. تحوّلت «الجبهة» إلى «جيش من الاسود تقوده أرانب». وفي العام نفسه، تعرّض للخطف على يد حركة «أمل» «ورميه» عند دوار شاتيلا (خلال حرب المخيمات) حيث تعرض لنيران «أمل» والفلسطينيين، فجرح في فخذه.

عاد جوزف إلى العمل الجبهوي بشروطه بعد استشعار القيادة لحجم الخسائر. أعاد تنظيم كل شيء، وكان الاصعب استعادة ثقة المقاتلين ورفع المعنويات، فكان أن حصلت عدة عمليات في العمق المحتل.

خطط جوزف وأشرف على تنفيذ أول عملية اقتحام للمستعمرات الإسرائيلية التي حصلت في عام ١٩٩٠، حين اقتحمت مستعمرة «يارعون» قرب بلدة يارين الحدودية، وقتل جنرال إسرائيلي. وفي رمضان ١٩٩٣، التقى بالشيخ نبيل



ملالة إسرائيلية في بئر حسن أصيبت أثناء المعارك (٢٠/٩/١٩٨٢)

قاووق والشهيد خضر سلامة من أجل رفع مستوى التنسيق مع «المقاومة الإسلامية»، ثم التقى بالسيد حسن نصر الله بعد استشهاد السيد عباس الموسوي، وبالرئيس نبيه بري... لكن الخلل كان من الداخل الحزبي. فقيادة الحزب لم تكن في وارد اعتماد المقاومة أولوية. ولاحقاً، طلب «حزب الله» منه ومن مجموعة ضيقة من الكوادر قيادة «سرايا المقاومة»، لكنه رفض، لأن المقاومة خيار سياسي بالدرجة الأولى.

وهكذا انتهت «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية». يقول جوزف هذه الكلمات في منزله المستأجر على شاطئ البحر، لكنه يدرك أن الأيام قد تعود به إلى موقع المقاومة العسكرية..

-٢-

زياد صعب هو واحد من مجموعة الكوادر الشيوعيين الذين كان لهم دور فاعل في انطلاقة «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» وعملها. واليوم، ربما هو بين القلائل - من هؤلاء الكوادر - الذين بقوا في المعترك السياسي بشكله الحزبي، فخرج من رحم الحزب الذي صنع المقاومة من اجل إنشاء «يسار ديموقراطي» كما يرى ورفاقه دور اليسار اليوم. يشغل منصب نائب امين السر في «حركة اليسار الديموقراطي»، ويدافع بشراسة عن قناعاته، وخصوصاً وجوده في تحالف ١٤ اذار. يرى أن الحرب الأهلية ليست بعيدة كثيراً عن لبنان، «ولا يظن احد أنه يُمكن أن يكون في منأى عن نارها»، لكنه يرى أن وجود الجيل الذي شارك في الحرب الماضية على قيد الحياة يسهم في منع تجددها، ويحدد منذ اليوم موقع حركته: «خارج اي قتال داخلي».

اللقاء معه على شاطئ البحر يوم الأحد ١٦ أيلول، دفعني إلى سؤال سريع: لماذا لست في ذكرى إطلاق الجبهة؟ رد قائلاً إن هذا اليوم «أيقونة في التاريخ المظلم العربي، ولكن لا أريد لهذا التاريخ أن يتقدّس».

درس لاول مرة دورة أركان في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٧٦، ولم يكن يبلغ السابعة عشرة من عمره، وتزوج في العشرين، وخلال الاجتياح الإسرائيلي كانت ابنته تمارا تبلغ سنة من العمر. يشعر بـ «الذنب» إلى حد ما تجاه ابنته تمارا وابنه مازن، لانه لم يستطع أن يكون إلى جانبهما خلال مراحل نموهما. يستدرك هنا بالقول: «لا اندم على تجربتي وولداي تأثرا في عملي السياسي والعسكري». يدرك اليوم هذا الفرق، من خلال متابعته لنمو طفلته الثالثة كارلا. اليوم يرى للمرة الاولى كيف ينمو الطفل بشكل بطيء. لا يعبّر مازن وتمارا عن «عتب على والدهما، لكنه هو يعي في داخله أنهما ظلما، ويشعر بتقصير حيالهما لم يعد يستطيع تعويضه لهما. سيجارة الونستون لا تفارق في هذه الأثناء شفتيه، فهو مدخن شره. بدأ التدخين وهو في الثامنة عشرة عند سقوط مرجعيون في يد عملاء إسرائيل الذين كانوا بقيادة غسان الحمصي قبل مرحلة سعد حداد.

موقفه من تجربته واضح جداً: قد تكون هناك أخطاء، لكن في تلك اللحظة العمرية والسياسية «لم نكن نراها»، ولذلك هو لا يندم على تجربته. يرى أن «الحزب الشيوعي» كان حاضراً

لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، إذ أن «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» لم تأت من فراغ، بل من أساس خصب رغم كل الظروف الصعبة التي كانت تحيط بلبنان في تلك الفترة، حيث إن خمسين بالمئة من الأراضي اللبنانية كان «ممنوعاً علينا دخولها (الأراضي التي كانت تحت سيطرة اليمين اللبناني) ولذلك لم يحتج الإسرائيلي احتلالها». فقد سبق انطلاقة الجبهة، الوجود في الجنوب ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وذلك منذ تأسيس «الحرس الشعبي». والسبب لا يعود إلى مجرد نزوة لمقاتلة ما يسميه البعض «اليهود»، بل هذا «كيان مغتصب»، ولذلك واجب أن يتم رفع الظلم عن الشعب المغتصبة حقوقه، «ولكوننا كيانات مختلفة في العالم العربي فإن على كل واحد منا مكافحة أساس المشروع الإسرائيلي وهو «التوسع». يرى صعب أن هذه هي خلفية انطلاقة الجبهة، ولذلك يقول إن ١٦ أيلول هو التعبير عن بداية الجبهة ليس إلا.

يلفت زياد إلى أن عدم قدرة الحركة الوطنية على الصمود في وجه الاحتلال إلا في بيروت يعود إلى أن القرار المالي والعسكري كان في يد منظمة التحرير الفلسطينية والقرار السياسي في يد النظام السوري. والوجود السوري كان «بوصاية أميركية، من دون أن أقلل من دور الجنود السوريين الذين قاتلوا». بهذا المعنى يرى أن الدولة اللبنانية كانت مفككة، فإذاً، لا حاضن اجتماعياً للمقاومة، «وقد يكون ذلك إيجابياً لانطلاق «الجبهة» لكن بلا حاضن للمقاومين». لم يكن هناك خط أمان للمقاوم بل يُمكن أن يتعرّض للقتل في اي مكان. «فالناس الذين عادوا وقاوموا كانوا قد رشوا الارز على الجيش الإسرائيلي عند دخوله». يرى أن الموضوع ليس تقنياً أو بسالة من الافراد، بل هو مرهون بقدرة المجتمع على التوحد واحتضان المقاومة. ويشير إلى أن الحزب الشيوعي كان قد حضر مجموعات لحرب العصابات بعد اجتياح ١٩٧٨. ويلفت إلى إرادة المواجهة وهي الأصعب، فما حدث «كان الأول من نوعه، إذ وصل جيش الاحتلال الإسرائيلي إلى عاصمة عربية». هنا يتذكر زياد صعب حالة الإحباط التي أصابت العديد من المواطنين، وأدت إلى رميهم السلاح في مكبات النفايات، التي أصبحت أحد مصادر تمويل المقاومة بالسلاح. هنا يؤكد أنه لم يُصب بالإحباط، بل إلى حد ما بالخيبة، ولو «أصبت بالإحباط لكنت قد رميت سلاحي... بل شعرنا بدافع للمواجهة».

كان زياد صعب مسؤول القوة المركزية للحزب الشيوعي الموجودة في المدينة الرياضية في بيروت قبل الاجتياح، وبعد أربعة أيام طلبت القيادة منه ومن مجموعة مؤلفة من نحو ثلاثين من عناصر النخبة العسكرية التوجه إلى صيدا لتنظيم مقاومة ثابتة، لكنهم لم يصلوا إلى صيدا إذ إن معبر باتر كان قد أصبح تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي، «**فقررنا نقل المواجهة إلى الجبل وشاركت في مواجهات سوق الغرب - كيفون ثم تسللت إلى بيروت بعد اتفاق فيليب حبيب» (الاتفاق الذي نظم انسحاب المقاومة الفلسطينية من لبنان)**. وعند سؤاله عن دوره في الجبهة يقول: «أنا واحد من مجموع، ولست «غرانديزر»، ولكن لي الشرف أن أكون واحداً من القلائل الذين بدأوا في عمل الجبهة».

أسهم زياد في التخطيط للعمليات الاولى، ويتحدث عن الفرح الكبير الذي غمره بعد العملية بسبب رد فعل الناس في بيروت، «**إذ بدأت الوشوشات تقول إن الشباب عادوا، وشوشات تنم عن فرح وخوف**».

وتوقفت الجبهة عن عملها في تلك المرحلة لم يكن زياد صعب في موقع المسؤولية جبهوياً، لكنه كان قد عاد إلى مسؤوليته السابقة بقيادة القوة المركزية للحزب الشيوعي، كما شارك في مواجهة حرب تموز ١٩٩٣. يرى أن أهم أسباب وقف الجبهة هو أن مشروعها ليس تحرير الأرض وحدها، بل تحرير الإنسان. «أعتقد أن الخوف من مشروع المقاومة التغييري هو الذي أدى إلى وقفها. ولو كان الهدف فقط إطلاق النار لكنا نصفق حتى الآن لصدام حسين، فهو أطلق صواريخ سكود على إسرائيل». في رأيه، حاول النظام السوري السيطرة على المقاومة ولم يستطع، «وهذا الأمر ليس مرتبطاً فقط بالقرار السياسي بل بعدم القدرة على تنفيذه عملياً. كان المطلوب أن نقاتل ومن ثم نرى من يثمر». ففي كل العالم عندما تقاتل مقاومة ما فإنها تتسلم السلطة، إلا في لبنان، وذلك حصل مع النموذجين الوطني والإسلامي، فالأول مُنع والثاني لا قدرة له على تسلم السلطة بسبب التنوع الطائفي في لبنان، ولهذا ربما مُنع الأول.

يضع سيجارته جانبا، ويبعد يديه عن آلة التسجيل ليقول: «عندما رأيت هذا الهجوم على المقاومة الوطنية أدركت صوابية خياراتنا وخطورتها على جميع الأنظمة العربية التي تدعي المقاومة والممانعة وجل ما تريده هو الحفاظ على سلطتها».

وعند الحديث عن «المقاومة الإسلامية»، يفصل بين المقاومين والمشروع. «**لا يمكن إلا أن أرفع القبعة وأفتخر أن في بلدي أناساً مستعدين للتضحية حتى الموت في سبيل قضيتهم، لكن ما هو المشروع؟**». وهنا يسأل: «لماذا سُمح لهذه المقاومة بالاستمرار؟ هل تملك مشروعاً لتحرير الإنسان؟ هل تحمل مشروعاً تغييرياً ويمكن أن تحمل النظام السياسي إلى مكان أكثر تطوراً؟».

يقرّ بوجود مشروع أميركي للسيطرة على المنطقة بسبب وجود النفط، لكنه يرفض الاختيار بين المشروعين، لانه يعتقد أن النظامين السوري والإيراني يريدان مفاوضة الاميركيين لا مواجهتهم، «لا أستبعد فتح جبهة الجولان في سبيل التفاوض». يحدد أولويته في بناء دولة، بغض النظر عن النظام السياسي، ولذلك يجد نفسه مع قوى ١٤ آذار لأن البديل منها هو الفراغ. يقرّ بوجود اختلافات في التصور للنظام السياسي الذي سيحكم لبنان بين صفوف فريق ١٤ آذار، «لكن عندما يصبح هناك دولة تستطيع أن تعبر من خلالها بحرية، ستتغير حكماً طبيعة التحالفات».

(ثائر غندور، «الأخبار»، ١٧ و١٨ أيلول ٢٠٠٧)

«المرابطون» و«التنظيم الناصري» في صيدا

كان «**الناصريون المستقلون**» وتنظيمهم العسكري «**المرابطون**» قد انطلق مع الجماهير الناصرية التي انطلقت مع جمال عبد الناصر، ووقفت إلى جانبه في معاركه الرابحة والخاسرة على السواء. وكان ابراهيم قليلات قائد حركة الناصريين المستقلين ـ المرابطون هو العمود الفقري للحركة، وقد ميز حركته عام ١٩٧٣ عن التنظيمات الناصرية الباقية بأنها «ضد ناصريي شعارات الحيطان والحكي».

يمكن دراسة تاريخ هذه الحركة في ثلاث مراحل محددة:

المرحلة الأولى: من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦

المرحلة الثانية: من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٣

المرحلة الثالثة: من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦

عام ١٩٥٨ كان البداية، وهذا العام في تاريخ لبنان، له أهمية خاصة، فهو يقع في إطار أحداث تاريخية لبنانياً وعربياً.

لبنانياً: كان عام أحداث دامية، ضد مشاريع سياسية وعسكرية غربية في المنطقة العربية. هذه المشاريع التي كانت تستهدف مواجهة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) ومواجهة عبد الناصر عبرها.

عربياً: كانت الجمهورية العربية المتحدة برئاسة عبد الناصر تكون جبهة صدام ضد إسرائيل وحلفائها، وضد الدول التي وجدت في أول محاولة توحيد عربية خطراً على مخططاتها ومصالحها في هذه المنطقة. وسط هذا العام على الصعيدين اللبناني والعربي، كان تحرك إبراهيم قليلات الأول: «كانت بداية ممارسة النضال، في وقت لم يكن هناك تنظيم ناصري، إذ كانت ثورة عبد الناصر وإنجازاته تشكل الإطار الفعلي للتحرك». وكانت الجمهورية العربية المتحدة آنذاك تشارك في صنع الأحداث اللبنانية، ولم تكن «محلة أبو شاكر» ببعيدة عنها... وإبراهيم قليلات بعد عودته من مصر يعيش في «محلة أبو شاكر» التي كان لأبيه فيها الكثير من الوجاهة، وبدأ في المحلة نشاطه السياسي، ومع مرور الزمن أطلق على المحلة اسم «حي القصبة» تشبيهاً بحي القصبة في مدينة الجزائر، ذلك الحي الذي لعب دوراً فعالاً خلال النضال ضد الاستعمار الفرنسي.

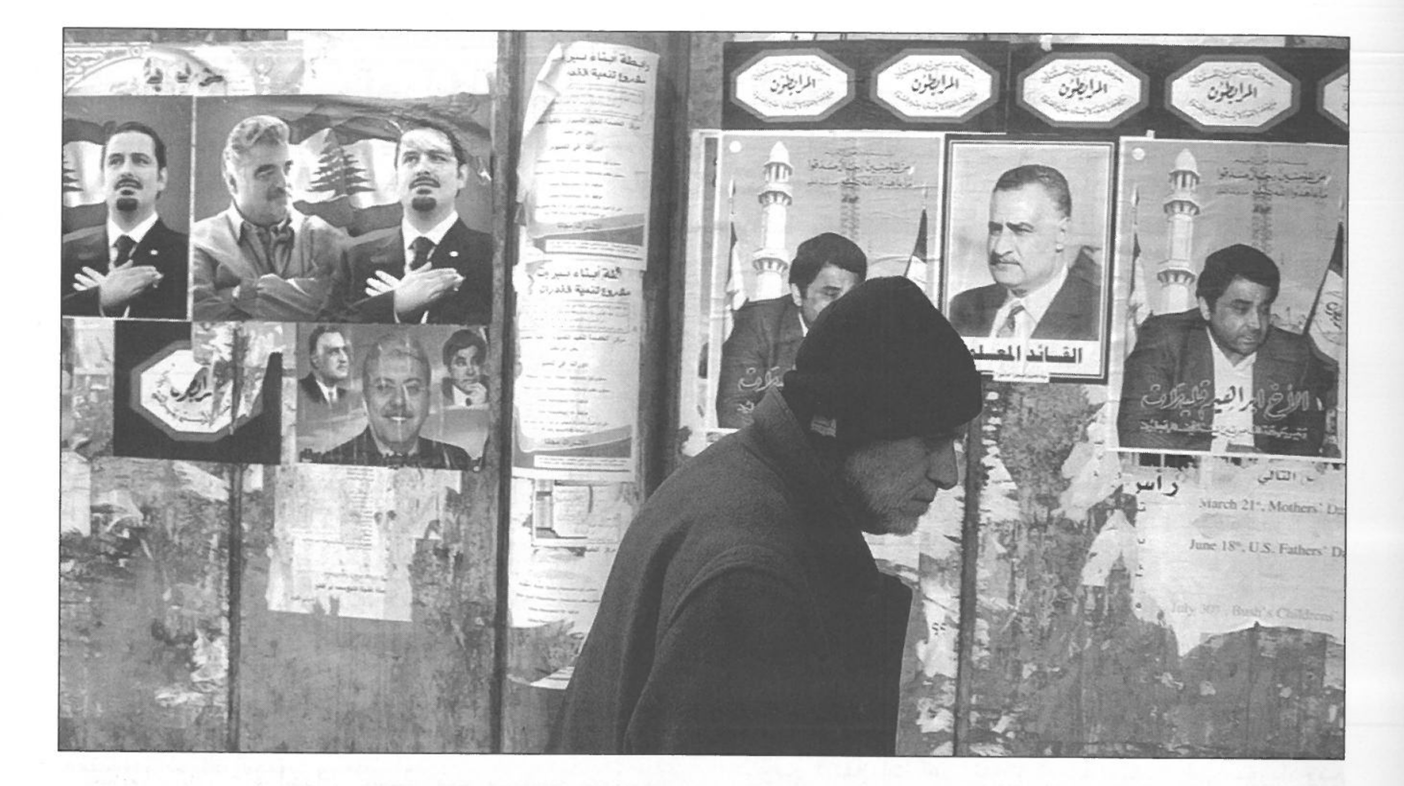
وكانت بداية إبراهيم قليلات في محاولة لجمع أبناء العائلة والحي، وربما الحي أولاً، لما اتصف به ذاك الحي من حماسة لعبد الناصر ومواقفه. وتوزعت اهتمامات الشاب المتحمس بين الدراسة والسياسة، **وغاص في أحداث ١٩٥٨ بكل ما فيها من توتر وعنف واضطراب وشارك في نضال أبناء «محلة أبو شاكر» الذين حملوا السلاح في إطار «المقاومة الشعبية».**

والمنطقة كلها كانت في زحام التحرك، كيف ما كان التحرك، وكيف ما أتى. فكما صفقت الجماهير لوحدة مصر وسوريا، وجدت نفسها مندفعة للتشنج ضد «جماعة الانفصال» في سوريا، والانتصار لعبد الناصر في موقفه عن الانفصال، والاستمرار في الإبقاء على اسم الجمهورية العربية المتحدة وعلى علمها ونشيدها.

وأطل عبد الناصر بمعاركه وخطبه على كل قطر ومدينة وحي ومنزل، وعبر «الترانزستور» كان كل مواطن عربي يعتبر نفسه قريباً من «الريس». والرئيس كان شحنة الإيمان التي كانت تتفجر داخل إبراهيم قليلات نشاطاً. فلقد استقبله أكثر من مرة في القاهرة أو الإسكندرية، و«عبد الناصر هو نموذج المثاليات التي طبعت شخصيته، وميزته كقائد في التاريخ العربي الحديث: أخلاقي وثوري، صادق ومخلص، كانت ثقته كبيرة بي، انعكست في الرابطة بيني وبين جميع أفراد عائلته، أصبحت واحداً منه. وستبقى «منشية البكري» ـ منزل عبد الناصر ـ منطلقاً وجدانياً لأعمالنا».

المرحلة الأولى كانت إذاً الاندفاعة السياسية والعملية التي وطدت صلة إبراهيم قليلات بعبد الناصر والسياسة الناصرية ككل. كانت مرحلة تبلور الحس الوطني والقومي عند إبراهيم، وفي محلة أبو شاكر ككل.

المرحلة الثانية (١٩٦٦ ـ ١٩٧٣): في بدايات هذه المرحلة، سلطت الأضواء على إبراهيم قليلات، عندما وجهت إليه الدولة اللبنانية اتهاماً بالتحريض على اغتيال كامل مروه صاحب جريدة «الحياة» البيروتية ورئيس تحريرها. وكانت «الحياة» يومذاك أداة بارزة من أدوات الإعلام الذي يخدم سياسة الدول الغربية وخاصة بريطانيا. وكان كل لبناني وطني يعي خطورة دورها اليومي في التحريض ضد عبد الناصر والاتجاه التقدمي ككل. وكان صاحبها ـ كامل مروه ـ يعتمد على ما كسبته «الحياة» يوماً من رصيد معنوي من جانب القوميين العرب القدامى، يوم كانت القومية العربية عداء لتركيا وصيغة تدعمها بريطانيا وفرنسا من أجل مصالحهما. أما عندما أصبحت القومية العربية ذات محتوى تقدمي وتحرري مناهض للاستعمار، انقلبت عليها «الحياة» وشللها التقليدية المحافظة مع الاستعمار. وعندما وصلت تلك الجريدة إلى هذا المستوى من الدور الخطر، سقط صاحبها صريعاً في مكتبه برصاص الشاب الوطني عدنان شاكر سلطاني الذي اعتقلته السلطات اللبنانية وحكمت عليه حكماً خفف فيما بعد إلى عشرين سنة سجناً. وأشار الاتهام إلى إبراهيم قليلات كمحرض. في هذا المجال، قال قليلات: «لم ترد في اضبارات



التحقيق كلها أية اعترافات أو معلومات تشكل إدانة لي. ويبدو أن السبب في توجيه الاتهام لي هو ما قاله أحد الضباط الذين استمع إليهم المحقق العدلي ثم رئيس المجلس العدلي نفسه. وفي اعتقاد ذلك الضابط، أن قليلات وراء عملية الاغتيال، وهو المحرض والمنظم لها. وسبب ذلك كما قال الضابط: هو أن قليلات ناصري وقومي عربي متعصب. وثوري متحمس، وهو على استعداد للإقدام على أي عمل لخدمة القضايا العربية التي يؤمن بها». واعتقل قليلات، وبقي سنة ونصف السنة رهن الاعتقال، ثم خرج من السجن ولم يحل إلى المحاكمة. **هذه الحادثة قدمت إبراهيم قليلات شاباً وطنياً، ومناضلاً صلباً، ودفعت باسمه إلى صفحات الجرائد وإلى جدران شوارع بيروت الغربية، دفاعاً عنه وانتصاراً لمواقفه. وتجاوز قليلات حدود حي «أبو شاكر» إلى بيروت كلها.**

وكانت الحادثة بداية تكون حركة «الناصريين المستقلين» فبعد النكسة، (حزيران/يونيو ١٩٦٧) ظهرت تنظيمات ناصرية وتجمعات، تحاول العمل في الشارع اللبناني الذي كان يتحرك مع عبد الناصر. ووسط تكاثر تلك التنظيمات، أكد قليلات استقلاليه «ناصريته» أو عمله السياسي. من هنا جاءت التسمية «الناصريون المستقلون». وفي هذه الفترة تصاعد الدعم الجماهيري للمقاومة الفلسطيني، وبخاصة بعد أن أصيبت مصر عبد الناصر بهزيمة، إذ كان الرهان العربي الشعبي على مصر عبد الناصر في أية معركة مع إسرائيل، فعندما وقعت المعركة فعلاً، كانت النكسة التي جعلت الأنظمة تتراجع. أمام تراجع الأنظمة ـ مصر وسوريا بالذات ـ تقدمت المقاومة الفلسطينية المسلحة بخطى ثابتة لتحتل حجماً في وعي الجماهير وحركتها. **ويومها حاول إبراهيم قليلات وضع نفسه في موقع مشترك بين عبد الناصر والمقاومة، ورفع الشعار الذي أطلقه عبد الناصر كمبدأ أساسي لحركة «الناصريين المستقلين» وهو: «المقاومة الفلسطينية وجدت لتبقى».**

وعندما توالت الأحداث، من أيلول الأسود في الاردن ضد المقاومة (١٩٧٠) إلى رحيل عبد الناصر، إلى تصاعد كثافة الوجود الفلسطيني المسلح على ارض لبنان مع بداية السبعينات، مع توالي تلك الأحداث وغيرها برزت حركة «الناصريين المستقلين» كقوة يحسب حسابها سياسياً وعسكريا، بعد أن كان بعض عناصرها قد تعامل مع السلاح في العام ١٩٥٨ والعام ١٩٦٩.

المرحلة الثالثة (١٩٧٣ ـ ١٩٧٦): بدأت هذه المرحلة مع حادث رئيسي وهام وقع في الثالث من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣. عندما قامت قوات السلطة اللبنانية بمحاصرة مكتب إبراهيم قليلات في «محلة أبو شاكر» وبدأت بإطلاق الرصاص على المكتب. ونتج عن الحادث سقوط ثلاثة شهداء، وتدمير عدد من السيارات. ويرجع سبب هذا الهجوم إلى أن عناصر من الجيش حاولوا مصادرة مسدس غير مرخص من أحد أنصار إبراهيم قليلات، فتحركت حملة عسكرية كاملة على المحلة وعلى مكتب قليلات بالذات، لتحقيق هذا الغرض. وكان هذا أول حادث من نوعه في لبنان. وقد رأى قليلات «أن الحادث مدبر ومخطط له

بدقة، لجرنا لمعركة، لكننا لم نرد عليهم لأن قطعة السلاح في يد مواطنينا ليست مرتبطة بعواطفهم الشخصية وتشنجاتهم. لقد علمناهم أن فوهات بنادقهم يجب أن توجه نحو العدو».

وفي تفسير للحادث أن السلطة اللبنانية، بعد أيار (مايو) ١٩٧٣، الذي حاولت خلاله ضرب المقاومة الفلسطينية وجماهيرها فقصفت المخيمات بالطيران والمدافع، تحينت الفرص لضرب القوى التي كانت حليفة فعلية للمقاومة في التصدي لهجمة أيار (مايو) تلك. أكثر من ذلك، ربما أرادت السلطة الوصول إلى المقاومة عبر البدء بضرب جماهيرها اللبنانية. يرى قليلات «أن جيوباً في السلطة ساءها أن يكون قسم من اللبنانيين في صف المقاومة الفلسطينية، قناعة منه بموقف وطني وقومي. أو أن تلك الجيوب ما زالت تعيش أجواء أيار (مايو) الاسود فأرادت الأخذ بالثأر. على أي حال ليس من مصلحة أحد، لا لبنان كدولة، وكيان، ونظام، ولا المقاومة الفلسطينية حتى ولا القوى الوطنية والتقدمية في لبنان، أن يحصل اصطدام دموي في لبنان، ومن التزامنا بخط التلاحم مع المقاومة وجدنا مبرر عدم الرد والتروي كي لا نكون بذلك قد حققنا أهداف تلك الجيوب وخططها».

والواقع أن الحادث أخذ حجماً كبيراً في الإطار السياسي في لبنان. وقد أولته الأحزاب التقدمية اهتمامها، فعقد زعيم «الحزب التقدمي الاشتراكي» **كمال جنبلاط** مؤتمراً صحافياً شجب فيه الحادث وحذر السلطة من أي تآمر، ودعم وقف قليلات، كما تداعى عدد من المحامين لتولي الجانب القانوني من الحادث ومعظمهم من الوطنيين والتقدميين، وصدرت بيانات وتعليقات كان أبرزها تحليل مجلة «فلسطين الثورة» الناطقة باسم الإعلام الموحد للثورة الفلسطينية جاء فيه أن المقاومة لا تضع الحادث خارج ما يحاك من تآمر من بعض جيوب السلطة ضد المقاومة والحركة الوطنية. هذا إلى جانب ما طرح من أن محاولة جرت لاغتيال قليلات في إطار الحادث نفسه. إن هذا الحادث، الذي عرف بـ «حادث أبو شاكر»، طرح قليلات وحركة «الناصريين المستقلين» ككل على اتساع الرقعة اللبنانية. ومع تطور المرحلة الثالثة هذه، بدأت حركة «الناصريين المستقلين» بفرض وجودها التنظيمي كحركة..

«التنظيم الشعبي الناصري» في صيدا

هذا التنظيم يضم أصلاً **جماعة معروف سعد**، كتنظيم، لو كان معروف سعد ما زال على قيد الحياة. باعتبار أن معروف كان نقطة استقطاب لكثرة من أهالي صيدا كان يطلق عليها «جماعة معروف» وتعلقت به كتائب لمدينة صيدا، وكرئيس لبلديتها وكمناضل شعبي يمثل الكثرة الشعبية من أبنائها. لكن بعد اغتيال معروف سعد وتولي ابنه مصطفى مركزه الشعبي هذا، كان لا بد من بروز التنظيم أو إبرازه، باعتبار أن زعامة أبيه كانت كافية لشد الانصار إليه، أما هو أي مصطفى سعد، فعليه تأطير الأنصار في تنظيم كي يضمن ولاءهم، وهكذا كان وكان للتنظيم فعاليته في الشارع الصيداوي.

أما بالنسبة لمرحلة معروف سعد فتمكن من استقطاب الصيداويين ـ من الزاوية الفلسطينية ـ حتى مطلع الخمسينات. وبدأ معروف يشكل النقيض الشعبي الوطني لزعماء صيدا الأغنياء. ولهذا التفت حوله العائلات الشعبية، من شغيلة صيدا وتجارها الصغار، ضد العائلات مالكة البساتين والعقارات والشركات وحتى ضد المثقفين وأصحاب المهن الحرة.

ونما هذا الاستقطاب، من جانب معروف سعد، للجماهير العمالية، وبخاصة صيادو السمك وعمال البساتين من جهة وللطلاب وللمتعاطين بالعمل السياسي العربي من جهة ثانية، **وتطور هذا الوضع ليأخذ شكل لجان إغاثة للاجئين الفلسطينيين الآتين إلى لبنان، ثم تطور هذا العمل في التظاهرات والإضرابات التي كانت التعبير الرئيسي ضد «الخيانة العربية في فلسطين»**.

ومع الانقلابات التي بدأت تصعد وتهبط في سوريا، ومع انتصار ثورة مصر في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ومع انطلاق التيار القومي العربي الحزبي عبر حزب البعث العربي ـ الذي كان في بداية انطلاقه يومذاك ـ وعبر حركة القوميين العرب، **مع ذلك كله تكون في صيدا تيار قومي عربي بقيادة معروف سعد وعدد من مثقفي صيدا، وبخاصة مدرسو كلية المقاصد. وبرز هذا التيار القومي العربي في دعمه لثورة عبد الناصر في معاركها المتتالية، وبخاصة خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦. فتكونت لجان جمع تبرعات، ولجان تنظيم إضرابات وتوقيع عرائض ضد فرنسا وبريطانيا، كما قام معروف سعد سراً بتدريب عدد من الشباب في صيدا، تمهيداً للسفر إلى مصر للقتال ضد القوات الغازية**. وخلال عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ قاد معروف سعد تظاهرات ضد حلف بغداد، ثم فيما بعد ضد مشروع ايزنهاور للدفاع المشترك. وخلال هذين العامين وصلت شعبية معروف سعد إلى قمتها، فبلغت (٨٥٪) من «الجماهير الصيداوية». وخلال انتخابات آب ١٩٥٧ خاض معروف سعد، باسم هذا التيار، الانتخابات النيابية عن مدينة صيدا ففاز على منافسه الدكتور نزيه البزري بنسبة ساحقة، **أكدت زعامته لصيدا وطرحته كواحد من قادة التيار القومي العربي**. وفي هذا الإطار انتظمت الجماهير التي مثلها معروف سعد في الشارع وفي مجلس النواب على السواء. وقد ساعدت الأحزاب والهيئات الموجودة في صيدا في تلك الفترة في انتظام تلك الجماهير وإظهار نضالها.

(«الجمهورية»، ١٩٨٥/١٢/٢٩)

«المرابطون» والتصدي للاجتياح الإسرائيلي لبيروت ٤ آب ١٩٨٢



قافلة «المرابطون» أمام النورماندي قبل الانسحاب (١٤/٩/١٩٨٢)

في ما يلي سرد تفصيلي للعمليات العسكرية. وهذه التفاصيل عبارة عن خليط من المعلومات العسكرية الرسمية ممزوجة بشهادة بعض المقاتلين من الذين شاركوا في العمليات العسكرية وشهادة أبناء منطقة رأس النبع

٢٣:٣٠

بدء قصف عنيف على بيروت والضاحية.

٢:٠٠

استمرار القصف بشكل عنيف على المواقع العسكرية والمدنية على مداخل بيروت وخطها الساحلي والطرقات الرئيسية.

٣:٢٠

غرفة العمليات المركزية تتلقى معلومات وتقارير متتالية من مواقعنا ومنسقي الحركة في غرف القوات المشتركة أن هجوماً برياً قد ابتدأ في منطقة الأوزاعي. الإخوة يسألون عن الوضع في منطقة المتحف والمكب النورمندي.

٣:٤٠

مسؤول مواقع الحركة في النورمندي يتحدث عن سماع لهدير المحركات الآليات الصهيونية بشكل غير معتاد.

٣:٤٥

الحركة تصدر أوامر لبعض مجموعاتها الخاصة بالتوجه الى منطقة المتحف في عملية لتبديل سريع لمقاتلي المحور وإرسالهم الى محور المرفأ.

٤:٠٢

مع وصول المجموعة الأولى الى المنطقة بقيادة الأخ الشهيد أبو ربيع تبين أن قوات الصهيونية في حالة استنفار استثنائية،

وتزامن ذلك مع ارتفاع وتيرة القصف الشرس للمواقع الخلفية في بيروت.

٤:٢٠

تأكد للمسؤولين خطورة الوضع، وإصدار تعليمات لاسلكية وعبر **صوت لبنان العربي** على الموجة القصيرة غير المراقبة وغير المستعملة عادة للاستنفار وإلغاء كل الأذونات لكل قطاعاتنا العسكرية والصحية . إصدار أوامر بإلغاء قرار سحب القوات التي كانت ستتوجه الى النورمندي وإبقائها في مواقعها. تواتر المعلومات عن معركة الأوزاعي.

٥:٠٥

الآليات الصهيونية تبدأ بهجوم مدرع من منطقة العدلية، شارع بدارو ، مستشفى أوتيل ديو تتصدرها كاسحتا ألغام فيما تقوم وحدات مشاة بالتقدم من مبنى المتحف باتجاه المحكمة العسكرية خلف آليات أخرى.

٥:١٨

تبدأ مواجهة قواتنا من مختلف الوحدات مباشرة مع القوات الصهيونية. اشتعال جبهة القتال من المتحف، مركز الولادة النسائي، البريمو، السوديكو شرقاً. الأشتباكات تتم بالأسلحة الرشاشة المتوسطة والثقيلة، فيما يستخدم العدو المدفعية المباشرة وسط تحليق منخفض لطائرات العدو.

٥:٣٠

لم تنجح قواتنا حتى الآن في إصابة أي من الأهداف الآلية الصهيونية. آليات العدو تتدفق من منطقة **بوابة المتحف** على الشارع الرئيسي. ساحة السباق تقصف بشكل عشوائي والطائرات تقصف مواقعنا في تقاطع الطيونة ومبنى المقاصد وتمثال بشارة الخوري بشكل كثيف ولكن بقنابل متوسطة.

٥:٣٢

عدد الآليات الصهيونية المشاركة يصل الى ١١ دبابة و خمس ناقلات جند وآليات غير مصفحة. الآليات تتقدم على جانبي جادة فؤاد الأول . قواتنا تبدأ استهداف الآليات الصهيونية بقذائف اينارغا بسبب عدم إمكانتيهم لها بشكل واضح لاستهدافها بأسلحة أخرى.

٥:٤٥

يصدر الأمر للقوات المركزية بالتراجع الى خلف شارع عبدالحفيظ الشعار ومحمد الحوت والتراجع الى خلف السفارة الأرجنتينية. إصدار أوامر لنقل قوات من الحركة الى منطقة **السوديكو.**

القوات المولجة منطقة رأس النبع / المتحف تتولى مهمة إبطاء التقدم الصهيوني وتتمكن بعد إصابة الكاسحة الاولى من وقف التقدم على الرغم من أن إصابة الكاسحة لم تتمكن من إعطابها.

٥:٥٠

إصابة آلية للعدو بلغم أرضي وانفلات جنزيرها . **قوات المرابطون** تستهدف الآلية المعطوبة بقذيفة ١٠٦ وتصيب مخزن الوقود فيها. طاقم الآلية يصعد من الآلية والأخ «**أبو علي**» يصطادهم جميعاً من مخزن واحد لرشاشه حسب تعبيره.

٥:٥٥

انقضّت وحدة الشهيد أبو ابراهيم ـ قوات المرابطون على وحدة مشاة صهيونية عند حائط المحكمة العسكرية مما أسفر عن مصرع ما لا يقل عن٣ من جنود العدو وإصابة ٦ من عناصر الحركة تم سحبهم فوراً الى الخطوط الخلفية.

٧:٠٠

استمر توجيه شيفرة عسكرية لعناصر الحركة من وحدات الأمن بالتوجه الى غرف العمليات للحصول على تعليمات خاصة، فيما استمر تدفق عدد من المقاتلين الى المركز الرئيسي لوداع الأخ ابو شاكر وإخوة السلاح من الوحدات الأخرى.

٨:٠٠

بعد ساعتين من القتال الضاري تمكن عناصر «قوات المرابطون» من منطقة رأس النبع والطريق الجديدة والنويري تساندهم وحدات من «القوات المشتركة» وعدد من المواطنين من **وقف التقدم الصهيوني عند المحكمة العسكرية.**

وفي الوقت نفسه قامت وحدة من قواتنا تلبس زي الجيش اللبناني بعملية التفاف من اتجاه المتحف، واشتبكت مع الوحدات الخلفية المتقدمة للجيش الإسرائيلي.

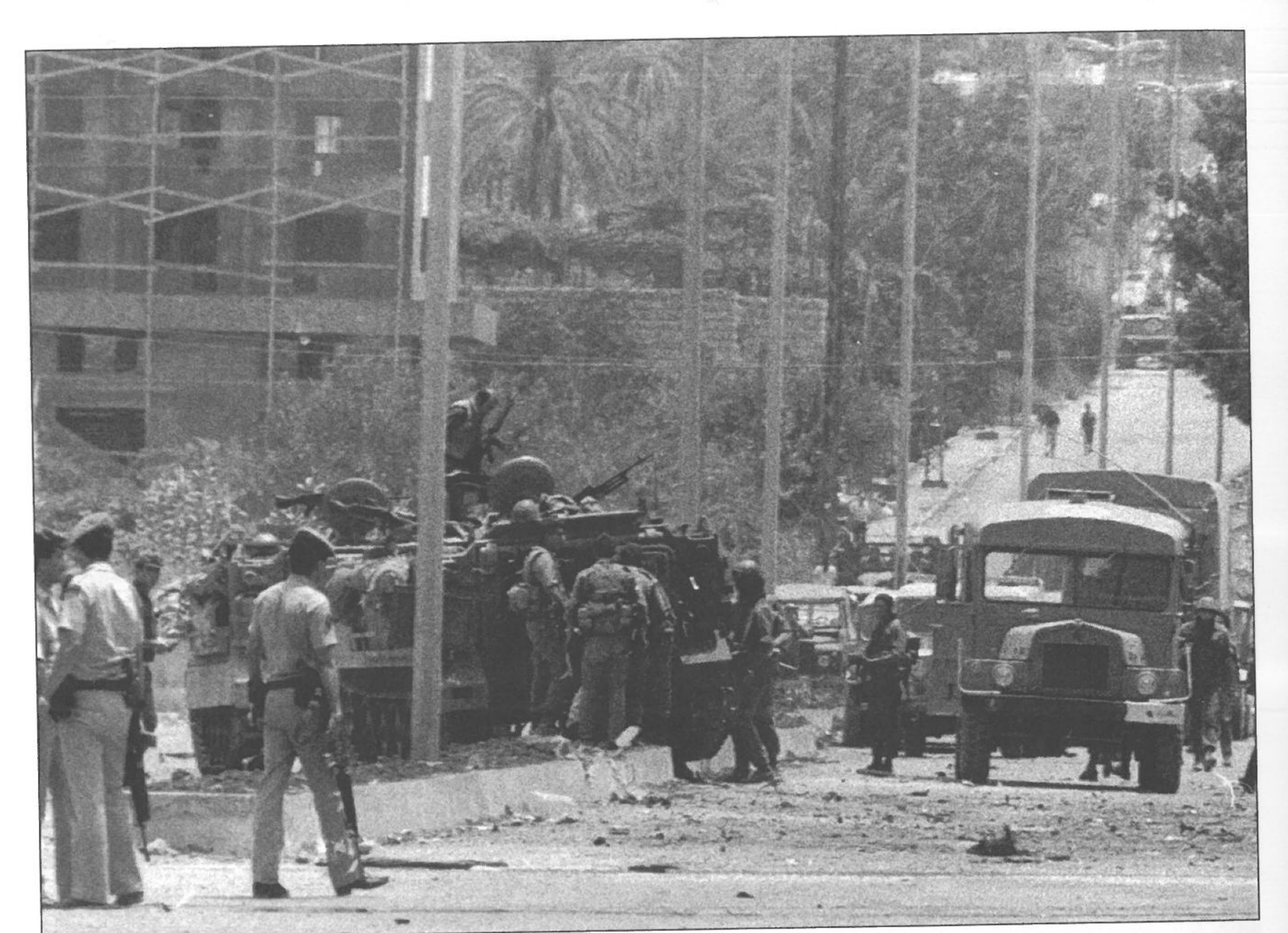
٩:٣٠

بدء انسحاب القوات المعادية من أرض المعركة بعد تكبدها خسائر فادحة بالمعدات والأرواح.

١٠:٠٠

بدء الهجوم الثاني على المحور بدءاً من **سباق الخيل** باتجاه المدخل الرئيس، وهجوم آخر باتجاه الطيونة.

الطائرات تقصف بالرشاشات الثقيلة أرض المعركة في محاولة بائسة لتخفيف الضغط عن القوات الصهيونية المهاجمة.



عملية تفجير سيارة مفخخة في منطقة غاليري سمعان أثناء مرور الجنرال أمنون لبكي

١٠:٢٠

وصول الأخ أبو شاكر الى منطقة بيت الأطفال للمشاركة والإشراف على عمليات القتال ما لبثت ان وصلت آلية صهيونية الى مبنى جودة العجة وتم تدميرها.

١٠:٤٠

إصابة سيارة الأخ ابو شاكر وأنباء عن إصابته ونقل للمعالجة، فيما الأخ أبو ربيع يدمر الدبابة الثالثة للعدو.

١١:٣٠

المواطنون يشعلون إطارات السيارات فوق أسطح البنايات لحجب رؤية الطائرات، فيما استمر القصف الجوي على النورمندي ترافق بقصف لمنطقة فردان في محاولة لشل إمداداتنا العسكرية وإمدادات الذخيرة.

١١:٥٠

راجماتنا تبدأ بقصف مواقع العدو في المتحف وتتقدم الى داخل ميدان سباق الخيل مما أجبر العدو على الانسحاب الى العدلية مع تقدم لقواتنا حتى مبنى المتحف و مبنى التيوس.

١٢:٠٠

وقف القصف الجوي على ساحة القتال لقرب عمليات الاشتباك.

١٣:٠٥

الأخ يوسف يدمر آلية ثانية.

أبو عبد وأبو منذر يقصفان بدبابتهما دبابة لقوات العدو عن مسافة ٢٠ متراً فيما القوات الراجلة استطاعت الاستيلاء لدى تقهقر الصهاينة على صاروخ ارض أرض ترك في أرض المعركة.

١٣:٢٠

القوة الآلية المهاجمة تعلق على جادة فؤاد الأول بين خطين متوازيين هما امتداد شارع محمد الحوت وشارع عبدالحفيظ الشعار. القوة الصهيونية العالقة تصاب بالارتباك أمام مبنى

السفارة التشيكية لعدم تمكنها من اجتياز دشم الحركة المدعمة بالفولاذ (أعمدة كهرباء كانت قد وضعت ضمن الدشم، وآلياتهم التي كانت ما تزال تحترق).

١٤:٠٠

قوات الحركة من الوحدات المركزية تبدأ هجوماً منسقاً بوحدات انطلقت من نقطة فرن الغزيري، والمكتب الرئيسي لمنطقة رأس النبع ووحدة كانت خلف حائط سباق الخيل ووحدات من المدفعية تساند الهجوم.

١٤:٢٠

وحدة خاصة من «قوات المرابطون» تفجر حائط مبنى شرق المحكمة العسكرية وتهاجم وحدة للعدو قرب مبنى السعيد وتشتبك معها على مسافات قصيرة.

١٤:٤٠

القوة المؤللة الصهيونية تحاول فك الحصار الثلاثي عليها والدبابات المشاركة تقصف مواقعنا بعنف بعد إصابتها بالإرباك، واثنتان من الآليات تصطدمان في ساحة المعركة.

١٥:٠٠

في نادرة خاصة بمعركة ٤ آب الطائرات الصهيونية تقوم بإلقاء قنابل فوق ميدان سباق الخيل. بعض الأخوة يظن أن العدو يقصف مواقعنا بقنابل حرارية.

١٥:١٥

في محاولة لفك الحصار عن الوحدتين المحاصرتين العدو يقصف بالطائرات محيط ساحة المعركة، وسقوط أحد الصواريخ خلف خط للعدو في أول فرن الشباك لجهة المتحف.

انتقال السجال العسكري الى قصف صاروخي ومدفعي. وحدات العدو تقصف بعنف جميع مواقعنا وراجماتنا ترسل حممها على مواقع العدو في شرق وجنوب سباق الخيل وعلى منطقة المتحف العدلية وعلى السوديكو الأشرفية.

١٦:٠٠

القوات الصهيونية تتمكن بعد قصف مدفعي عنيف من الانسحاب تاركة خلفها آليات محترقة وعتاداً حربياً. قواتنا تتراجع الى مواقع خلفية بسبب شدة القصف. التراجع كان شمالاً ولأمتار قليلة وفي دشم كان سلاح الهندسة في الحركة قد أعدها مسبقاً. قواتنا لا تتراجع من مواقعها على الخط الغربي/ الشرقي ومع خفة حدة القتال وتركيز العدو على إسقاط مواقعنا بفعل القصف بدأت وحداتنا بنقل إصاباتنا الى خارج مسرح العمليات.

١٧:٠٠ـ٢٠:٠٠

قواتنا تحصي ٨ دبابات ومجنزرات مدمرة على طول حائط سباق الخيل الشمالي ما عدا الآليات التي أصيبت في الخلف والتي سحبتها دبابات أخرى.

قواتنا تتأكد من أن جميع إصابات أفرادنا قد أحصيت تماماً وأن أحداً من عناصرنا لم يقع في الأسر.

٢٠:٠٠

القوات الصهيونية تبدأ هجوماً جديداً لمحاولة سحب آلياتها. القوة المهاجمة تستخدم جرافات وكاسحات ألغام. الهجوم بدأ بقصف على مختلف المواقع الامامية والخلفية للحركة.

٢٠:٢٠

اصطدام وحدة من قواتنا جميع أفرادها من أبناء منطقة عكار بالقوة المهاجمة. القوة المدافعة تدمر آليتين جديدتين للقوة المهاجمة. راجمات الحركة تعاود قصفها لبعض مواقع العدو.

٢١:٠٠

نسبة المعارك والقصف تبدأ بالتراجع وانتهاء الأعمال العسكرية على محور المتحف بشكل غير رسمي..

(موقع «حركة الناصريين المستقلين ـ المرابطون»، ٤ آب ٢٠٠٧)

«جبشيت» محطة نوعية في سجل المقاومة... واستشهاد إمامها أعطاها زخماً



بقايا ثياب جندي إسرائيلي قتل بعبوة ناسفة في جبشيت (١٤/١١/١٩٨٤).

تعتبر بلدة جبشيت الجنوبية من القرى الأكثر تمرداً على الاحتلال الإسرائيلي، وهي بعد اعتقال إمامها الشيخ راغب حرب واغتياله شكلت مفصلاً مهماً في سيرة المقاومة، وأحدثت نقلة نوعية في المواجهة بين الجنوبيين وبين الإسرائيليين.

من مقابلة مع إيناس حرب
زوجة الشهيد الشيخ راغب حرب

□ حدّثينا عن حياة الشهيد راغب حرب.

○ في بداية الاحتلال كان الشيخ في إيران، ثم جاء إلى لبنان بعد شهرين، وخلال الفترة التي وصل فيها الشيخ إلى جبشيت لم يكن الشعب في الجنوب قد توصل إلى كيفية التصدي لجيش الاحتلال، ولا هو يملك الخبرة للتعامل معه.

□ هل كانت خطاباته السياسية موجهة بشكل أساسي ضد الاحتلال، حيث دعا الناس إلى الجهاد ضد العدو؟

○ لم يفعل ذلك مباشرة، لأن الناس كانوا يخافون رؤية الإسرائيلي، ومن غير الممكن أن يطلب منهم الجهاد والنضال لأنهم لن يتقبلوا ذلك. ابتدأ معهم بالتدريج. دعاهم لإعلان رفضهم للمحتل. وبالفعل حصلت عدة تظاهرات ضد الإسرائيليين، وأحرقت الدواليب في الطرقات، وذلك قبل اعتقال الشيخ. أولى المظاهرات حدثت في جبشيت، ثم انطلقت القرى الأخرى.

□ ما هي مناسبة التظاهرة في جبشيت؟

○ جاء الإسرائيليون إلى البلدة لاعتقال أحد أبنائها، فتظاهر الأهالي وأشعلوا الحرائق.

□ بعيداً عن إلقاء الخطابات ننتقل إلى الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ. إسرائيل قتلته لأنه لم يكن

بالنسبة إليها رجل دين عادياً، وليس لأنه كان يتكلم ضدها، لأن العديد من رجال الدين هاجموا إسرائيل ولم تتعرض لهم. رأت إسرائيل أنه يبني علاقات هامة مع الشباب، هل تتفضلين بالحديث عن هذه العلاقات التي أقامها مع الشباب؟

○ أظن أن الإسرائيليين كانوا يعتقدون أنه يقوم بالتحريض ضدهم على المنابر. حتى نحن كنا نعتقد ذلك. إلا أنه تبين لنا بعد استشهاده أنه كان يقوم بنفسه ببعض العمليات بسرية تامة، حتى أنا لم أكن على علم بذلك. كان الإسرائيليون يظنون أنه يعمل على تحريض الناس من خلال خطاباته فقط.

□ **هل كانت هذه المرحلة قبل اعتقاله؟**

○ أجل، وكانت تسجل على شرائط.

□ **عندما اعتقل الشيخ في المرة الأولى، هل تتذكرين السبب المباشر لاعتقاله؟**

○ عندما كان الشيخ يلقي المحاضرات والخطب في جبشيت والبلدات المجاورة، نشط العملاء في مراقبته، وأخذوا ينقلون للإسرائيليين المعلومات عن نشاطاته وتحريضه ضدهم. فرغب الإسرائيليون لقاءه للتفاهم معه. فجاءوا إلى منزله للمرة الأولى. كان يجلس يومها مع صديق له على سطح المنزل. وصلت سيارة الجيب ونزل منها ٣ ضباط. عندما رآهم وقف على حافة السطح وقال لهم بنبرة عداء: «كيف أتيتم إلى هنا، ومن سمح لكم بالدخول إلى بيتي دون إذني؟» رد عليهم أحدهم: نريد مقابلة الشيخ راغب.

لم يعرفوه مباشرة، لأنه كان يرتدي بنطالاً وقميصاً عاديين.

رد عليهم: أنا راغب حرب.

طلبوا منه أن ينزل لمقابلتهم فرفض. عرضوا عليه أن يصعدوا فرفض أيضاً.

رد أحدهم: إذاً سنصعد بالقوة. عندما صعدوا، ووصلوا إليه مد الضابط يده لمصافحة الشيخ فرفض، وأبقى يديه خلف ظهره. غضب الضابط وقال له: لا تسلم علي لأني نجس؟

فقال له الشيخ نعم. طلب إليه الضابط الإسرائيلي أن يجلس للتحدث معه فرفض وقال لهم: أنا لا أريد التحدث معكم وليس بيننا ما يدعو للحوار. استمر الجدال على هذه الحال ربع ساعة. غضب الضابط الإسرائيلي ونزل إلى الطريق، وبقي الشيخ جالساً في مكانه. كان وقت صلاة الغروب قد حان. يلبس الشيخ ثيابه ويذهب للصلاة دون خوف. كانوا يريدون بعد هذه الحادثة مباشرة إحضار قوة لاعتقاله. عندما رأوه خارجاً للصلاة اقتربوا منه وسألوه: هل أنت ذاهب إلى الجامع يا شيخ؟ فلم يجب. ثم أعادوا السؤال: هل ذاهب للصلاة.. فلم يجب أيضاً. ثم سألوه: هل تعود إلى بيتك بعد ساعة؟

هز رأسه بالنفي. قال له أحدهم: أنت تعلم أن جيش الدفاع يستطيع القبض على أكبر إنسان؟ فرد عليهم: اللـه أكبر من الجميع. وتابع سيره.

بعد مرور أسبوع على هذه الحادثة، هجم الإسرائيليون على بيت الشيخ. صدفة كان الشيخ يومها في بيروت. كان الشيخ في تلك الفترة يتردد كثيراً على بيروت، وكانوا يداهمون المنزل عندما يعلمون بوجوده في بيروت، كل أسبوع كان البيت يتعرض لعملية تفتيش ومداهمة.

بعد فترة سبعة أشهر، كان الشيخ في زيارة لأحد أقربائه، وكان الوقت ليلاً، فهجموا على المنزل الذي كان فيه واعتقلوه. وكانت أعمال مداهمة منزلنا قد توقفت قبل اعتقاله بشهر. وعينوا عناصر ما سمي بالحرس الوطني. وكانوا يعمدون إلى التضليل لكي يلقوا القبض عليه.

□ **بعد حدوث عملية الاعتقال في اليوم نفسه حصل تحرك ضد هذا العمل، من الذي قام بهذا التحرك ومن دعا إليه؟**

○ إن اللـه قد ألهم الناس أن يقوموا بهذا التحرك، لأننا لم نكن قد مررنا بمثل هذه التجارب. فبمجرد انتشار خبر الاعتقال اجتمع كل الناس في الحسينية، وكان الإسرائيليون قد أشاعوا بأنهم سوف يخلون سبيله فور انتهاء التحقيق. فأجاب من في الحسينية أنهم لن يخرجوا منها إلا بعد إطلاق سراحه. استمر الاعتصام داخل النادي الحسيني عدة أيام. ووصل الشيخ «عبد الكريم» من بيروت إلى جبشيت، وأنشئت لجنة اعتصام، وأقيمت اتصالات مع الوزراء ومع القرى المجاورة، وأخذ حجم الاعتصام يكبر يوماً بعد يوم ليشمل مدن بيروت وطرابلس وبعلبك وكل لبنان. وقد أجبر الاعتصام اليهود على إطلاق سراح الشيخ. وبعد ذلك، لم يعد يجدي الاعتصام كوسيلة ضغط، فعندما اعتقل الإسرائيليون الشيخ عباس حرب، استمر الاعتصام شهراً، ولم ينفع في الإفراج عنه..

□ **كيف حدثت عملية الاستشهاد؟**

○ لم تكن إقامته في جبشيت طويلة، حتى أنا لم أكن على علم أين يقيم، سوى ليلة الجمعة، حيث كان يحضر بشكل أكيد لإقامة الصلاة في جامع جبشيت، وقراءة الدعاء. ليلة استشهاده كان في الحسينية، وبعد قراءة الدعاء كان يزور أحد أصدقائه ثم يأتي إلى الحي، دون حراسة، بالرغم من العرض الذي قدم له بهذا الشأن. كان يعرف أن حياته معرضة للخطر. وإن رافقه حراس، فمن الممكن أن يقتل الحرس بدلاً منه. كان التيار الكهربائي مقطوعاً منذ أسبوع. وربما كانوا قد قطعوه. كان الشيخ يتناول الإفطار عند الجيران. وعندما أراد الخروج، طلب منه صاحب الدار أن يبيت عنده فرفض.

خرج من البيت مع شخص آخر. كان الإسرائيليون يترصدونه لاغتياله. وبمجرد خروجه من عتبة البيت، أطلق الإسرائيليون عليه النار، سمعنا صوت الرصاص. لكنه بدا بعيداً.

□ **هل خاف الناس بعد اغتياله؟**

○ بعد عملية الاغتيال، اقتحم الإسرائيليون جبشيت بالدبابات والملالات، وطوقوا البلدة، التي واجهتهم وسقط خلال المواجهة ٢٠ شخصاً بين قتيل وجريح. وكان بين القتلى خال الشيخ راغب. لم يخف أهل البلدة. كان الكل مقتنعاً بضرورة الجهاد والنضال ضد العدو. حتى الأمهات. والأم التي يستشهد ولدها كانت تقول: طالما الشيخ قد قتل، ابني ليس أحسن منه..

من مقابلة مع السيد موسى فحص
رفيق عمر الشيخ الشهيد

□ **تجربة جبشيت مميزة على صعيد تربية الشخصية الإسلامية، كيف تمت «صناعة» هذه التجربة، ولماذا نجحت جبشيت على هذا الصعيد أكثر من غيرها؟**

○ ..كانت الفترة الزمنية ما بين ١٩٦٧ و١٩٧١ فترة مخاض بالنسبة الى التيار الإسلامي في هذه البلدة. فبعد عام ١٩٧١، تفرق الشباب المؤمنون في جبشيت، وتوزعوا على مدارس النبطية، واختلطوا مع شباب القرى، وأقاموا معهم علاقات، فانتقلت الحركة الإسلامية بذلك إلى بعض القرى، وأصبح هنالك تيار إسلامي في ثانوية النبطية ودار المعلمين، وكان ينظر إلى هذا التيار من الأطراف السياسية بارتياب.

□ **ما هي علاقة هذا التيار برجال الدين الشيعة؟**

○ كان هناك علاقة تربوية تثقيفية مع الإمام موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل اللـه والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكانت علاقتنا بهؤلاء العلماء الرئيسيين علاقة تعلم. كانت لهم مكانة في جبشيت، وكان لجبشيت عندهم المكانة نفسها. كنا نستشيرهم في كل الأعمال التي نقوم بها. وكنا نحضر محاضراتهم، وتسجيلات هذه المحاضرات موجودة لدينا، وكنا ننقلها من واحد إلى آخر.

كنا نشكل تياراً في جبشيت، وقد أطلق أهالي البلدة علينا اسم الشباب المؤمن. ومنذ ذلك الحين، كنا نطرح جميع الشعارات المطروحة الآن على الصعيد الإسلامي، أو في الأوساط الثورية، أو شعارات الجمهورية الإسلامية. وكانت سهراتنا تقام في خيمة الشيخ راغب، يحضرها شباب من «حاروف» و«النبطية» وغيرهما. كنا نطرح الطروحات الحالية منذ عام ١٩٧١، وناقشناها كثيراً مع آخرين ينتمون الى قيادات تعارض الطروحات الإسلامية.. وخلال الفترة الجهادية، عندما كانت جبشيت تحت الاحتلال كان الشباب في جبشيت على أحسن ما يكون من التضامن ووحدة المواقف والأهداف. تلك هي خاصية جبشيت.

□ **متى أصبح الشيخ راغب حرب إماماً للبلدة؟ ومتى بدأ يستقل عن حركة «أمل» في السياسة والممارسة؟**

○ كان يشرف عليها، وكان يحضر اجتماعات القيادة في منطقة النبطية، ويصدر توجيهاته، ونحن بالأصل، لا ندين حركة «أمل» لكننا وجدنا أننا لا نستطيع خدمة توجهاتنا من خلال وجودنا في الحركة. فانفصالنا عنها لم يكن موقفاً معادياً لها، بل كان موقفاً يندرج في خدمة توجهنا بالشكل الأفضل. لذلك لم تكن حركتنا انشقاقية، بل اعتبرنا أن علينا رسالة يجب أن نؤديها. وبعد ذلك استمر التعاون مع الحركة، ولكن سحبنا تغطيتنا لعدد من المواقف.

□ **متى حصل ذلك؟**

○ بين عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨.

□ **متى أصبح الشيخ راغب إماماً للبلدة؟**

○ جاء الشيخ عام ١٩٧٥، وكان ينتقل بين بلدتي جبشيت والشرقية، وقبل الاحتلال بحوالى سنة ونصف أو سنتين، استقر في جبشيت إماماً للبلدة.

□ **عند وصول الشيخ إلى جبشيت كانت هناك بنية قائمة من الشباب المؤمن؟**

○ عندما كان في النجف كنا على اتصال دائم به عن طريق الرسائل، وكان على علم بأخبارنا وتحركاتنا ونشاطاتنا.

□ **هل يوجد لديك واحدة من هذه الرسائل المميزة، يتحدث فيها عن مواقفه من قضايا أساسية؟ وهل بإمكاننا تصويرها؟**

○ نعم. منذ عام ١٩٦٩، طرح الشيخ اقتراحاً يقضي بتطوير وتنظيم تحركنا، ويومها أنشأنا شبه منظمة. ولكن بعد فترة قصيرة قررنا أن عملنا لا ينبغي أن يكون تنظيمياً إنما يجب أن يبقى عاماً وشاملاً..

□ **عندما أتى الشيخ راغب، كيف تعامل مع هذه الأمور وكيف كان ينظر إليها من وجهة التكتيك أو الاستراتيجيا؟**

○ قبل وصوله، بلغنا رسالة مشتركة منه ومن السيد هاني فحص، كانت الرسالة صغيرة، وقالا لنا فيها بأن لا نتعامل مع إسرائيل، وأن لا نبتسم لهم بهدف تحصين الناس ضد الإسرائيليين. وعندما وصل الشيخ ذهبنا لاستقباله، وفور وصوله **سألنا مباشرة عما فعلناه، فأجبنا أننا ما زلنا في بداية الطريق، فقال: لقد جاء الوقت المناسب لخوض الحرب**

الحقيقية مع إسرائيل. ركز الشيخ راغب فوراً على موضوع المقاومة العسكرية، كان هذا همه الأول. وقد مكنته علاقاته الواسعة من أن يسبقنا بأشواط كبيرة في تأسيس وتنشيط التحرك، وشارك شخصياً في العمليات العسكرية والتحضير والتخطيط لها. كانت الأيام الأولى من مجيئه عبارة عن استكشاف بالنسبة اليه وتحول بالنسبة الى الجو العام في البلدة: فمراكز القوى الاجتماعية التي كانت تأتي إلى الحي وتحاول تهميش التيار الإسلامي ذابت بمجرد وصول الشيخ راغب، فساد شعور بامتلاكنا للقوة الاجتماعية. بدأت جبشيت تأخذ طابعاً مغايراً لما كانت عليه قبل مجيئه، وأصبح الموقف ضد إسرائيل يصرح به بشكل علني. لم نكن نتحدث عن الأمور العسكرية، أو نأتي على ذكرها في الخطب، وبعد اعتقال الشيخ راغب صرحت في إحدى الخطب أننا لا نملك أية قوة عسكرية.

طرح الشيخ خطين للعمل: الأول: الخط العسكري، وهو الأهم، وفي هذا الإطار رفض الشيخ بأي شكل من الاشكال قتل العملاء. كنا نقول له إن هؤلاء هم عيون إسرائيل علينا وخطرهم علينا أكبر من خطرها، ولكنه كان يرفض لأن مجتمعنا قائم على أسس عائلية، وأن إسرائيل تريد محاربتنا في أولادنا وأهلنا وأخواننا..

□ في تلك الفترة كانت المفاوضات اللبنانية ـ الإسرائيلية بشأن اتفاق ١٧ أيار قد بدأت، هل تناول الشيخ في خطابه هذا الموضوع؟

○ تحدث عن هذه المفاوضات عدة مرات أما في احتفالات عامة أو في جلسات خاصة. ما فعلناه في تلك الفترة أن كتبنا «يافطات» بأنه لا خيار لنا إلا خيار المقاومة، وهذا ما أعاد إطلاقه الشيخ راغب كشعار في إحدى خطبه بعد الإفراج عنه. وكان يقول إذا لم نقاوم فسننتهي، لأن من يتساهل ويتهاون مع العدو، فسيبقى محتقراً ومستغلاً، وبمجرد أن يكون موقفنا قوياً فإن إسرائيل لا تستطيع أن تفرض علينا شيئاً.

□ ما هي علاقة الفريق الذي كان يعمل مع الشيخ بالعمل العسكري المباشر؟

○ الحقيقة أني كثيراً ما كنت أقول للشباب، وبشيء من الأسف: نحن كبرنا عن سن الشباب وجئتم أنتم في ظروف العمل العسكري، وخلال شبابنا لم نتلق دورات عسكرية كما حصل للشباب، لذلك اقتصر الدور على المسائل التحضيرية.

□ كيف كان يتم تدريب الشباب الذين يشاركون في العمليات العسكرية؟

○ أكثرهم تدرب خلال العمليات في البداية، وكان هناك سلاح مطمور في الأرض، أو في أشجار الصبير، وهو السلاح الذي استطاع الشباب إخفاءه في أول الاجتياح. نحن كنا ضد تسليم السلاح، جرى في جبشيت تسليم ربع السلاح الموجود، والباقي تم إخفاؤه..

□ ما هو الدور الذي تلعبه حالياً شبكة العلاقات التي بناها الشيخ؟

○ العمل الذي نقوم به الآن، وننجح بتصديره إلى القرى، هو تغليب مقاومة إسرائيل بالحفاظ على التوجه الإسلامي الذي كان سائداً في فترة السبعينات، وتحويل كل جهادنا في سبيل الإسلام، وقد طرحنا ذلك على الناس، حتى أن خطب الشيخ في ذلك الحين كانت تعبيراً عن هذا الموقف، حيث كان يقول: لا خلاص لنا إلا بالإسلام، ولا غد أفضل إلا بالإسلام.

□ هذا الأمر يتعلق ببناء الشخصية الإسلامية، ولكن ينبغي إيجاد ظروف موضوعية لبناء هذه الشخصية، وهذه الظروف تتطلب طرح شعار سياسي، فما هي طبيعة هذا الشعار السياسي في المرحلة الراهنة بعد عملية التحرير؟

○ المهم مواصلة القتال لأن إسرائيل لا تزال في أرضنا نحن نؤيد ظاهرة المقاومة الإسلامية التي قرر الأخوة الجاهدون الإعلان عنها قبل انسحاب إسرائيل، كما ظهرت المقاومة المؤمنة التي تضم مجاهدين فعالين ومؤمنين يؤيدون المقاومة الإسلامية.

□ ما الفرق بين المقاومة الإسلامية والمقاومة المؤمنة؟ ولماذا لا يشكلون مقاومة واحدة؟

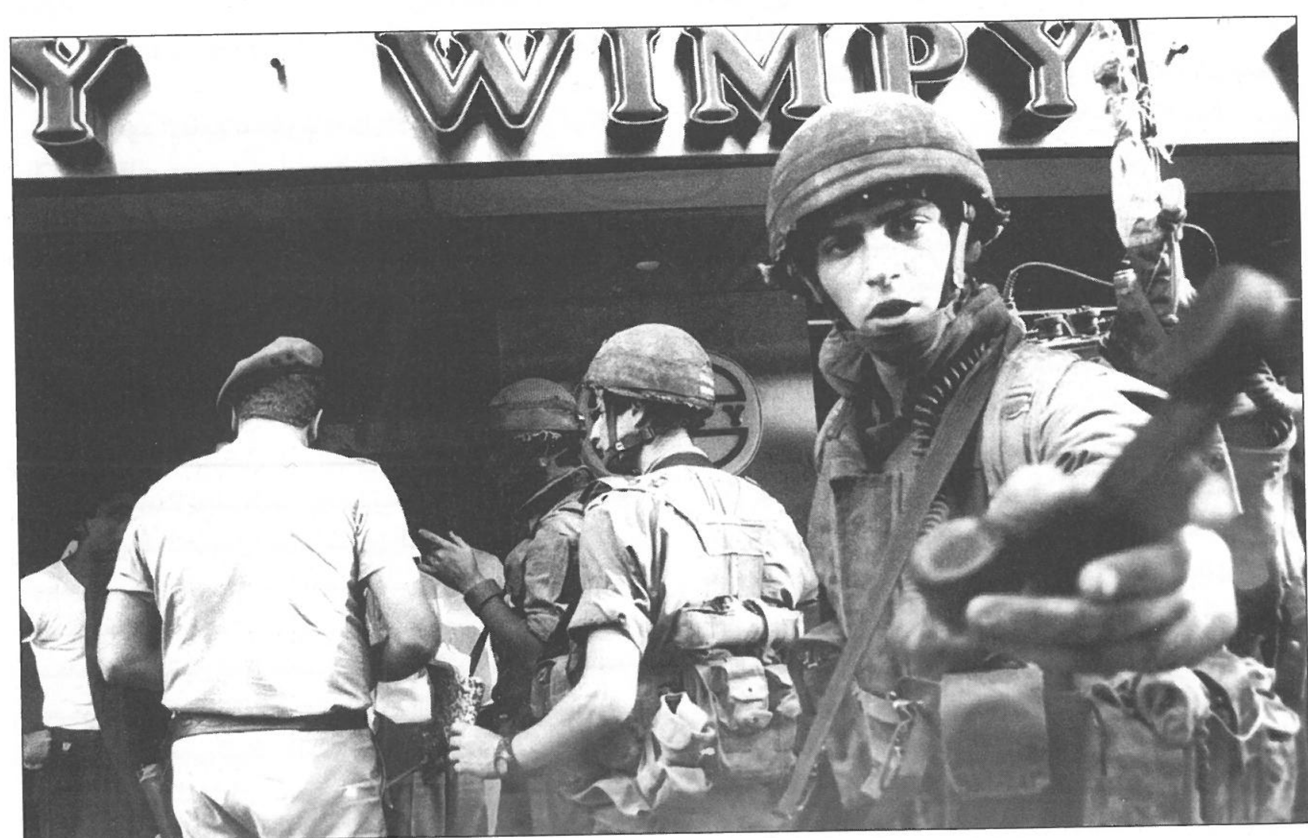
○ هما في الواقع مقاومة واحدة. لكن ظروف شباب المقاومة المؤمنة تختلف عن ظروف شباب المقاومة الإسلامية وبينهما تعاون وثيق. يحاول الشباب في المقاومة المؤمنة أن يستخدموا أكبر قدر من الطاقات المادية والمعنوية من جميع الأشخاص الذي يمكن الاتصال بهم.

□ هل أصبحتم بعد غياب الشيخ راغب بحاجة إلى تنظيم؟

○ اكتفينا على المستوى التنظيمي بما هو موجود، واعتبرنا أن المسألة التنظيمية لا تهمنا بقدر ما تهمنا المحافظة على التوجه .. واستطعنا بث الأفكار الإسلامية بخبرة، والمحافظة على قدسية التوجه الإسلامي ضد إسرائيل. وفي أكثر الخطب والاحتفالات كان هناك من يتحدث عن هذا التوجه .. ونحن نعتبر أن هذا انتصار لأفكار الشيخ راغب حرب .

(سويدان ناصر الدين وروجيه نبعه،
«السفير»، ٢٤/٧/١٩٨٦)

شهادتان من شيوعي وقومي
عن أيام الاحتلال والحصار في الإقليم وبيروت



عملية خالد علوان في مقهى الويمبي في شارع الحمراء في بيروت (٢٥/٩/١٩٨٢)

-١-

الاسم: كمال دمج.

الانتماء: مسؤول تنظيمي في قيادة «الحزب الشيوعي» في إقليم الخروب.

□ هل يمكن إعطاؤنا فكرة عن الخريطة السياسية للإقليم عشية الاجتياح؟

○ ينتمي إقليم الخروب الذي يشكل جزءاً من جيل كمال جنبلاط بخارطته السياسية إلى الخط الوطني العام الذي شكله الشهيد كمال جنبلاط، والذي، تحت لوائه، انخرطت كل القوى الوطنية والتقدمية والسياسية في المواجهة مع المشروع الفاشي الانعزالي، وفي التصدي لكل المشاريع التقسيمية التي حاولت أن تجذر القسمة والفرقة على أسس المذهبية، وما زال الإقليم حتى الآن يؤكد هذا الانتماء السياسي للجيل الوطني، جيل كمال جنبلاط، وللانتماء للمشروع الوطني العام.

أما بالنسبة الى القوى التي كانت موجودة في الإقليم عشية الاجتياح، فمنها بالطبع بعض فصائل المقاومة الفلسطينية، إضافة الى الأحزاب والقوى التقدمية مثل «الحزب التقدمي الاشتراكي»، و«الحزب الشيوعي» و«منظمة حزب البعث»، وبعض «الفصائل الناصرية» الموجودة على ساحة الإقليم أيضاً.

□ هل كانت توجد في الإقليم قواعد عسكرية؟

○ كانت هناك بعض المراكز العسكرية، ومنها قاعدة عسكرية كبيرة لـ«الحزب الشيوعي اللبناني»، في منطقة مرج برجان وتسمى العنية.

□ هل كانت للتنظيمات الفلسطينية قواعد عسكرية في الإقليم؟

○ كان هنالك وجود تنظيمي، ولم يكن هناك وجود عسكري.

وذلك من خلال أشخاص لبنانين يتواجدون في الإقليم، وينتمون إلى بعض التنظيمات والفصائل الفلسطينية التي يتم التنسيق معها والعمل في إطار التنظيمات الفلسطينية الموجودة على الساحة اللبنانية.

□ هل كان يوجد، في الإقليم، مراكز للمدفعية البعيدة المدى؟

○ لم يكن يوجد أية مراكز للمدفعية البعيدة المدى للمقاومة الفلسطينية.

□ هل قاوم الإقليم عسكرياً خلال الاجتياح؟

○ إن الإقليم هو جزء أساسي من المناطق الوطنية. ولكن لم نكن نعتبر أن المعارك العسكرية الأساسية ستكون في الإقليم، بل كنا نقول إنها ستحدث في الجنوب، ولذلك لم نكن مهيئين لخوض المعارك العسكرية. إن موازين القوى في هذه المعركة لم تكن متكافئة. ولذلك، توغل الجنود الإسرائيليون في المناطق اللبنانية دون أن يلقوا مقاومة تذكر من القوى المعنية بقضية المواجهة مع الإسرائيليين. إن هذه السياسة الإسرائيلية التي اعتمدت سياسة الدخول إلى العمق، وعملية ضرب الخطوط الخلفية للمقاومة الفلسطينية، وبعض المراكز الوطنية، ساهمت في هذا الإرباك الحاصل على المستوى العام، ما لم يعط القوى الوطنية الموجودة في الإقليم الفرصة الضرورية. ثم إن الدفاعات العسكرية لم تكن جيدة أساساً، كدفاعات عسكرية. هذا الجو السياسي والاجتياح الذي اتخذ في المراحل الأولى طابع الحسم العسكري، والانكفاء الذي شهدته المحاور الأساسية في الجنوب اللبناني، ومن بعض المواقع الأساسية الأخرى انعكس سلباً على عملية المقاومة للاجتياح الإسرائيلي، حيث إن هذا الوضع ترك الإقليم الغني بطاقاته وإمكاناته في موقف الصامت، بل وعدم المواجهة، ودفع بالقوى الوطنية تحت بعض التأثيرات الخاصة والعامة إلى اتخاذ القرار بعدم المجابهة. وكان هذا القرار نابعاً من عدم جدوى القتال في ظل هذه الوضعية، حيث وصل الإسرائيليون إلى مشارف الإقليم دونما مقاومة.

□ إذا كان يقضي القرار بعدم التصدي العسكري؟

○ لم يصدر قرار بعدم التصدي، فقد كانت كل القوى الوطنية بما فيها «القوى الوطنية للإقليم» موجودة. كما حصلت بعض المواجهات مع العدو من خلال عملية السدود النارية، حيث استطاعت بعض مرابض المدفعية من عيار ١٢٢ ملم أن تضرب وتعيق تقدم العدو إلى مشارف الإقليم.

□ كيف أعيق التقدم والجيش الإسرائيلي وصل من الأولي إلى الباروك خلال ٨ ساعات؟

○ كان التأثير نسبياً بحدود الإقليم، كمنطقة صغيرة، ولم نكن نملك الأسلحة الضخمة، كل ما لدينا في الإقليم هو فصيلة مدفعية من عيار ١٢٢، وقد استطاعت هذه الفصيلة أن تؤخر عملية تقدم العدو، سواء نحو خلدة أو نحو بيروت أو نحو الإقليم. هذا يؤكد وجود تصميم لدى القوى الوطنية والتقدمية في الإقليم على مجابهة العدو الإسرائيلي، لو توفرت الإمكانيات.

□ هل تم سحب هذه المدافع أم تمت مصادرتها؟

○ لقد تم تعطيل القسم الأكبر منها، وذلك، بعد أن تبين أنها ليست قادرة على الاستمرار في عملها... لقد تم تعطيلها، وتركت في مرابضها.

□ يقال إن مزرعة الشوف هي البلد الوحيد في الإقليم الذي تصدى للعدو، فمن هو الذي تصدى بشكل حقيقي؟

○ إن مزرعة الشوف لا تعتبر من الإقليم، بل هي في الشوف. وبشكل عام، لم تحدث أية مجابهة عند اجتياح أية قرية من قرى الإقليم. وتجلت هذه المجابهة بمحاولة القصف من مرابض المدفعية الموجودة في الإقليم.

□ وبالنسبة الى مزرعة الشوف؟

○ لا أملك معلومات واضحة في هذا المجال.

□ وصل الإسرائيليون إلى بيروت، وأصبح الإقليم منطقة محتلة كيف تعاملتم مع هذا الوضع؟

○ عندما أصبح الاجتياح الإسرائيلي أمراً واقعاً بالنسبة الى كل قرى الإقليم عمدت القوات الإسرائيلية إلى السيطرة على بعض المواقع في ضواحي الإقليم، ولم تدخل مباشرة إلى الإقليم. هنا، لا بد من الإشارة إلى الدور الذي لعبه عملاء إسرائيل، حيث إنهم قدموا للعدو الإسرائيلي كل المعلومات التي يحتاجها عن وضع الإقليم. لقد رابطت القوات الغازية المكلفة موضوع الإقليم بجانب المعمل الحراري في الجية. وكانت الأخبار التي ترد إلى الإسرائيليين تفيدهم بأن المقاومة في برجا كبيرة. ولا يستطيع الجيش الإسرائيلي دخولها إلا بعد حدوث معركة عنيفة... ولقد دفعت هذه الأخبار بالجنود الإسرائيليين وبقيادتهم إلى الاتصال بالمختار، وبعض الفعاليات حيث أبلغتهم أنها تريد الدخول إلى البلدة بطريقة سلمية. وقد أجابوها: ليس هناك أية نية في البلدة لمقاومة الجيش الإسرائيلي، ويمكن الدخول إليها كما يتم الدخول إلى بعض قرى الإقليم. ولكن الإسرائيليين، خافوا من برجا.. فهم لم يدخلوا إلى البلدة إلا بعد أن تعهد المختار لهم بأنه لا وجود للمقاومة في البلدة. بعد ذلك حاول الإسرائيليون الإيحاء للمواطنين بأنهم يستهدفون «المخربين»، الفلسطينيين وليس المواطن اللبناني، وعمدوا إلى اتباع بعض الطرق النفسية كتوزيع الشوكولا على النساء والأطفال محاولين بذلك إظهار نواياهم الحسنة تجاه الشعب اللبناني والقوى الوطنية والشباب المنخرطة في الأحزاب السياسية اللبنانية. وهذا دفع القوى الوطنية، ومنها قيادة «الحزب الشيوعي اللبناني» في إقليم الخروب إلى اتخاذ التدابير الاحترازية مثل تخبئة السلاح، وكل المعدات العسكرية التي يمكن استخدامها في القتال في مخازن سرية. لأننا في الواقع، كنا نقول بضرورة مقاومة هذا

الجيش الذي احتل الأراضي اللبنانية. واتخذنا بعض الإجراءات بالنسبة للرفاق القياديين المعروفين لدى عملاء إسرائيل، مثل التخفي وعدم الظهور مباشرة،... ولا بد من الإشارة، إلى أن دخول الإسرائيليين إلى برجا وقرى الإقليم لم يرهب أهالي إقليم الخروب.

□ هذا ما فعلتموه، على المستوى العسكري، من تخبئة سلاح وغيرها... ماذا فعلتم، في تلك المرحلة على الصعيد السياسي؟

○ بالنسبة الى التدابير التي جابهنا بها هذه السياسة الإسرائيلية كانت هناك حملة هجومية سياسية على العدو الإسرائيلي تمثلت بإبلاغ الرأي العام بأنه لا يمكن تسليم السلاح الذي طالب به الإسرائيليون. كما تم الاتصال بباقي الأحزاب والقوى الوطنية السياسية، ونسقنا فيما بيننا وأقمنا اتصالات شخصية وفردية، وحاولنا أن نستنهض الواقع الجماهيري في مواجهة العدو، وعدم إظهار هذا العدو بمظهر القوة القادرة على إسقاط أكبر عدد ممكن من الناس العاديين الذين قد يلجأون إلى التعامل معه، ذلك أن بعض الشبان قد تعاملوا مع العدو، سواء عبر إيصال المعلومات، أو عبر إرشاده إلى أماكن وجود مخازن الأسلحة.

□ هل يمكن أن تحدثنا عن أول احتكاك، بين الأهالي والإسرائيليين؟

○ بعد تمركز العدو الإسرائيلي في ضواحي الإقليم أنشأ قاعدة له على مفترق بعاصير ـ برجا، وكذلك في بعض المواقع الأخرى، وعمد في البداية إلى تهيئة الأوضاع لتنفيذ مآربه، وحاول الظهور بمظهر الذي لا يستهدف القوى الوطنية. بعد فترة، عمد العدو الإسرائيلي إلى تطويق الإقليم، وبخاصة بلدة برجا. ففي الساعة الخامسة من صباح أول تموز عام ١٩٨٢، دعا الجيش الإسرائيلي الأهالي للتجمع في ثلاثة أماكن... للنساء والرجال من سن الـ ١٥ إلى سن الـ ٦٠ عاماً. وذلك تحت ضغط التهديد، باقتحام المنازل. لقد استطاع، عبر ذلك أن يخلق جواً نفسياً أرعب المواطنين. والدليل على ذلك أن العدو استطاع جمع القسم الأكبر من أهالي البلدة في الأماكن المحددة وفي حضور العملاء وقادتهم، ولقد تم اعتقال المئات. في برجا، تم اعتقال ٣٠٠ رجل وشاب، ونقلوا إلى «معتقل ظهر المغارة» الذي يقع بالقرب من الدبية التي يوجد فيها مركز للمخابرات الإسرائيلية. وهناك تم إطلاق تسعين شخصاً من المعتقلين بينهم بعض الشباب الذين ينتمون إلى الأحزاب الوطنية. أما من بقي في الأسر، فقد أخذ إلى «معمل صفا» في منطقة الزهراني، ومن هناك تم نقلهم إلى الأراضي المحتلة. وفيما بعد نقلوا إلى «عتليت»، حيث قام هؤلاء المعتقلون بتجهيز «معسكر أنصار».

لقد جرى الاحتكاك الأول صبيحة الأول من تموز حيث اشتبكت الكثيرات من النسوة مع جيش الاحتلال الإسرائيلي. ولقد مزق المتظاهرون ثيابهم تعبيراً عن موقفهم الرافض لاعتقال العدو التعسفي لأبنائهم. فيما بعد، تداعت الأحزاب والقوى الوطنية الموجودة في برجا إلى الاتصال ببعضها، وكان هناك قرار بأن يتم التعبير جماعياً عن رفض السياسة الإسرائيلية.

□ ما هو المقياس الذي اعتمده الإسرائيليون في عمليات الاعتقال؟

○ كانوا يعتمدون على الإشارة التي يوعز بها العملاء الذين كانوا يتواجدون سراً في ملالة. وبعد أن يتم تجميع المعتقلين في الساحات تنقلهم الباصات الإسرائيلية العسكرية إلى المعتقلات. ولذلك اتخذنا قراراً بالقيام بتظاهرة في برجا ترفع الشعارات المعبرة عن رفضنا لهذه الممارسات وتؤمن إيصال هذا الرفض للرأي العام.

□ كيف وجهتم الدعوة؟

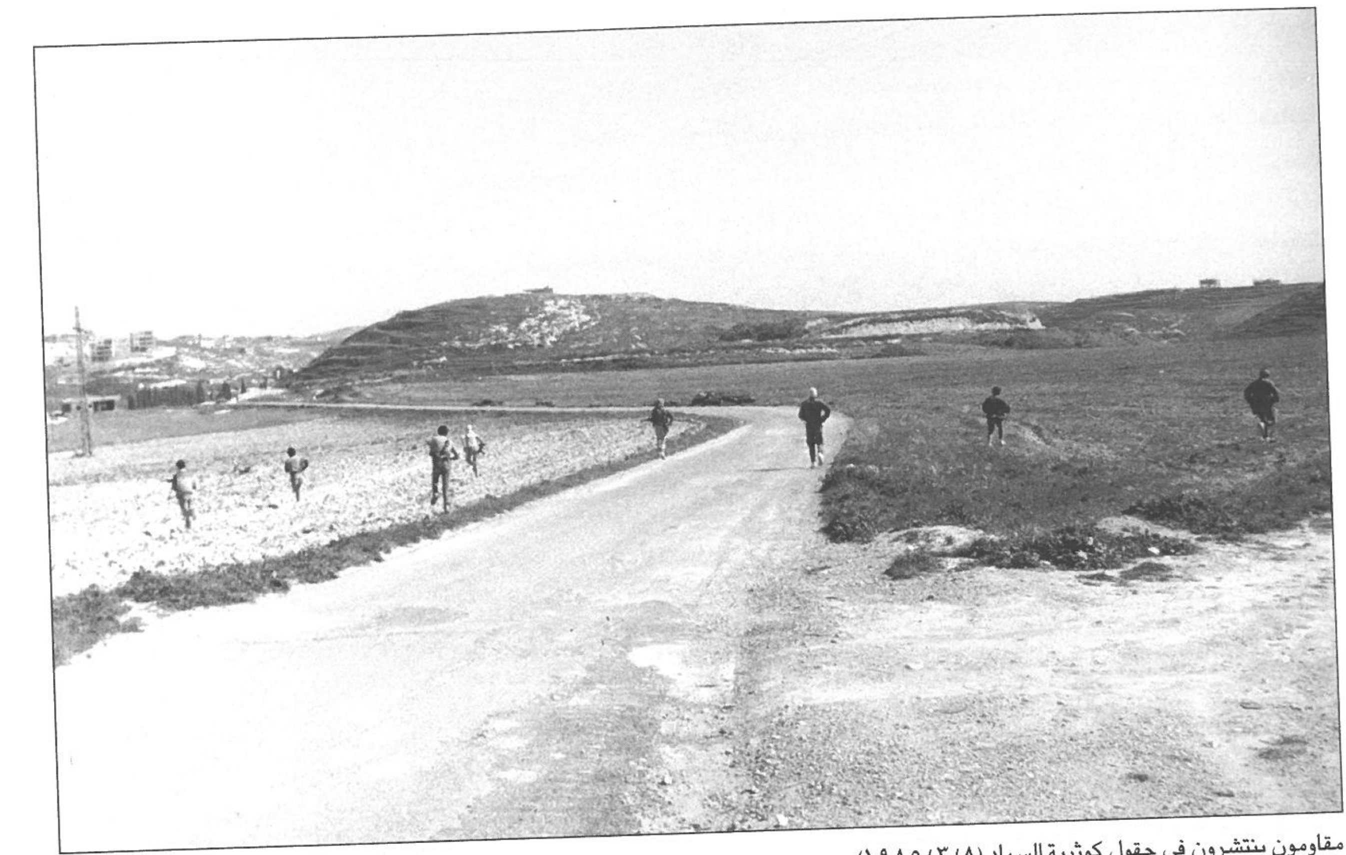
○ من خلال الرفيقات والأصدقاء الذين كانوا حولنا، وتمت التبليغات بطريقة فردية لكل النساء اللواتي لهن أبناء في المعتقل. وكانت هناك تلبية واسعة لهذا النداء حيث تجمعت النساء أمام مركز البلدية لتشكل نواة لمظاهرة كبيرة نسبياً في ظل ظروف الاحتلال. وفي ظل هذا الارتباك الحاصل، والذي لم يواجهه العدو بمثل هذه الأعمال حتى يوم ٢ تموز اتجهت المظاهرة من ساحة برجا باتجاه الخط الساحلي، وحين وصلت عمد المتظاهرون إلى إحراق دواليب السيارات وقطع السير، وعندما وصلت دورية من «القوات اللبنانية» لتمنع إقفال الطريق جرى اشتباك بين إحدى النساء وأفراد الدورية مما أدى إلى طرد الدورية، وأقفلت طريق الخط الساحلي لمدة ساعة.

□ ما حجم هذه المظاهرة؟

○ كان هناك حوالى ٤٠٠ أو ٥٠٠ امرأة مع بعض الفتيان في مقتبل العمر، وهذه كانت أولى المجابهات الجماهيرية والشعبية للاجتياح.

□ ماذا حصل بعد تلك المظاهرة؟

○ لم تكن قضية المقاومة قضية الإقليم فحسب، بل كان موضوع المقاومة هاجس القيادة السياسية لـ«الحركة الوطنية» على صعيد الساحة ككل. من هنا، كان لا بد من العمل ضمن إطار البيان الذي أصدرته قيادات العمل الوطني والداعي لقيام «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية». لذا انطلقت المقاومة في الإقليم ضمن هذه المحاولات قبل الاتصال المركزي، وبناء صلة مركزية ضمن الإطار العام لـ«جبهة المقاومة الوطنية». ولم يكتب النجاح لهذه المحاولات بفعل ظروف وملابسات عديدة، حيث كان الاجتياح الإسرائيلي لا يزال في بدايته، كان هناك الكثير من الأوضاع التي لا تسمح بممارسة هذه الأعمال أو نجاحها. هذا بعد الإعلان السياسي عن قيام «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية»، والبدء بتنفيذ العمليات العسكرية التي



مقاومون ينتشرون في حقول كوثرية السياد (٨/٣/١٩٨٥)

انطلقت شرارتها من بيروت كعملية الصنائع، وعملية محطة أيوب.. وصولاً لهذا الجو الذي ساد منطقة الإقليم، والذي بدأ يشهد تنظيم خلايا «المقاومة الوطنية اللبنانية»، وبدأت مرحلة العمل المنظم في مواجهة العدو الإسرائيلي.

□ كيف ترجم هذا القرار إلى ممارسة عملية؟ وهل أن المجموعات العسكرية بدأت تنظم انطلاقاً من البناء التنظيمي أو إلى جانب هذا البناء؟

○ انطلاقاً من القرار المركزي بدأنا العمل بتنظيم خلايا من التنظيم الحزبي، ولكن بشكل مستقل عن هذا التنظيم، لتجهيزه للعمل ضمن إطار «المقاومة الوطنية اللبنانية».

□ هل تم ذلك عبر التنسيق مع الأطراف السياسية الأخرى أو بشكل مستقل؟

○ كانت هناك استقلالية عن الأطراف الأخرى، لكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك اتصالات ومشاورات وتنسيق في الإطار العام، وليس في الإطار التنفيذي الذاتي، للأعمال العسكرية التي قمنا بها فيما بعد ضد العدو الإسرائيلي. بعد تنظيم الخلايا، وتأمين الأسلحة والعتاد، كانت المواجهة تتم في ظل تعقد الوضع السياسي، وحساسية الموقف، وبخاصة موقف «الحزب التقدمي الاشتراكي» الذي كانت له ظروف خاصة لم تسمح له بالتحرك العسكري. وهذا لا يعني أنه لم يساعد في الكثير من الأعمال العسكرية ضد العدو الإسرائيلي.

□ ما هو البناء التنظيمي الذي اعتمده الحزب؟

○ اعتمد الحزب مبدأ التنظيم السري الذي يتميز بالعلاقة العمودية ما بين مسؤولي الخلايا ومسؤولي الأجهزة الأساسيين وما بين مسؤول الخلية وأعضاء الخلية، بحيث إن الرفاق الموجودين في الخلية نفسها لا يعرف بعضهم بعضهم الآخر إلا خلال تنفيذ العملية العسكرية.

□ بالنسبة الى اختيار عناصر الخلية، هل كان لعامل القربى دور في تركيب الخلية؟

○ لم تكن انطلاقة «جبهة المقاومة الوطنية» أو الانخراط في صفوفها بداية مشاركتنا في العمل العسكري. لقد شاركنا منذ بداية حرب ٧٥، وصولاً إلى تاريخ الاجتياح الإسرائيلي، وبداية انطلاقة «جبهة المقاومة الوطنية». كان لدينا الوقت الكافي لاختيار الكوادر والمقاتلين الذين يتمتعون بالخبرة والتجربة وبالانتماء الحزبي الصحيح والجيد ليكونوا أعضاء في صفوف «جبهة المقاومة الوطنية».

□ كيف كان يتم تأمين السلاح؟

○ كان السلاح موجوداً، ولكن بعض التجهيزات لم تكن موجودة، كالأجهزة المتطورة والمواد التي يمكن أن تستخدم ضد العدو الإسرائيلي، وكانت تؤمن عبر الاتصالات المركزية بقيادة «جبهة المقاومة الوطنية».

□ ما هو المبدأ القتالي الذي تم اعتماده، والذي كان يحكم سياسة العمليات، وكيف كان يتم اختيار الأهداف؟

○ في المرحلة الأولى، كان الهدف من العمليات العسكرية رفع المعنويات لجماهير شعبنا في إقليم الخروب، وتأكيد قرار المقاومة ضد العدو. فلم نكن نسأل عن مدى الخسائر التي ستصيب العدو، أو مدى الإصابات التي ستتحقق في إصابة هدف عسكري معين، لأن الهدف سياسي وليس عسكرياً. وهذا ما تجلى من خلال إحدى العمليات التي قامت بها مجموعة من «المقاومة الوطنية اللبنانية» على مفرق بعاصير، وقد كانت هذه العملية الأولى، والتي جاءت بعد محاولات عديدة، كانت تكمن خلالها مجموعات في «المقاومة الوطنية» ولا تحظى بصيد.

□ لماذا؟

○ لا أعرف بالضبط الأسباب، في تلك الفترة كان تحرك الإسرائيليين خفيفاً في الليل على الخط الساحلي في البداية، لم ننو مواجهة العدو الإسرائيلي داخل القرى، وكنا نحاول ضربه خارج القرى، وتحديداً على الخط الساحلي حيث توجد «القوات اللبنانية» وفي المناطق التي تقع تحت سيطرة هذه القوات. هذا ما دفعنا إلى تنفيذ العملية التي استهدفت قاعدة وجود العدو الإسرائيلي، والتي كانت أهدافها سياسية في المرحلة الأولى. وبالفعل حققنا الهدف السياسي، من خلال التساؤل الذي بدأ يشغل الكثير من القوى الوطنية والرفاق.

□ ما هي طبيعة هذه العملية؟

○ استهدفت هذه العملية العدو الإسرائيلي في بعاصير، وكانت شبه إغارة نارية، فمن خلال مسافة لا تتجاوز مئات الأمتار قامت مجموعة بضرب قذيفة «ب ٧» وأطلقت رشقات (بي.ك.سي) على القاعدة. واستمر هذا الهجوم بضع دقائق، ثم انسحبت المجموعة، وهذا ما حقق الهدف الذي تحدثت عنه من خلال التساؤل: من ذا الذي نفذ هذه العملية؟ وبدأت الاتصالات الفورية من الرفاق، ودون أن يسأل هذا الرفيق من له علاقة، أو هل هناك علاقة تنظيمية. ومن وجودنا في موقع المسؤولية، كانت الأسئلة تتوجه إلينا من الرفاق عن الطرف الذي قام بهذه العملية، ويبدون الاستعداد أيضاً للقيام بأعمال عسكرية ضد العدو، دون أن يعلموا بأننا معنيون بالمشاركة في العمليات القتالية ضد العدو. تعززت خلايا المقاومة، وأصبح هناك مجال أكبر لإمكانية اختيار أفضل العناصر في تنفيذ العمليات العسكرية.

□ بعد عملية بعاصير، كيف كنتم تنسقون ما بين الوضعين: الشعبي والعسكري؟

○ كان الهدف الأساسي من هذه العمليات العسكرية، التأثير في الروح المعنوية للعدو والقوات الموجودة في المنطقة، ورفع معنويات جماهير الإقليم، وهذا ما تجلى من خلال بعض الممارسات التي كانت تحصل ضد عملاء إسرائيل من تهديدات أو من محاولات مواجهة، بدأت كلامية في البداية، وهذا، استطاع أن يؤثر على معنويات الجماهير في الإقليم، بحيث إن هذه القوى الوطنية، والأحزاب التقدمية لم تحن رأسها أمام العدو وعملائه، وهذا ما شكل دعماً قوياً للمعنويات.

□ هل جرى تحرك شعبي واسع في غير برجا؟

○ جرت مظاهرات في شحيم، واحتجاجات على اعتقال العديد من شباب الأحزاب والقوى الوطنية، وكان هذا موازياً أيضاً للتحرك الذي حصل في البداية في برجا مع بداية حملات اعتقال الشباب الوطني في الإقليم.

□ ما هو موقف القيادات السياسية التقليدية، والمقامات الدينية في تلك الفترة؟

○ بعض المقامات والفعاليات التي لم تكن في الموقع المعني أساساً في المواجهة، أو في الموقع القيادي لهذا العمل، لا قبل الاجتياح ولا أثناءه. كانت في الواقع تحاول إبعاد شبح الاجتياح وممارساته، وهذا ما كان يبرز أحياناً من خلال الطلب من هذه المقامات والفعاليات بالاستكانة وعدم مواجهة العدو، خوفاً من ردات فعل العدو، ولكن هذه القيادات كانت تندد بالعدو الإسرائيلي وبسياسة الاجتياح، وكانت تطالب بموقف من هذا العدو بكافة الأساليب والأشكال.

□ هل جرى تنسيق بينكم وبينهم؟

○ بصراحة، لم يجر أي تنسيق معهم، ولكننا كنا نعقد بعض اللقاءات صدفة، نتناول خلالها الأوضاع بشكل عام.

□ ما هي تفاصيل عملية وادي الزينة؟

○ بعد العملية الأولى التي استهدفت قاعدة للعدو الإسرائيلي، تلاحقت العمليات العسكرية التي نفذت ضد العدو الإسرائيلي، فكانت سلسلة من العمليات العسكرية التي استهدفت قافلة للعدو عند معمل الجية الحراري، وذلك في شهر شباط. وأيضاً عملية أخرى عند مرفأ الجية الجديد والتي استهدفت باصاً للعدو حيث تمكن الهاجمون من إصابته إصابة مباشرة، ثم اصطدم بجدار شركة الكهرباء.

□ هل كانت هذه العمليات تتم من خلال نصب الكمين والهجوم بالأسلحة الصاروخية، والرشاشات، أو تم استخدام العبوة في تلك الفترة؟

○ نفذت العملية الأولى في شباط من خلال زرع عبوة، واستهدفت قافلة للعدو الإسرائيلي، أما العملية الثانية فقد استخدمنا فيها قذائف «أر.بي.جي». والرشاشات المتوسطة والخفيفة. بعد هذه العمليات عمد العدو إلى محاولة تقطيع أوصال التحرك لجبهة المقاومة والقوى التي كانت تنفذ هذه العمليات وفقاً لتصور العدو وقواته في الإقليم، كما عمد إلى فصل قوة من مركز بعاصير إلى مفرق وادي الزينة، كحاجز من السادسة صباحاً حتى الثامنة مساء. وقد أثر هذا الحاجز كثيراً في حرية التحرك وعمليات الاستطلاع في منطقة الإقليم كونها ضيقة، فالمسافة من السعديات إلى الأولي لا تتعدى عدة كيلومترات، ولا يمكن التحرك فيها بحرية في حرب تأخذ طابع

حرب الأنصار. فتجارب الشعوب في هذه الحرب كانت تقوم على مساحات هائلة، فكيف الحال في الإقليم الذي يمكن إمساكه بحاجز واحد أو حاجزين؟ ولمنع تقطع أوصال المنطقة بدأنا نخطط لضرب هذا الحاجز. جرت عمليات الاستطلاع بواسطة الرفاق والرفيقات الذين يعملون في صيدا والذين يمرون يومياً على هذا الحاجز فأخذت المعلومات الوافية عن عدد وعدة العدو على هذا الحاجز.

□ ما هو حجم القوة الموجودة على هذا الحاجز؟

○ كانت هذه القوة عبارة عن مجموعتين، وكل مجموعة ١٢ جندياً، تعززهم بعض الآليات. عندما اتخذ قرار مهاجمة هذا الحاجز، تمت كل الإجراءات العملية والقتالية من تجهيز السلاح إلى رسم الخريطة العسكرية، وبعد أن أنجزنا كل ما يتعلق بالموضوع اللوجستي التجهيزي، والتسلح، وانتقاء أفراد المجموعة، واكتمال الخطة وتحديد ساعة التنفيذ صباح ١٣ آذار ١٩٨٣.

استندنا في تنفيذ العملية إلى كمين الكماشة، فقسمنا المجموعة المهاجمة وعددها ستة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى مجموعة الإلهاء التي تمركزت عند الفرن الذي كان يبعد عن الحاجز حوالى ٢٠ متراً فقط، والمجموعة الأساسية، وكانت موجودة في مبنى «الأفريكات».

بعد شرح الخطة للمجموعة، انطلقت من أحد المنازل بسيارة كانت مؤمنة مركزياً لهذه الغاية، فمرت بعدد من المناطق إلى أن وصلت إلى هدفها الذي كان مرسوماً في الخطة، والقاضي بأن تكون السيارة متوقفة على بعد ٢٠٠ متر من تمركز المجموعة الأولى، بحيث تصبح عند انسحاب المجموعة إلى السيارة غير مكشوفة للحاجز الإسرائيلي، وهذا ما لم يتم التقيد به أثناء تنفيذ العملية، وكان ذلك إحدى الثغرات الأساسية في العملية، حيث وصلت السيارة إلى أقرب مسافة ممكنة عن الفرن، وبعد وصول العدو فتحت النار عليه بواسطة قذيفة «ب ٧» مرت بين الشاحنتين التي تنقل الجنود الإسرائيليين وقد اعتقد هؤلاء أن مصدر النار من جهة الفرن، بحيث تمكنت المجموعة الأساسية من اصطياد جنود العدو قنصاً، واستمرت المعركة لفترة ربع ساعة، لم توجه خلالها طلقة واحدة باتجاه مبنى «الأفريكات». واستطاعت هذه المجموعة إيقاع خسائر كبيرة في صفوف العدو. كما أن مجموعة الإلهاء استطاعت تدمير الشاحنتين تدميراً كاملاً وقتل أكبر عدد من جنود الحاجز.

□ ماذا أعقب هذه العملية؟

○ على ضوء الخسائر روى طبيب كان يمر في المكان أنه أحصى ١٢ حالة وفاة عدا الذين كانوا ينزفون في ساحة المعركة، وإضافة إلى الذين أصيبوا بجراح، ولم يسلم أحد من أفراد الحاجز. على ضوء هذه الخسائر الكبيرة، اعترفت إسرائيل بثلاثة قتلى وسبعة جرحى، وقيل أنه عقدت جلسة استثنائية لمجلس الوزراء الإسرائيلي للبحث في هذا الموضوع واتخاذ الإجراءات الكفيلة بعدم تكرار هذه هذه العمليات.

أثناء تنفيذ هذه العملية والتي لم يكن مخططاً لها أن تكون بهذا الحجم، لأن هذه العملية حصلت يوم الأحد في ١٣ آذار، وقد سبق هذه العملية تنفيذ عملية ثانية ضد جيش العدو في السعديات بواسطة تفجير عبوة ناسفة، ما دفع العدو إلى تعزيز الحاجز، وخلق ارتباكاً وخللاً في ميزان القوى بين المجموعة المقاومة وقوة العدو. وقد أدى ذلك إلى إصابة قائد العملية ورفيقه في مجموعة الإلهاء بجراح عند محاولتهم الخروج بالسيارة إلى الشارع العام، إلا أن السيارة لم تستطع أن تتخطى سوى مسافة لا تتجاوز الـ ٢٠٠ متر، بحيث أصبحت محجوبة عن مكان العملية بعدما استطاعت المجموعة الثانية أن تنسحب إلى مكان المجموعة الأولى، وتم تأمين سيارة لنقل قائد العملية إلى أقرب منطقة حيث أجريت له إسعافات أولية نقل بعدها إلى مستشفى بعقلين، ثم أخرج فيما بعد من المناطق الواقعة تحت الاحتلال بمساعدة بعض الرفاق من «الحزب التقدمي الاشتراكي».

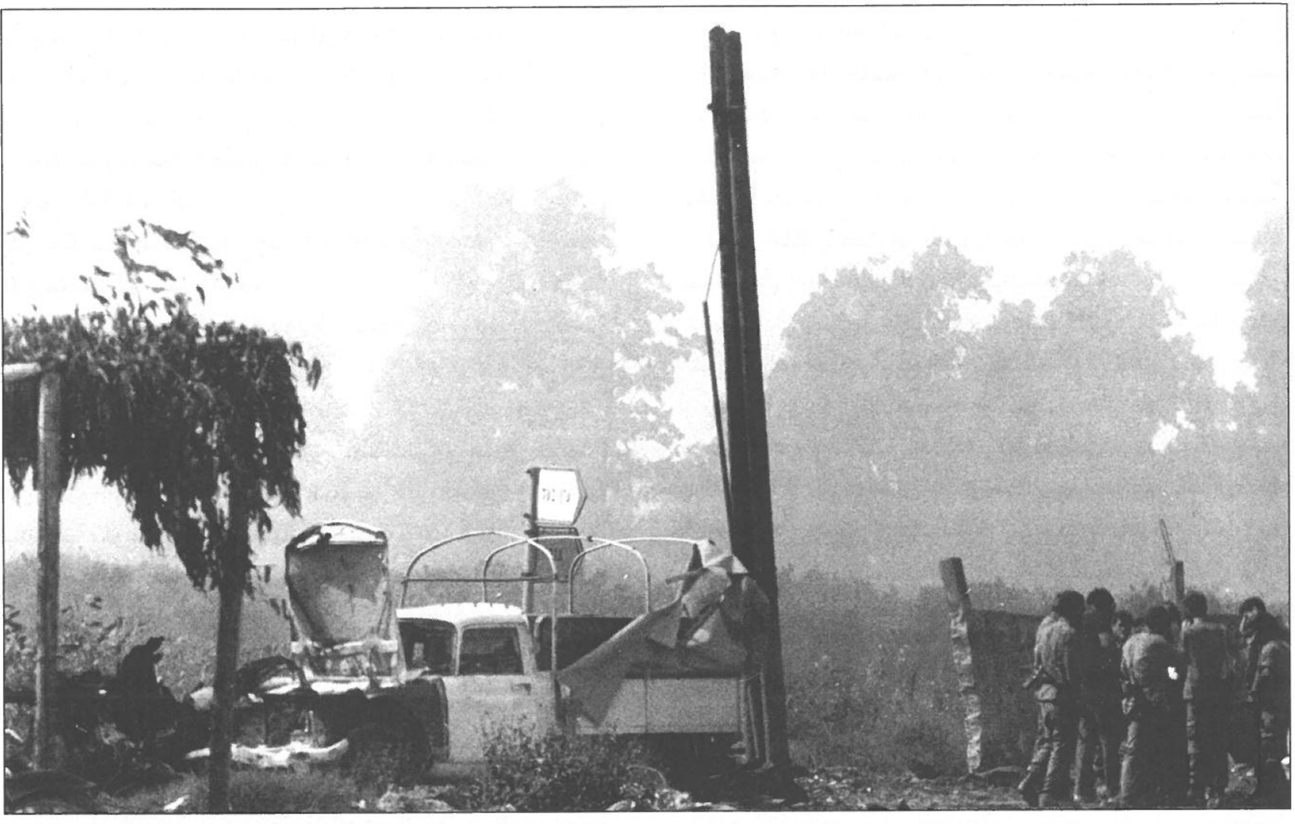
وقد اعتبرت هذه العملية من أكبر العمليات النوعية خارج إطار التفجيرات التي كانت تحصل.

ولقد استطاعت القوات الإسرائيلية كشف أسماء بعض الرفاق الذين شاركوا في العملية وذلك من خلال تعرف الكثير من المارة عليهم خلال العملية.

□ بدأت انتفاضة جبشيت في ١٩ آذار، هل كان هناك نوع من التساند والدعم المتبادل بينكم في الإقليم وبين جبشيت في الجنوب؟

○ هناك عملية ترابط جدلي في عملية الصراع ضد العدو الإسرائيلي، فلا بد لأية انتفاضة بسيطة من أن تؤثر وأن تعطي دفعاً للمناطق الأخرى. لم تتخذ إجراءات عملية مترافقة مع انتفاضة جبشيت بشكل مباشر. في تلك المرحلة، تغير سياق التحرك الجماهيري إيجابياً ولصالح «المقاومة الوطنية» ورفض الاحتلال.

بعد الانتفاضة التي حصلت في برجا في آذار سنة ١٩٨٣، انخفضت حدة القمع الإسرائيلي، ونشطت الحركة الجماهيرية في الإقليم، حصلت عدة تحركات في عانوت وشحيم ومزبود، هادفة إلى إطلاق سراح بعض المعتقلين المتهمين بالقيام بعمليات عسكرية ضد العدو، ولم تقتصر المشاركة في العمليات على قرية من القرى، وإنما تعدتها إلى عموم القرى. كما كانت المشاركة عامة من جميع الرفاق، ما أدى إلى حصول حملة اعتقالات واسعة، رافق ذلك حركة شعبية ناهضة شكلت رادعاً لممارسات العدو خاصة لجهة الاعتقالات، ما أربك العملاء وبدأوا يفكرون بمستقبلهم، وتفجرت الصراعات بينهم مما أدى إلى مقتل بعضهم، وذلك خوفاً من إمكانية إفشاء أسرارهم، وبهذا قدموا درساً نموذجياً لكل من تسول له نفسه بالتعامل مع العدو، بأن يكف عن هذا العمل.



من استهداف قافلة عسكرية إسرائيلية قرب قانا (٤/ ١٠/ ١٩٨٣).

□ ماذا فعلتم لفك ارتباط هؤلاء بالعدو؟

○ من الأفضل أن يبقى ذلك سراً.

□ هل تحول الإقليم إلى قواعد انطلاق، ومراكز تدريب للمقاومة؟

○ بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من الإقليم، لم يشل تنظيم «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» في إقليم الخروب، بل بالعكس، أصبح لديه إمكانيات أكبر للتحرك على مستوى العمل، إن كان لجهة إيصال السلاح والمعدات الحربية إلى الجنوب، أو على مستوى المشاركة بالعمليات العسكرية ضد العدو الإسرائيلي التي قامت بها جبهة المقاومة الوطنية، التي استطاعت أن تؤدي دوراً كبيراً في أعمال المقاومة، وأن توجه الضربات العسكرية للعدو ومن بينها العملية التي استشهد خلالها الرفيق محمد صالح في بسري خلال قيامه بعملية ضد العدو.

□ إذاً أصبح تنفيذ العمليات يتم في «الخارج»؟

○ بالضبط، بعد خروج إسرائيل من الإقليم، تحول هذا الإقليم إلى قاعدة لمساعدة وتقديم العون وتنفيذ العمليات، ولم يقتصر على الدعم، بل المشاركة في هذا العمل، لأن هذه المقاومة يجب أن تبقى مقاومة وطنية، وليس المطلوب من ابن الجنوب وحده تحمل أعباء التحرير، بل هي مسؤولية وطنية عامة، ينبغي على كل الوطنيين اللبنانيين، الانخراط في صفوف «جبهة المقاومة الوطنية»، وقتال العدو الإسرائيلي في كل بقعة من بقاع الأراضي اللبنانية، وذلك لإزالة المحاولات الهادفة إلى صبغ المقاومة الوطنية بصفات مذهبية أو طائفية، وللتأكيد أن هذه المقاومة هي فعلاً مقاومة وطنية لبنانية.

□ كيف كانت طبيعة العلاقة مع «الحزب التقدمي الاشتراكي» والقوى السياسية الأخرى؟

○ كانت علاقتنا الأساسية بـ«الحزب التقدمي الاشتراكي»، كما كان هناك تنسيق كامل بين الحزبين، آخذين بعين الاعتبار ظروف «الحزب التقدمي الاشتراكي» الخاصة على الصعيد السياسي، والمصاعب التي كان يعانيها من خلال المواجهة التي استهدفته بالأساس في المشروع الانعزالي، الأمر الذي دفع «الحزب التقدمي الاشتراكي» إلى موقف تكتيكي، حاول من خلاله تجنب المواجهة مع العدو الإسرائيلي، فوضع نفسه بين مطرقة إسرائيل، وسندان «القوات اللبنانية». فأي خطوة، كانت كفيلة بالقضاء عليه وعلى الوجود الوطني في الجبل. رغم هذا، كنا نتعاون مع «الحزب التقدمي الاشتراكي» ونحاول أن نساعده بكل الأشكال، وأن نطور في أساليب مواجهتنا وفي أساليب عملنا لكي نتخلص من الشبح الإسرائيلي الذي حاول العودة إلى الإقليم بعد تحريره، لنزيل بذلك الحرج السياسي الذي كان يلاحقنا كقوى وطنية من خلال وجودنا ووجود الدوريات الإسرائيلية في الإقليم.

-٢-

الاسم: حبيب
الانتماء: «الحزب السوري القومي الاجتماعي».

□ ما هو الدور الذي لعبه «الحزب السوري القومي الاجتماعي» ضد الاحتلال الإسرائيلي، وكيف كانت ممارساته خلال مراحل الاحتلال، منذ تطويق بيروت، وإلى القيام بعمليات استشهادية؟

○ درست القيادة العسكرية للحزب في المرحلة الأولى من الاجتياح الأسلوب العسكري الذي اتبعته إسرائيل خلال تقدمها من خلال الضربات والاختراق السريع قبل عمليات التمشيط والتطهير، فوجدت أن المواجهة الكلاسيكية غير قادرة على جبه هذا الدفع الكبير للجيش الإسرائيلي. فلجأنا إلى خطة قوامها تنظيم قواتنا العسكرية وتقسيمها إلى مجموعات صغيرة مؤلفة من ٥ إلى ١٠ عناصر وجهزت هذه المجموعات بأسلحة فردية وقاذفات (ب ٧)، وقد استطاعت هذه المجموعات ضرب العدو دون أن تتكبد خسائر، وأن تعيق الحركة وتغير اتجاهات الهجوم، وقد استعمل هذا الأسلوب في بيروت بشكل خاص. هذا، عدا عن الوجود على المحاور مع القوى الأخرى، حيث مارس الحزب دوره الكلاسيكي.

□ هل لك أن تحدثنا عن عملية من هذه العمليات التي حصلت في بيروت؟

○ عند دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت من محور الرملة البيضاء، وعند دخوله إلى ثكنة الحلو والمصيطبة، واجهته إحدى هذه المجموعات أمام مكتب منظمة التحرير، فضربته وانسحبت ثم عادت وضربته من جهة ثانية، ما دفع العدو في هذا المحور إلى أن ينادي بمكبرات الصوت «لا تطلقوا النار علينا، فنحن لن نبقى في بيروت».

كما أن الحزب كان وراء أول عملية هجوم حصلت في بيروت في مقهى «الويمبي»، وبعد أن استقر العدو في بيروت، بدأت المواجهة حسب توزع العدو داخل بيروت، وحسب وجود الإمكانية في ضربه.

□ الغريب في الأمر أن هذه العملية حصلت بعد يومين من دخول الإسرائيليين إلى بيروت، هل يعني ذلك أن هناك تحضيراً مسبقاً لمثل هذه العمليات، أو أن هذا العمل جاء بشكل عفوي؟

○ نحن كحزب، نملك حالة العداء الحقيقية لإسرائيل. وفي أسس انتمائنا والتزامنا بالقضية، نعي أن إسرائيل دولة معتدية، نموذج الاعتداء تمثل في اغتصاب فلسطين، ونجزم بأن هذا النموذج سوف يتكرر في الكيانات السورية. ونحن كحزب، نمتلك الجهاز القتالي، وعندما دخلت القوات الإسرائيلية غرب بيروت وضعنا خطة، ووزعنا الأدوار على الرفاق في الحزب الذين بدورهم واجهوا العدو بسلسلة من العمليات خلال الأيام القليلة من وجود الإسرائيليين في بيروت.

□ ما هي الخطة التي اعتمدها الحزب سياسياً وعسكرياً؟

○ قرارنا السياسي واضح. فمن فكر الحزب وأدبياته السياسية نستلهم المواجهة على هذه الهجمة على أرضنا وشعبنا. وعلى المستوى العسكري نظمت المجموعات العسكرية الصغيرة، بشروط مغايرة للمواجهة الكلاسيكية.

□ من الواضح أن عملية «الويمبي» كان لها وقع نفسي وإعلامي قومي، لأنها نفذت في وضح النهار، وبجرأة شديدة ومفاجئة للعدو، هل هناك تفاصيل أخرى حول هذه العملية؟

○ كان الجيش الإسرائيلي يعتبر اجتياح لبنان نزهة له، وأن إرادة الصمود والتصدي عند شعبنا مفقودة، وأن الناس لا يريدون القتال والدفاع عن شرفهم وكرامتهم وعزة نفوسهم. واعتبر شارون أن لا شيء يقف في وجه قوته العسكرية، فقد كان يجهل إرادة التصدي عند شعبنا، فكانت عملية «الويمبي» الجريئة التي أربكت العدو وأذهلته، ما جعله يعيد حساباته. على أن دور الحزب في المواجهة، لم يقتصر على بيروت، فنحن موجودون في الجنوب.

□ هل حصلت معارك في الجنوب لعب الحزب فيها دوراً بارزاً؟

○ كان للحزب قاعدة عسكرية في تلة «علي الطاهر» وفي «قلعة الشقيف»، وقاتل مع القوى الموجودة هناك، ولعب دوراً فعالاً في تلة «علي الطاهر» لأهميتها كموقع مميز. وسقط لنا شهداء في هذا المحور، وفي «صديقين» في القطاع الأوسط، وكذلك داخل منطقة الحزام الأمني، وفي محور تلة الزهراني.

□ بدأت مقاومة الحزب منذ بدء الاجتياح؟

○ كان للحزب قوات عسكرية، ضمن القوات المشتركة التي كانت تتصدى لميليشيات سعد حداد. كما كان للحزب وجود عسكري قبل اجتياح سنة ١٩٧٨ في الشريط الحدودي، وكان للحزب دور فعال في التصدي، ضمن القوات المشتركة.

□ خلال المواجهة مع ميليشيا حداد، كانت المواجهة تتم على مستوى كلاسيكي، في حين أن مواجهة الاحتلال الإسرائيلي فيما بعد اتخذت شكل حرب العصابات، فكيف تمت هذه النقلة؟

○ إن ظروف ما قبل الاجتياح فرضت نفسها على الوضع في الجنوب، ما اقتضى المواجهة الكلاسيكية في إطار القوات المشتركة، لدى حصول الاعتداءات من إسرائيل وميليشيا حداد. أما بالنسبة الى تغيير أسلوب المواجهة، هذه المسألة ليست بجديدة على الحزب، وقد جربها الحزب عام ١٩٧٤ في إطار

منظمة «الزوبعة» التي قامت بمجموعة من العمليات داخل الأراضي المحتلة، منها عملية مميزة في مستعمرة «مسكاف عام». وقد توقف نشاط «الزوبعة» في بداية الحرب الأهلية، ولكن ليس بشكل كامل، وتركز الاهتمام وللأسف حول الوضع الداخلي اللبناني. وعملية الانتقال من المواجهة الكلاسيكية إلى حرب العصابات أعطت نتائج جدية وعملية، لأننا لسنا جيشاً نظامياً، بل قوى شعبية اكتسبت خبرة القتال وأسلوب حرب العصابات، بحيث استطاعت أن تقوم بدورها بكفاءات عالية، ضمن أسلوب المجموعات الصغيرة التي تضرب العدو وتكبده الخسائر، وتتركه في حالة من الإرباك، دون أن يؤدي ذلك في صفوفنا إلى خسائر كبيرة.

□ بعد عملية «الويمبي» بأيام، انسحبت إسرائيل من بيروت، ودخلت القوات المتعددة الجنسيات، كيف رأى «الحزب السوري القومي الاجتماعي» تلك المرحلة، وكيف تعامل مع هذا الوضع على الصعيدين السياسي والعسكري؟

○ خلال حصار بيروت، حاول الحزب خرق هذا الحصار، ففي منطقة «المعلم» حاول الحزب إحداث ثغرة في هذه المنطقة، وقام بإدخال قوات إضافية من خلالها بفتح خط عبر الليلكي - الجامعة - الحدث، فالجبل، ودخلت هذه القوات إلى بيروت للمشاركة في المعركة. بعد دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت، وبدء التحضير للتصدي لها، حصلت عملية نوعية مميزة في منطقة «غاليري سمعان» استهدفت عدداً من دبابات وآليات العدو، وتم تدمير عدد كبير من هذه الآليات خلال مواجهة مباشرة، استعملت القذائف الصاروخية والأسلحة الرشاشة. دون أن نتكبد أية خسائر. وقد ارتبك العدو خلال العملية، واصطدمت آلياته بعضها ببعض، وبدأت تقصف بشكل عشوائي. وقد انعكس مردود هذه العملية في تقوية التصميم على المواجهة، والتصدي للقوات الإسرائيلية بالأسلحة المتوفرة، كما أحدثت حالة شعبية ناهضة، ظهرت فيما بعد خلال عمليات المقاومة التي مارستها «جبهة المقاومة الوطنية».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تم خرق الطوق المفروض حول بيروت الغربية والضاحية، وذلك بتعبئة البنية الحزبية التنظيمية السرية في المنطقة الشرقية من بيروت، وتشغيل شبكة العلاقات التي يملكها هذا التنظيم على نقل الرفاق والمعلومات والأسلحة، وكذلك على تخطيط عمليات عسكرية وتنفيذها (على غرار عملية المونتي فردي)، وإرباك الجيش الإسرائيلي الذي كانت تطوق قواته بيروت يساعدها على ذلك قوات المارينز. هذا الإرباك كان يحصل في مناطق يعتبرها العدو آمنة بالنسبة إليه، فكانت العمليات من خارج الطوق تتكامل مع العمليات التي تنطلق من داخل بيروت بحيث أصبح وضع الجيش المرابط على أبوابها وضعاً تعيساً.

□ ما هو الدور الذي لعبه الحزب في منطقتي الشوف وعاليه خلال الاجتياح؟

○ للحزب السوري القومي الاجتماعي حضور تاريخي وأساسي في الجبل، ومن الطبيعي أن يتصدى للاجتياح في أكثر من مكان في تلك المنطقة: في محور كفرحتي، وتلة الرادار، وتلال بحمدون، والمنصورية، حيث حصلت معركة مشهورة، بالقنابل اليدوية، كان للحزب دور فعال فيها. وفي عاليه تصدت قوات الحزب لرتل من الآليات، كان شارون ضمنها في المنطقة... باتجاه بعبدا. كما حصل اشتباك في حومان استعملت خلاله الصواريخ. وعندما استقر الاحتلال بدأت أعمال المقاومة، ومنها عملية «الباص» في عاليه، وضرب دورية في مثلث بشامون، وعملية الباروك. كما حصلت عملية في «معصريتي» كان الهدف منها خطف عناصر من جنود العدو، إلا أن ثغرة حصلت خلال العملية، ما دفع المقاومين إلى قتل كل الجنود.

□ أخذت عملية «الباص» في عالية شهرة كبيرة، ما هي تفاصيل هذه العملية.. وكيف تم تقييمها من قبل الحزب في ما بعد، وهل قرر الاستمرار بالعمل في هذا الاتجاه؟

○ اعتقد الجيش الإسرائيلي أن دخوله إلى لبنان سيكون نزهة كما قلت، وقد استطاع شارون إقناع جيشه بأنه لن يلقى أية مواجهة في لبنان، نظراً الى انشغال الشعب اللبناني في اقتتال داخلي، وأن المواطن اللبناني ليس في وضع يمكنه من المقاومة. هذا ما ظهر، من خلال تصرفات جنود الاحتلال، وحرية حركتهم دون أي احتياطات أمنية، ما سهل علينا ضربه في المنطقة الشرقية التي كان يعتبر نفسه فيها حليفاً للقوى الموجودة هناك.

وخلال إحدى العمليات العسكرية في «بيصور»، اعتقل الجيش الإسرائيلي أحد المناضلين، فعمد الضابط الإسرائيلي إلى ربطه في شجرة، ودعا الناس لمشاهدته. عند ذلك هاج الأهالي وهجموا على الضابط وضربوه، وفكوا وثاق هذا المناضل وأخذوه معهم. وقد قام العدو بالرد على هذا العمل بقصف مدفعي على القرية بهدف معاقبتها وتأديبها.

من المعروف أن القوات الكتائبية دخلت إلى الشوف تحت الحراب الإسرائيلية. وأصبح الحزب، كسائر الوطنيين، مضطراً للقيام بأعباء الحرب الأهلية وحرب التحرير في آن واحد.

□ هل تستطيع إعطاءنا فكرة عن كيفية مواجهة الحزب لهذه المشكلة؟

○ تعرض الوجود الوطني، بما في ذلك حزبنا، لهجمة كتائبية - إسرائيلية، ما اضطرنا الى المساهمة مع القوى الأخرى في عملية التصدي والدفاع عن الأهالي. على أن ذلك لم ينسنا دورنا في عملية التصدي للجيش الإسرائيلي، فالمجموعة التي هاجمت وتصدت للعدو في منطقة «معصريتي» و«رشميا»، انتقلت، هي نفسها، إلى الرميلة وضربت الدورية الإسرائيلية هناك..

(سويدان ناصر الدين - روجيه نبعه، «السفير»، ١٩٨٦/٨/١)

من سيرة نضال العاملي



انفجار لغم بآلية إسرائيلية على طريق أبو الأسود ـ صور (١/٩/١٩٨٤).

١٩٦٥: الولادة الرسمية للمقاومة الفلسطينية. لم تصبح مشروعاً شعبياً إلا بعد ١٩٦٧ (الهزيمة) وانتقل ثقلها إلى لبنان العام ١٩٧٠ بعد أيلول الأسود في الاردن.

نبيل حجازي (نضال العاملي)، الذي ولد العام ١٩٦٥، نما في تقلبات هذه المرحلة.

١٩٧٨: إسرائيل «تقتطع» الشريط الحدودي في الجنوب: معاهدة كامب ديفيد.

١٩٧٩: الثورة في إيران.

١٩٨٢: الاجتياح الإسرائيلي... الاحتلال.

انهيار لا يوحي بمباشرة مقاومة. فكانت سيرة نبيل، ككثير من السير الماثلة، تستخلص من تاريخ هذه المقاومة إصراره على مقاتلة العدو جعله يقاتل وحيداً أو مع بعض الاصدقاء في البداية، ثم يندمج في حركة «**أمل**». يتنقل بين بيروت والجنوب ليهرب الاسلحة. يقوم بالعملية ويهتم باللوجستيك، «تخردقه» المخابرات، يحتمل في جسده الغض خمس رصاصات، يسجن..

هذا العناد الفردي كان يستجيب لإرادة مجتمع، تعبيره الجلي الأول انتفاضة جبشيت، دخل حرباً مع إسرائيل، ولإصرار هذا المجتمع على أن يسجل في أفق تحركه إمكانية تحقيق هدفه: التحرير.

بحكم واقع الأمور، عمل نبيل كان سرياً، بعيداً عن الجماهير والحركات الجماهيرية. لكن هذا البعد كان وظيفياً. «أم محمود» استقبلته، خبأته وسلاحه وأصحابه. بيتها كان نوعاً من «قاعدة»، حيث كانوا، نبيل وأمثاله، يلجأون إليه عندما يشاءون. «فاطمة» عندما جرح نبيل في عملية ضد العدو تمارضت، تحدت دزينة من الحواجز الإسرائيلية، ليلاً، ورجعت تحمل الأدوية التي كان نبيل يحتاجها. الاطباء، نبيل الراعي وأقرانه، عالجوه، أمنوا له المخبأ، تحدوا الإرهاب والقمع. زاروه يومياً بين تحقيق وتحقيق يجريه معهم الإسرائيليون خلال حملة التفتيش الطويلة عن نبيل الجريح .. **ما كان نبيل يستطيع المقاومة، لا هو ولا أمثاله، لو لم تكن هناك أمهات محمود، وفواطم، وأطباء أمثال نبيل الراعي.**

في العام ١٩٧٩، وكان عمر نضال العاملي ١٤ سنة، قامت الثورة الإيرانية فبعثت روحاً جديدة، ساهمت في إعادة إحياء عدد من القضايا الجوهرية القديمة الجديدة التي سيكون لها علاقة مباشرة مع الوضع الذي سيعيشه الجنوب بعد ثلاث سنوات

من قيام هذه الثورة. حركة كان لها صدى في لبنان، عند أهل الجنوب، ومنهم نبيل. «نبيلون» آخرون لا يشاركون «نضال» انتماءه الديني أو السياسي رفضوا الاحتلال. قاتلوه «لتحرير الوطن».

في مسيرتها لا تختلف تجربتهم عن سيرة نبيل. نبيل يروي لنا. يقول:

اجتاحت إسرائيل الجنوب بأعداد من الدبابات والآليات والجنود لم أتصورها من قبل. في الأيام الأولى كنت مذهولاً بالقوافل المدرعة التي ليس لها آخر، والتي تتوزع في كل مكان. وعندما توقف الاجتياح في خلدة أمام تصدي المقاومين كان يحز في نفسي عدم التصدي لهم كما يجب في صور والنبطية وصيدا.

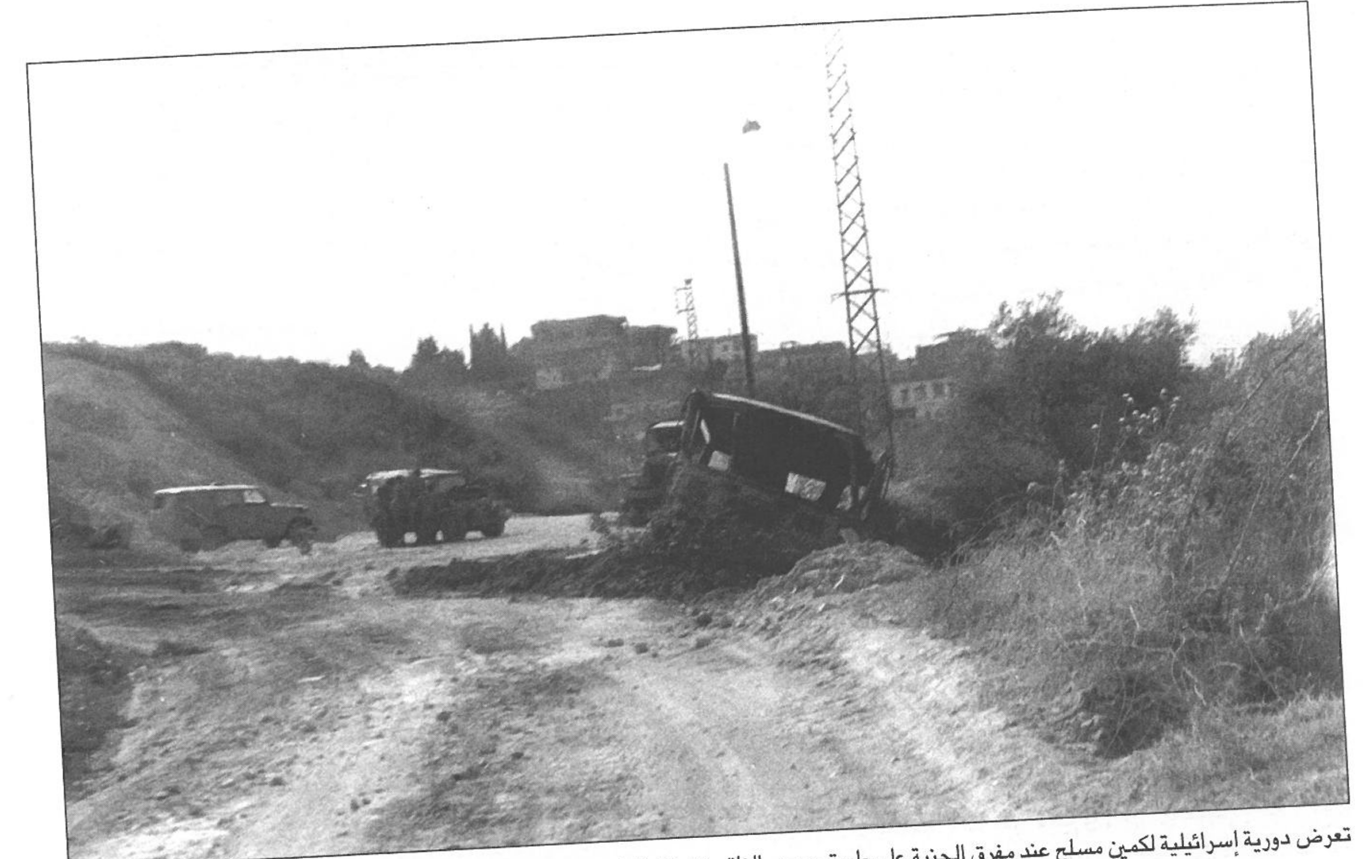
صحيح أننا كنا على خلاف مع الفلسطينيين والأحزاب، ولكن الأخبار التي كنا نسمعها من الإذاعات حول القتال المشترك الذي تخوضه «أمل» والفلسطينيون في خلدة وعلى مشارف بيروت، غيبت هذا الخلاف، وأحلت مكانه شعوراً بالقهر لعدم بدء هذا التصدي من منطقة الحدود..كلما كانت الأخبار تحمل أنباء المزيد من القتال كان يزداد عندي الإحساس بضرورة أن نقوم بشيء ما: «لازم نعمل شيء». ذهبت إلى المسؤول العسكري لمنطقتنا، المنطقة السابعة، (حسين جضة)، قلت له: لو نقوم بضرب تجمع الآليات الإسرائيلية الموجود في المنطقة. وسألته أن يعطيني «الضوء الأخضر». قال لي: «بكسر رجليك ويديك إذا بتعمل شي»، (أصبح من عملاء إسرائيل الكبار في ما بعد). عدت إلى المنزل مكسور الجانح، وكرت الايام، وكلما فاتحت أحداً بالموضوع بشكل غير مباشر، إذ تعلمت الحذر من تجربتي من «جضه»، كان يقول لي «ما دخلني»، «ليس لي علاقة»..

بعد شهور قليلة، وكنا قد بدأنا نسمع أخبار عمليات (كانت خفيفة)، وأحياناً أصوات الانفجارات التي ترافق عملية ما، **قررنا أنا وثلاثة من أصحابي (من جيلي) أن نقوم بشيء ما، كنا خائفين جداً فهذه تجربتنا الأولى**، (عندما بدأ الاجتياح كنت في السابعة عشرة من عمري ولم يكن قد مضى علي في الحركة غير شهور قليلة). اخترنا تلة مشرفة على الطريق، أخذنا مواقع تبعد ما لا يقل عن ستمائة أو سبعمائة متر. انتظرنا مرور باص وأطلقنا عليه الرصاص. المسافة بعيدة، ونحن خائفون كثيراً، ولا أعلم إذا كنا أصبناه أم لا، فقد هربنا فوراً بعد أن أطلق كل منا عدة رصاصات. هربنا مسرعين ونحن نتوهم أن الجميع رأونا وأن إسرائيل وراءنا. اختبأنا في منزل أحدنا على مدى ساعات طويلة، وعندما خرجنا مجدداً بين الناس استغربنا في البداية أن أحداً لا يهتم.

كانت العملية الثانية التي قمنا بها بعد شهر تقريباً «أهون علينا»، إذ اقتربنا من الطريق إلى مسافة حوالى ثلاثمائة متر وأضفنا سلاحاً جديداً هو (ب ـ ٧). مرت الدورية أطلق رامي «الآر. بي.جي» قذيفته، «راحت أوت»، أطلقنا نيران الرشاشات وهربنا بين البساتين، كانت العملية قبل الغروب بقليل. وكالمرة الماضية اختبأنا في أحد المنازل. قامت إسرائيل باعتقال عدد من الأسماء الموجودة لديها، أما نحن فلم يسألنا أحد ولم يتعرض لنا أحد. ازددنا جراة.

بعدها بفترة، في أوائل آذار ٨٣، قررت أن أجرب استعمال العبوة، فقد كانت عندي كمية من المتفجرات حصلت عليها مع أسلحة أخرى (قذائف ب ٧ وقواذف، ذخيرة كلاشينكوف، قذائف هاون الخ...) في الأيام الأولى للاجتياح من بعض القواعد التي تركها الفلسطينيون في المنطقة وخبأتها مع الاسلحة التي كانت بحوزتي لحركة «امل» والتي قلت لمسؤول الحركة العسكري السابق «حسين جضه» عندما سألني عنها، أن الإسرائيليين قد أخذوها. أخرجت المتفجرات، كانت الكمية حوالى ٣٠ كلغ. قسمتها إلى قسمين، كل عبوة ١٥ كلغ، وجدت أن هذه الكمية قليلة، ولكنني لم أكن أستطيع التفريط بها كلها في عبوة واحدة ولم يكن أمامي أحد يمكنني أن أطلب منه متفجرات. اشتريت «ملحاً إنكليزياً» و«كيماوي» وسكراً، و«رتبتهم» على الغاز (**أنا صياد سمك وأعرف كيف أصنع «تروبين»**). وبعد أن أصبحت «الطبخة» جاهزة، حزمت التروبين على الـ ١٥ كيلو «ت.ن.ت» فصار عندي عبوة زنتها حوالى ٣٠ كلغ. **كان الهدف الذي سأستخدم ضده العبوة «باصاً»، فيومها كانت الباصات تمر بشكل دائم شمالاً وجنوباً، بقيت مشكلتي هي كيفية التفجير»؟**

قصدت أحد المحلات التي تبيع أجهزة لاسلكية صغيرة واشتريت جهازي «سي.بي»، واشتريت من أحد محلات صائدي الاسماك صاعقين كهربائيين. قمت في البداية بتجربة على أحد الصواعق ونجحت التجربة. في آخر الليل أخذت العبوة، بعدما وصلتها بالجهاز، ووضعتها في مكان كنت قد اخترته سابقاً (عبارة على كوع وحوله حشائش عالية وكثيفة)، خبأت العبوة بين الحشائش، أقفلت جهاز اللاسلكي كي لا تضعف البطارية. (في هذه الفترة لم يكن الإسرائيليون قد بداوا بعد باستعمال الأجهزة التي ترسل ذبذبات لتفجير العبوات المجهزة لاسلكياً، وهذا من حسن حظي)، في الصباح كنت محتاراً، من أين أقوم بالتفجير، من التلة المشرفة على الطريق، أم من منزل قريب أو من السيارة؟ بدأت الباصات تأتي. توكلت على اللـه، ذهبت إلى العبوة، فتحت الجهاز، صعدت في سيارتي ومعي الجهاز الثاني، وقفت إلى جانب الطريق وعندما أطلت قافلة باصات تقدمتها بسيارتي من بعيد وعيني على المرآة. كنت اقترب باتجاه العبوة ورجلاي ترتجفان، مررت بمكان العبوة، وعندما أصبحت على مسافة مئتي متر تقريباً كانت اللاندروفر العسكرية التي تتقدم الباصات قرب العبوة تماماً، تركتها تمر، وعندما أصبح «الباص» بموازاة العبوة: **اللـه أكبر وضغطت على الجهاز، اللـه أكبر بصوت منخفض ودوى انفجار هائل رأيته بعيني، أطلقت للسيارة العنان، وركبتاي تصطكان، ولا أدري ماذا علي أن أفعل. بقيت مكملاً طريقي حتى وصلت إلى الجية**، كانت أعصابي قد هدأت. قمت بزيارة أحد معارفي هناك لتضييع الأثر.



تعرض دورية إسرائيلية لكمين مسلح عند مفرق الحنية على طريق صور - الناقورة (٣٠/١٢/١٩٨٣).

كانت فرحتي كبيرة عندما قرأت أنباء العملية في الصحف: قام رجال «المقاومة الوطنية» بتفجير عبوة لدى مرور باص .. إذاً نحن من رجال المقاومة الوطنية، فلتكن هذه هويتي لا مانع عندي، صحيح أننا لا زلنا معزولين عن الآخرين، ولكن لا يهم ما دمنا قد أصبحنا نقوم بأعمال مماثلة..

بعد فترة قصيرة التقيت صدفة مع أحد معارفي، وكان قبل الاجتياح في إحدى المنظمات الوطنية (اعتقلته إسرائيل بعد دخولها ومن ثم أطلقت سراحه)، خلال تبادلنا الحديث حول الوضع والأحوال، مررت في حديثي، بشكل عرضي، على ذكر العمليات التي تحصل ضد قوات الاحتلال، فقال لي إن هذه العمليات يقوم بها حزب معين تحت اسم «المقاومة الوطنية»، قلت له بأني لا أعتقد ذلك، وإنما أرى أن هذا الاسم يستعمله جميع الذين يقومون بعمليات، وليس وقفاً على حزب معين. عارضني، ومع احتدام النقاش، ونتيجة معرفتي بماضيه الوطني، قلت له بأنني قمت بعملية وأعلن عنها في الصحف باسم «المقاومة الوطنية»، ولكني لم أذكر له نوعها ولا تاريخها، وقلت له بأنني كي أبرهن له أكثر سنقوم سوياً بعملية مشتركة وسيرى بعدها أن «المقاومة الوطنية» ستعلن مسؤوليتها عنها. رحب بالفكرة، ولأمر يريده اللـه عدت لحذري فقلت له سأجهز كل شيء وسأضع العبوة في مكان مقابل لمنزلكم، حددته له، وسأمر عليك السبت الساعة التاسعة مساء لأعطيك الجهاز وما عليك في صباح اليوم التالي، (كان الأحد هو اليوم المفضل للعمليات إذ أن اليهود يعطلون يوم السبت ويعودون إلى مواقعهم صباح الأحد)، إلا أن تضغط على الجهاز عندما تصبح مقدمة أحد الباصات بموازاة العبوة.

جهزت العبوة في منزلي، (كنت قد اشتريت جهازين جديدين بطريقة ملتوية)، وعندما كنت أهم بمغادرة المنزل، لوضع العبوة في المكان المحدد، وبرعاية من اللـه التقيت مع بعض الأصحاب قادمين للسهر عندي. عدنا إلى الداخل وأطالوا المكوث. بعد خروجهم وجدت نفسي قد تأخرت كثيراً عن الموعد المضروب مع الشاب الذي ذكرته، (لا أذكر اسمه لأنه لا زال طليقاً)، ألهمني اللـه أن أخبئ العبوة حتى يحين الوقت الذي سأنقلها فيه، أي الساعة الرابعة صباحاً أي في الفترة التي أقوم فيها بتوزيع الخبز من الفرن الذي نملكه على المنطقة المجاورة (إذ كنت قد بدأت أقوم شخصياً بهذا العمل لتغطية تحركاتي الليلية المتأخرة). **بعد الواحدة بقليل كان عدد من الجنود الإسرائيليين يطرقون بابي، فقد كان «صاحبنا» يتعامل معهم وأخبرهم باتفاقنا**، ولما تأخرت عن الموعد المضروب قدموا لاعتقالي. رعاية اللـه أنقذتني من القبض عليّ بالجرم المشهود.

فتحت الباب، اعتقلوني وأخذوا السيارة، ذكرت اللـه كثيراً ودعوته أن يفرج كربتي فالجهاز اللاسلكي في السيارة تحت المقعد. اقتادوني إلى سراي صيدا وفي رأسي ألف حساب وسؤال:

هل سيقتلونني؟ هل سيعذبونني قبل الإعدام؟ اعتقلوا مئات الناس لأنهم كانوا يتعاطفون مع الفلسطينيين فما الذي سيفعلونه بي أنا الذي قمت بعمليات ضدهم وقع فيها قتلى وجرحى؟

سلمت أمري للـه. أدخلوني بين الموقوفين وأنا معصوب العينين ومربوط اليدين، جاء أحدهم وفك العصبة عن عيني (كمال صالح أحد عملائهم، كانوا يدسونه في حينها بين الموقوفين)، سألني لماذا أنت موقوف. قلت له: ما بعرف.

بعد عودتي من السجن أتى الناس يهنأونني بالسلامة، وبينهم أحد مسؤولي الحركة الشهيد علي عواضة، (اغتاله الإسرائيليون في ما بعد)، بقي جالساً حتى أصبحنا وحيدين وسألني: لماذا قبض عليك؟

لم أكن أعرفه جيداً، لم أدر بماذا أجيب. أكمل حديثه: هل قمت فعلاً بعملية ضدهم؟

نظرت في وجهه ملياً، لم أجد داعياً للنكران، وكنت بحاجة نفسية ماسة إلى أن يتبنى عملي طرف ما، فسردت له كل ما حصل معي. سألني: هل تريد أن تكمل، ألديك النية، وعندما رددت بالإيجاب، قال لي: «اطلع لعندي إلى زفتا وسنتفق».

أصبحت أشعر بالاستقرار فقد أصبح لي مسؤول أعمل من خلاله ويحدد لي مهماتي، واقتصر نشاطي في هذه الفترة على قيامي بنقل السلاح من البقاع إلى الجنوب حيث أسلمه له (إلى علي)، واهتم أيضاً بشؤون مجموعة الشباب التي بدأت وإياها في منطقة العاقبية، هذه المجموعة كانت تنمو وتزداد صلاتها بالمجموعات الأخرى في القرى المجاورة.

بدأت أتخفى، ونتيجة تكرار نقلي الأسلحة وأحياناً توزيعها كانت تتسع دائرة الذين يعرفون بانتمائي إلى المقاومة. كما حدث أيضاً أنني شاركت بعملية اضطررنا فيها أن نقفز على الطريق العام في وضع النهار ورآنا العديد من الناس أبناء المنطقة. صحيح أن أحداً لم يش بنا ولكن كان علينا اتخاذ الاحتياطات اللازمة. نتيجة ذلك اقترح علي أن أجعل مركز إقامتي في بيروت كي يقال إنني أصبحت خارج المنطقة، وبأنني فتحت «مصلحة» في بيروت. وبذلك غادرت إلى بيروت قبل انتفاضة آب ٨٣ في بيروت بحوالى أسبوع.

استلمت مهامي الجديدة وأصبحت أنقل الرسائل والأموال من القيادة في بيروت (أبو علي مصطفى) إلى القادة في الجنوب (محمد سعد، علي عواضة وغيرهما)، كما أشرف على توفير الأسلحة وإيصالها إليهم، وفي نفس الوقت أتفقد شؤون المجموعات التي ساهمت في تكوينها في البيسارية والكوثرية إضافة إلى العاقبية، وأؤمن لها ما يلزم وأحياناً أشارك في عملياتها.

تدريجياً كانت مهامي تأخذ طابع تأمين الإمدادات وتنظيم العمل، وكان يزداد عدد الذين علي أن أتعامل معهم، ومع تنامي المقاومة استطاع الإسرائيليون أن يجمعوا الكثير من المعلومات عني، وبدأوا يداهمون منزل أهلي كما استدعوا والدي مرات عدة.

خلال هذه الفترة كنا قد نشرنا أجهزة لاسلكية في بعض القرى لتأمين اتصال مباشر معها. الجهاز المركزي الأول كان في كفرملكي، يؤمن اتصالاً مع بيروت، ومن ثم البيسارية فالسكسكية والقرى الأخرى. لقد أصبحت المقاومة أكثر تنظيماً وتنسيقاً. **مع تصعيد الإجراءات الإسرائيلية على جسر الأولي وإقفاله أغلب الأحيان، انتقلت «طريقنا» إلى معبر باتر ومقابل التشدد الإسرائيلي كانت مجموعات تنقل الأسلحة سيراً على الأقدام، وتقطع نهر الأولي**، وفي هذه الفترة تحولت الوردانية إلى قاعدة انطلاق واستقبال بكل معنى الكلمة حتى أن مجموعات عديدة كانت تدخل إلى المناطق المحتلة وتقوم بعمليات ومن ثم تعود إلى خارج هذه المناطق.

هذا هو تقريباً طابع عملي خلال تلك المرحلة: تأمين الأسلحة والإمدادات والاتصالات وتنظيم العمل، إلى أن دخلت المخابرات الإسرائيلية على خطي مباشرة..أحد الشباب المقاومين واسمه علي جابر كان يقوم بنقل الأسلحة إلى الجنوب بواسطة شاحنة صغيرة مجهزة بمخابئ سرية، وكان في نفس الوقت مسؤولاً لإحدى المجموعات. وفي أحد الأيام قدم إلى عندي في بيروت (كان ذلك في شتاء عام ٨٤) ومعه قريبه جميل نور الدين الذي انخرط في جيش سعد حداد منذ وقت مبكر. قال لي علي جابر بأن جميلاً يريد أن ينضم إلى المقاومة وبأنه موثوق من طرفه، **(لم يكن الأمر جديداً فقد كان كثيرون من المتعاملين مع العدو في الظاهر يقدمون خدمات للمقاومة)**. قلت لجميل: عليك أن تثبت صدقك وذلك بأن تقوم بعملية ضد الإسرائيليين، فأبدى استعداده لذلك. عاد الاثنان إلى الجنوب، وكلف علي أحد شباب مجموعته واسمه محمد بمرافقة جميل في عملية، وكانت تفجير عبوة ناسفة بدورية. تولى محمد المراقبة وفي اللحظة المناسبة أعطى الإشارة، تأخر جميل لثوان فقط كانت كافة لأن تنفجر العبوة خلف الدورية بسيارة مدنية، قال جميل عنها أنها سيارة للمخابرات الإسرائيلية. وفي اليوم نفسه اعترفت إسرائيل بحصول عملية ضد أحد المتعاملين معها. نقل النبأ إلي فاطمأنيت إلى جميل الذي عاد لعندي.

بعد أيام قليلة اعتقل علي جابر، فعاودني الشك، ولكن أمامي واقعة أن جميلاً قد قام بعملية، استدعيته وطلبت منه أن يغتال «أبو معروف» **رجل المخابرات الشهير** قال لي: أرسل معي رجلين، فأجبته بأن عليه أن يتدبر أمره، وحددت له مكاناً، هو خربة بين الداودية والبابلية، يجد فيها السلاح والمال اللازم لمهمته. اتصلت بالجهاز بأحد مسؤولي المجموعات وطلبت منه أن يضع اللوازم في المكان المحدد. غادر جميل إلى الجنوب، وبعد أيام نقلت الإذاعة خبر تعرض المايجور الإسرائيلي «أبو معروف» لمحاولة اغتيال قرب بلدة أنصارية وإصابة الذين معه بجروح، فوراً نقلت الخبر إلى «أبو علي مصطفى» الذي كان يومها في المستشفى، ولعنت ظني السيئ وعند وصول جميل رحبت به كثيراً وأعطيته مبلغاً من المال مكافأة له.

لم أكن أعلم، في حينه، أن العملية وهمية وبأنها جرت



آثار انفجار عبوة ناسفة استهدفت إسرائيليين في النبطية (٢٤/٨/١٩٨٤)

وباتفاق مع المخابرات الإسرائيلية مع عميلها جميل نور الدين. المهم وثقت بجميل الذي بقي عندي في بيروت فترة استطاع خلالها أن يتعرف على عدد من الشباب المقاومين في الجنوب. بعدها طلبت من جميل قيادة «البيك آب» محملاً بالأسلحة إلى الجنوب، ومعه أحد الشباب، وعلى حاجز باتر «اعتقل» الإسرائيليون جميلاً بحجة أنه هارب من جيش لحد. لم يكن باستطاعة الشاب الذي معه سوى أن يكمل طريقه بالبيك آب باتجاه الجنوب وبالطبع كان الإسرائيليون يراقبونه. وصل الشاب إلى البيسارية، سلم الأسلحة، اتصل بي المسؤول وأخبرني أن جميلاً قد اعتقل. **فوراً داهم الإسرائيليون المنزل الذي كان مجهزاً بمخبأ ضخم للأسلحة وبجهاز اتصال لاسلكي، اعتقلوا المجموعة الموجودة فيه**، وداهموا كفرملكي والكوثرية والبيسارية وغيرها. كانت الحصيلة اعتقال مجموعات بكاملها في عدد من القرى ومصادرة كميات ضخمة من الأسلحة، ببساطة كانت ضربة قاسية وجهت للمقاومة في المنطقة المذكورة. ولكن المقاومة استطاعت الاستمرار لأن مجموعات أخرى مستقلة كانت جاهزة للعمل..**على الصعيد الشخصي كانت الصدمة كبيرة، فكيف أرتكب حماقة بهذا الحجم؟**

بعد هذه «الحادثة» بقليل طلب مني مسؤول إحدى المجموعات في الزهراني صاروخاً مضاداً للطائرات (ستريللا) لضرب طائرة، إذ أن المروحيات الإسرائيلية كانت تهبط في منطقة مصفاة الزهراني. اتصلت بأحد المسؤولين في «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين»، وتم بيننا الاتفاق على أن يؤمن لنا صاروخاً نستعمله لضرب الطائرة وتعلن «جبهة المقاومة الوطنية» مسؤوليتها عن العملية، وبالمقابل تقوم مجموعاتنا بقصف صاروخي على الجليل الأعلى وتعلن «الجبهة الديمقراطية» مسؤوليتها عن ذلك. تم الاتفاق، وأرسلت إليهم شابين أحدهما الشهيد محمد طعمة، وبقيا عندهم ٢٠ يوماً دربوهما خلالها على الصواريخ وعلى صناعة قاعدة إطلاق صاروخ الكاتيوشا. هربنا الصواريخ إلى الجنوب (صاروخا ستريللا و٤ كاتيوشا). قامت مجموعة بإطلاق الصاروخ على الطائرة، ولست واثقاً من أنها أصيبت، إذ أن بعضهم يقول ذلك والبعض الآخر من المجموعة ينفي، إذ أن عملية الإطلاق تمت والطائرة على وشك الهبوط. أعلنت عن العملية في بيروت، في اليوم التالي أعلنت الديموقراطية مسؤوليتها عن العملية. وعندما تم إطلاق الصواريخ على الجليل أعلنت الديموقراطية مسؤوليتها أيضاً عن ذلك.

في هذه الفترة بالذات كنت منهمكاً بالعملية الاستشهادية التي قام بها الشهيد بلال فحص.

كان «أبو علي مصطفى» قادماً من البقاع لحضور اجتماع سياسي في منزل الأستاذ نبيه بري، اتصل بي ورافقته إلى هناك. دخل إلى الاجتماع وانتظرته خارجاً. الشهيد بلال كان من مرافقي الأستاذ «حرس عنده في البيت». وكانت تربطني به معرفة حميمة

ويعلم بطبيعة المهام التي أقوم بها. جلسنا نتبادل الحديث فقال لي، أمنيتي أن أفعل شيئاً، سألته عن ماهية هذا الشيء، **قال: «لازم اشتغل» في المقاومة.** قلت له: تعال واذهب مع مجموعة، أجابني: لا لدي «شغلة» غيرها. دخل إلى الغرفة التي ينام فيها وجاء برسالة أعطانيها، قرأت فيها ما مفاده: **أنا من جنوب لبنان... اريد أن أقوم بعملية استشهادية تؤدي إلى مقتل أكثر من جندي إسرائيلي، ولكنها ستؤدي حتماً إلى استشهادي، أرجو الفتوى الواضحة على ذلك، وعلى الرسالة توقيع أحد رجال الدين المعروفين وفوقه: الإمام الخميني يبارك هذه الخطوة.**

إذاً تريد القيام بعملية استشهادية، قال: أجل هل تساعدني في ذلك، قلت له: هذا المجال جديد بالنسبة لي سأتكلم مع أبي علي بالأمر.

حوالى الواحدة ليلاً خرج «أبو علي مصطفى» من الاجتماع، فاتحته بموضوع بلال وأريته الرسالة. نادى بلال وسأله عن حالته وعما إذا كان يعاني مشكلة ما، مبدياً الاستعداد لحلها مهما كانت، **لأن مسألة الاستشهاد دقيقة وإذا كانت هروباً من مشاكل الحياة فإن صاحبها يذهب إلى النار.** أجابه بلال بهدوء: يا أبا علي ما هكذا يتكلم المؤمن. أنا مسلم مؤمن واريد أن استشهد في سبيل اللـه من أجل الجنوب.

آلمني قرار بلال، حاولت أن اثنيه عنه بإقناعه أن يساهم في عمليات عادية وقلت له: «يمكن تعمل عشر عمليات وتقتل عشرة إسرائيليين ويردك اللـه سالماً». كرر علي موقفه، فلم يكن أمامي الا ترداد لا حول ولا قوة إلا باللـه العظيم. طلب إلي أبو علي تولي الموضوع شخصياً من أوله إلى آخره حفاظاً على السرية. واجهتني عدة مشاكل فقد كان علي ليس فقط «تفخيخ» السيارة وإنما أيضاً إيصالها إلى الجنوب. جهزت السيارة (مرسيدس ٢٠٠ لونها كحلي) وزعت فيها المتفجرات وأعددتها للتفجير. استغرق ذلك حوالى أسبوع ذهبت بعده إلى بلال وقلت له انني أحاول «تضبيط» الامور. قال لي سأذهب لزيارة «الست زينب» وأرجو أن يكون كل شيء جاهزاً عند رجوعي. كنت أعرف سائق سيارة عمومية على خط الزهراني ـ بيروت وسيارته كالسيارة المفخخة، **(إذ أن السيارة كانت بحاجة لتصريح من الإسرائيليين حتى تستطيع الدخول والخروج من الجنوب).** ذهبت إليه وتباسطت معه في الحديث، وقدمت له بندقية كلاشينكوف «هدية». سألني «شو القصة»، قلت له لا شيء وسأدبر لك أمر مهمة، أعاد سؤاله «شو القصة». قلت له هل تريد خدمة الجنوب. قال: لي الشرف بذلك. قلت له إن عندنا سيارة تشبه سيارتك ونريد إدخالها إلى الجنوب، قال : **سأدخلها ولو كانت مليئة بالمتفجرات. أجبته: هي كذلك، ويريد أحد الشباب القيام فيها بعملية استشهادية. قال: سيكون إدخالها مدعاة فخر لي.** اتفقت معه بأن يدخلها إلى الجنوب، وبأن يوقفها في ساحة النجمة بصيدا في مكان محدد ووقت محدد، ويترك مفتاحها في جيب بابها. ذهبت إلى بلال، (كان قد عاد من الزيارة)، سألت عنه خطيبته، كان رحمه اللـه يستحم عندما خرج قلت له كل شيء جاهز. قبلني بفرح وقال: «وأنا جاهز إن شاء اللـه». قلت له: أيمكننا الكلام عن الموضوع أمام خطيبتك قال لي: لقد أعلمتها بالأمر. وإذا لم تسامحني لن أذهب. فقالت: تكلم، لا تخشَ شيئاً لقد سامحته ونلتقي في الجنة إن شاء اللـه.

في اليوم الموعود أعطيت السيارة المفخخة للسائق صباحاً، وقبل الظهر ودع بلال من يريد توديعهم، وركبنا سيارتي باتجاه الجبل إذ كان على بلال أن يأخذ طريق بسابا ـ بنوات ويذهب في الوادي كي لا يعتقله الإسرائيليون. وذهب معه شاب مكلف بمرافقته حتى صيدا ومن ثم يعود إلى بيروت. كانت خطة بلال أن يفجر السيارة في موقع الزهراني، ولكن العوائق التي كان الإسرائيليون يضعونها أمام الموقع أدت إلى استحالة ذلك. نام ليلته في جبشيت، وعاد إلى الطريق الساحلي. **كان أخي يرافقه هناك. مرت القافلة الإسرائيلية. قال بلال لأخي: بلغ نضالاً سلامي. تبع القافلة والبقية معروفة.**

بلغنا نبأ استشهاده، كانت وصيته معي، وزعنا الخبر على الصحف والإذاعات..

في أيلول قررت العودة إلى الجنوب لأسباب عدة، أولها النشاط الكثيف للعملاء إذ أن إسرائيل كانت تشن حملات مداهمات واعتقالات واسعة كل يوم، واستطاعت أجهزتها أن «تخردق» مجموعات المقاومة، وكثير من المجموعات، كان يعتقل قبل أن يقوم بعملياته. لذلك كان يجب إمساك الامور بحزم، السبب الثاني هو الإشاعات عن انسحاب إسرائيلي قريب مما يقتضي التجهيز لاعتقال العملاء وضربهم قبل أن يهربوا. وبمجرد انسحاب إسرائيل نكون نحن موجودين وممسكين بالوضع. اما السبب الثالث فهو أن وجودي في بيروت لم يعد مريحاً بالنسبة إلي، فقررت العودة إلى الجنوب وتكثيف العمليات للحد الاقصى، عدت إلى الجنوب سيراً على الأقدام وبرفقتي عدد من المقاومين، **وعشت متخفياً في المنطقة من الزهراني إلى أبو الأسود. بدأت انا وشبلي مروة بتنشيط العمليات ضد إسرائيل والعملاء في وقت أصبح فيه المقاومون يتمتعون بدرجة عالية من الجرأة، وتحول الخط الساحلي إلى مسلسل من الكمائن اليومية لدوريات الاحتلال**، وكانت المواقع الإسرائيلية واللحدية تتعرض ليلاً ونهاراً لمختلف أنواع الهجوم. لا أتذكر عدد العمليات التي شاركت فيها خلال هذه الفترة اي منذ عودتي حتى عمليتي الأخيرة التي أصبت فيها بتاريخ ١٦/١١/١٩٨٤.

في ذلك اليوم كنا ثلاثة، شبلي مروة والشهيد حسن كوثراني وأنا. كانت العملية التي خططنا لها تتلخص بانتظار دورية مؤللة تمر على الخط الساحلي، أرسلنا أحد المقاومين بسيارته ينتظر قدوم الدورية ومعه جهاز لاسلكي، أما نحن فمعنا سيارة أخرى نكمن فيها بين البساتين وعندما تصلنا الإشارة نسبق الدورية إلى منعطف تتفرع منه طريق ترابية فرعية عن الخط الرئيسي، نوقف السيارة في الطريق الفرعية ونطلق قذيفة «اللاو» التي معنا

على الآلية الأخيرة من الدورية ثم نظهر بالرشاشات ونقفز إلى سيارتنا منطلقين بعيداً عن أرض العملية. هذه كانت الخطة. أما الذي حصل فهو أنه عندما تلقينا الإشارة انطلقنا بسيارتنا، حسن يقود السيارة وأنا إلى جانبه أحمل رشاشي وشبلي في المقعد الخلفي على الجهة الاخرى، فوجئنا بعد أمتار قليلة من انطلاقنا بدورية إسرائيلية راجلة بين البساتين مكونة من ستة جنود، كل ثلاثة يسيرون على جهة من الطريق، كانت المسافة أمتاراً قليلة والطريق ضيقة. أوقف حسن السيارة كانت بنادقهم قد أصبحت في وجوهنا، قذف شبلي «اللاو» عليهم فوراً وأطلقت نيران الرشاش ولكنهم كانوا قد أطلقوا نيرانهم. لحظات فقط وانتهى الكابوس كانوا جميعاً على الأرض. **التفت نحو حسن فوجدته قد استشهد أما أنا فقد أصبت بخمس رصاصات توزعت في جانبي الأيسر من الساق إلى البطن فالكتف. كان الدم ينزف بغزارة. لاحظ شبلي أنني قد أصبت، ركضنا في البساتين. كانت قواي تتلاشى وشبلي يشجعني: أركض قبل أن تقع، لم تعد المسافة إلى البيت بعيدة.**

أخيراً لم أعد أرى جيداً وسقطت وهدير الآليات الإسرائيلية وطائرات الهليكوبتر يملأ أذني.

سحبني شبلي إلى إحدى الزوايا حيث توجد عريشة غضة، طمرني بغصون العريشة وأوراقها. وقال لي لا تخف، سأذهب لأعود بأخي ونحملك سوياً. ذهب شبلي. بقيت وحدي ويبدو أنني فقدت وعيي لأنني اكتشفت فجأة أن القنابل المضيئة تملأ سماء المنطقة والآليات الإسرائيلية تجوب المنطقة. لقد مروا قربي أكثر من مرة ولكنهم لم يروني. قرأت الشهادتين أكثر من مرة. وعندما خفت حركتهم تحاملت على نفسي وزحفت. بقيت طويلاً أزحف وقرعت أول باب وصلت إليه. فتحت لي صاحبة المنزل. طلبت منها الذهاب فوراً إلى بيت شبلي وأخبارهم بأنني موجود عندها. ومن غريب الصدف أننا كنا نراقب هذه المرأة سابقاً لتصرفاتها المشبوهة ونعتقد أنها عميلة وثبت فيما بعد أنها كانت فعلاً كذلك. ذهبت إلى بيت شبلي الذي لم يكن بعيداً ولكن قوات إسرائيلية كانت بيننا وبينه. **لم تجرؤ على الوشاية بي في حينه لأن أحداً غيرها لا يعلم بوجودي عندها.** انتقلت سميرة أخت شبلي فوراً إلى عندي وأجرت لي بعض الإسعافات الأولية. لقد كانت جراحي خطرة وقد خسرت كثيراً من الدماء ولا بد من تعليق مصل لي فوراً. فإمكانية نقلي لعند طبيب أو إلى مستشفى مستحيلة حالياً، فالحواجز الإسرائيلية تملأ الطرقات وتمنع أية حركة. لقد عرف الإسرائيليون من آثار المعركة أن هناك جريحاً. وكان لا بد من حيلة للحصول على المصل.

فاطمة، الأخت الثانية لشبلي تمارضت وبدأت تصرخ من الألم. أخوها حسن أركبها في السيارة وانطلق فيها باتجاه المستشفى أوقفه الإسرائيليون. قال لهم الفتاة مريضة جداً اقتنعوا بمرضها ولكنهم أصروا على مرافقتها إلى المستشفى. وافق حسن فوراً وذهب بعض الجنود معهم. فور دخول فاطمة عند الطبيب، وهو ابن المنطقة، أخبرته بواقع الحال. علق لها كيسا كبيراً جداً من المصل وضع فيه الأدوية الضرورية لي، وطلب منها العودة إلى المنزل بعد أن خبأ لها كيساً آخر وأعطاها وصفة طبية كبيرة من أدوية المضادات الحيوية. وبالطبع عندما عادت فاطمة إلى المنزل نقلت الأدوية لي. بعد ساعات قليلة، كان علينا أن ننتقل من منزل «العميلة». انتقلنا إلى «اللوبية» حيث بقيت هناك إلى الصباح. كنت أعتقد أنني سأموت فطلبت من أحد الذين معي إحضار أبي الذي لم أره منذ وقت طويل. جاء أبي وقر الراي على نقلي إلى المستشفى في صيدا، فأنا بحاجة لجراحة مستعجلة. سلكنا طرقاً ترابية بين البساتين من اللوبية إلى صيدا. ولما وصلنا **مستشفى الراعي كان الإسرائيليون قد غادروه قبل قليل. لما علم الدكتور نبيل الراعي أني مصاب خلال عملية، قال لرفاقي أتركوه وارحلوا فوراً. نقلني إلى غرفة العمليات وأجرى اللازم. في منتصف الليل نقلني إلى منزل قريب من المستشفى، وكان يزورني يومياً أكثر من مرة. في اليوم العاشر كان باستطاعتي أن أقف وأمشي قليلاً نقلت إلى منزل آخر في الغازية حيث يزورني الطبيب يومياً.**

الإسرائيليون عرفوا في اليوم التالي أن الجريح هو نضال العاملي. لقد أخبرتهم عميلتهم في الصباح. جن جنونهم داهموا كل المستشفيات، كل عيادات الاطباء. حققوا مع الدكتور نبيل الراعي. لا فائدة لا أحد يعلم شيئاً. وضعوا كل المستشفيات والاطباء تحت رقابة شديدة. كان الأطباء يتناوبون على زيارتي ونتيجة المراقبة التي فرضها الإسرائيليون على جميع الاطباء لاحظ الإسرائيليون ان الطبيب يتردد على منزل معين. اعتقلوا الدكتور حسين الموسوي بعدما زارني وأعطاني بعض الأدوية وغير للجروح. حققوا معه. اعترف.

بشكل مفاجئ اقتحم الإسرائيليون علينا الغرفة. لم يكن بالإمكان المقاومة وهكذا تم اعتقالي وشبلي الذي بقي معي منذ أصبت. وكان ذلك في ٢ كانون الأول ١٩٨٤.

نقلوني إلى مار الياس. فوجئت عندما أدخلوني إلى غرفة فيها سرير صغير، تمددت على السرير فقد كانت جراحي لم تبل بعد. لم يدم هذا «الإكرام» سوى وقت قصير اكتشفت بعده السبب وهو ما يلي: قبل إصابتي بيومين أرسلت أحد الكوادر إلى بيروت كي يعود لنا ببعض المال والحاجيات الأخرى. اعتقله الإسرائيليون وهو يجتاز نهر الأولي، (كانوا يملكون معلومات دقيقة أنه من كوادري). لم يصلني النبأ فقد تتالت الأحداث بسرعة. هذا الشاب لم يعترف طوال هذه المدة على رغم صنوف التعذيب التي «تذوقها».

عندما أدخلوني إلى الغرفة، كما ذكرت، ذهبوا إليه وقالوا له: لقد تحملت كل التعذيب رافضاً أن تعترف وهذا مسؤولك قد اعترف فوراً وهو ينام الآن على سرير وفي غرفة واسعة. ثم ساقوه إلى باب الغرفة حيث رآني على الحالة التي وصفوها له وأعادوه فوراً إلى زنزانته. فقد أعصابه وأخبرهم بكل ما يعرف.

شن الإسرائيليون فوراً حملة اعتقالات واسعة في عدد من القرى كانت حصيلتها حوالى ستين شاباً.

في الصباح استدعاني «المحقق». كانوا ثلاثة: مسؤول مخابرات منطقة صيدا (المايجور مايك)، ومسؤول مخابرات منطقة النبطية، وضابط ثالث. على الطاولة تجثم أمامه «كدسة» من الملفات (إذ انهم أحضروا كافة ملفات اعترافات المعتقلين التي ورد فيها اسمي، إضافة إلى تقارير عملائهم عن نشاطي). وبدأ التحقيق. **أجبت على كافة التهم بنعم وصحيح. فلا فائدة من النفي وآثار العملية لا تزال طرية في جسدي، كما أنني لا أريد «تكذيب» اعترافات المعتقلين.** عندما انتهى المحققون مما يمكن تسميته مرحلة «تثبيت التهم». تحولت أسئلتهم باتجاه ما أعرفه أنا، وبدأت رحلة الرعب.. قبل أن يعطوني فرصة للجواب كانت لكمات الجلادين اللذين يقفان ورائي تنهال علي. وكان أحدهما «مولعاً» بأن يغرس أصبعه في الجرح الذي بجانبي الأيسر. ملأت المكان صراخاً ونحيباً ورجاء بأن يتوقفوا. نقلوني إلى باحة على التلة حيث ربطوني على مقعد في العراء. وتركوني، سبعة أيام بلياليها. أغادر مكاني للتحقيق فقط ومن ثم يعيدونني إلى «المربط».

في اليوم الثالث لم أعد أعرف الليل من النهار. تجمدت من البرد فأنا مربوط على رأس تلة مقابلة للبحر في شهر كانون الاول وجسمي نصف عار تقريباً. بدأت أقول لهم ما أعرف وما لا أعرف. وحقاً لم أتذكر فيما بعد كل ما قلته خلال الأيام الأربعة التالية، كنت «أفبرك» الجواب كي يبدو منطقياً قدر الإمكان. في اليوم السابع فقدت وعيي فأدخلوني إحدى الزنزانات الإفرادية ولفوني ببعض الحرامات..الأسئلة التي طرحوها علي كانت تتناول عدة موضوعات: التكتيك العسكري الذي تتبعه المقاومة، كيفية إيصال الإمدادات، العلاقة التنظيمية داخل المجموعات، علاقة الاحزاب والحركات ببعضها البعض وكيف يتم التنسيق بين مجموعاتها، طبيعة التنسيق بين قيادة المقاومة الوطنية وقيادة المنظمات الفلسطينية، أسماء القادة الفعليين للمقاومة وكيف يتحركون، أسماء أعضاء المجموعات التي أتعامل معها، أماكن المخابئ، خططنا للمستقبل. فيما يخص الموضوعين الاخيرين حاولت، (قدر الإمكان طبعاً)، أن أعطيهم أسماء كوادر «محروقة» أمنياً أو موجودة في بيروت، وكذلك بالنسبة للمخابئ.

بعد عدة أيام في الزنزانة، استدعاني المايجور «مايك». كلمني بلهجة ودية، سألني عما أتوقع أن يكون جزائي، حدثني عن نوايا إسرائيل «الطيبة» وإنهم سينسحبون قريباً وبأنني لا زلت شاباً يافعاً وسأخسر حياتي هباء إذا لم أعد النظر «بقناعاتي» الخ... **سألته: بعد كل الذي فعلته معكم، لقد سببت وساهمت بمقتل وإصابة العشرات من جنودكم؟. ضرب لي مثلاً بأنه عندما ينسكب الحليب على الأرض لا فائدة من قتل البقرة.** وما مضى قد مضى، ويستطيع هو أن يطوي الصفحة القديمة ونفتح معاً صفحة جديدة. خلاصة الحديث عرض علي التعاون وطلب مني التفكير بالامر وعدم التسرع بالإجابة.

بعدها كان يزورني يومياً في الزنزانة أو يستدعيني إلى مكتبه، و«نتحاور» حول كافة المواضيع ومنها ضرورة تعاوني معهم. عرض علي عدة أشكال: التواجد في الزنزانة والتجسس على المعتقلين الجدد، الظهور على التلفزيون الإسرائيلي الخ... في إحدى الجلسات تحدث عن إخراج قيد يستعمله المقاومون المطلوبون على الحواجز الإسرائيلية، وبما انني أعرف عدداً كبيراً منهم فمن السهل علي الوقوف على حاجز باتر والإشارة إليهم. تذكرت «المقنعين» ولمعت في رأسي فكرة الهرب. وافقت فسألني، هل تصلي. قلت: لا. هل تشرب المسكرات؟ قلت نعم. هل تخرج مع الفتيات قلت: نعم. **كذبت فوراً وبدون تردد لأنني فهمت مقصده، يريد أن يعرف إذا كنت مؤمناً أو لا. بدون إطالة، أخذوني إلى باتر، حاولت الهرب، وفشلت، فقد كانوا يتوقعون ذلك مني أعطوني لرجال جيش لحد الذين ضربوني ساعات طويلة. أعادوني إلى مار الياس عند المايجور مايك، اكتفى «بتوبيخي»، أودعني الزنزانة. وبعدها نقلوني إلى معتقل أنصار يوم ١/ ١/ ١٩٨٥.**

أمام استمرار الإرهاب الإسرائيلي والتفكك الداخلي كان لا بد من أن نقوم بعمل ما نكسر فيه الدائرة التي استطاع الإسرائيليون وضعنا في داخلها، قررنا القيام بانتفاضة، في اليوم التالي تقدمت وبعض الشباب إلى قرب الجنود ونحن مشمرون عن سواعدنا وياقة القميص مفتوحة (كان ذلك ممنوعاً بتاتاً). هجم علينا الجنود، وبدأوا بإطلاق النار في الهواء وباتجاه المعتقل، كنا نحن قد أصبحنا ممددين على الارض والجنود فوقنا. هرع عشرات الجنود المجهزين بالاقنعة وقنابل الغاز والبنادق. تقدم الضابط ودعا المعتقلين إلى التجمع، هدأ المعتقلون وتقدمت سرية من الجنود إلى داخل المعتقل. فجأة صاح أحد المعتقلين «الله أكبر» وقفز مع زميل له على الجندي الأخير. رموه أرضاً واحتفظوا به رهينة. هرب الجنود من داخل المعتقل وجن جنون ضباطهم وبدأوا يطلقون قنابل الغاز بالمقابل استعمل المعتقلون الصحون والكؤوس وغالونات المياه. استمرت المعركة حوالى ساعتين سيطر بعدها الجنود على الوضع بعد إصابة معظم المعتقلين بجراح طفيفة. بعدها نقل عدد كبير من المعتقلين إلى الزنازين، وكنت من بينهم.

بعد أيام أعادوني إلى عتليت، وبعدها بقليل أطلق سراح الدفعة الأخيرة من المعتقل، ومنها شبلي وأنا.. في الناقورة لاحظت أن مجموعة من المعتقلين الذين نشتبه بهم قد صعدت في باص واحد. ناديت الشباب وصعدنا إلى الباص، وعندما حاولوا النزول قبل اجتياز حاجز قوات الطوارئ باتجاه الشمال، أمسكنا بهم وكبلناهم حيث قدمناهم «هدية» لمقاتلي حركة «أمل» الذين كانوا بانتظارنا، ولا زال معظمهم في السجن حتى الآن.

(مقابلة اجراها سويدان ناصر الدين وروجيه نبعة، «السفير»، ٢٣/ ٦/ ١٩٨٦)

شهادة معتقل شيوعي عاش تجربة سجون «النساء» و«أنصار» و«عتليت»



مجموعة من المعتقلين في أنصار خلف الأسلاك الشائكة (٢/٤/١٩٨٥)

الاسم: خليل الريحان

الانتماء: عضو قيادة الجنوب في «الحزب الشيوعي اللبناني».

□ **في الفترة التي اعتقلت فيها كنت تشغل منصب عضو قيادة منظمة النبطية؟**

○ نعم، وبعد إطلاق سراحي أصبحت عضواً في قيادة منطقة الجنوب. إذا أردنا الكلام عن تجربتنا داخل المعتقل، فيمكن تقسيمها إلى ٣ مراحل: فترة الاعتقال التي سبقت تبادل ٦ أسرى إسرائيليين بـ ٦ آلاف معتقل في **أنصار**، يومها أخلي معتقل أنصار من جميع المعتقلين، واستمرت عمليات الاعتقال من قبل جيش الاحتلال. على أن إسرائيل لم تفرج عن جميع الأسرى الذين اعتقلوا قبل اتفاقية تبادل الأسرى بشهر أو بعشرة أيام، بل إنها أبقت على بعضهم، مع العلم أن الاتفاقية نصت على إخلاء جميع الأسرى في أنصار، والمراكز الأخرى.

في ذلك الحين كنت معتقلاً في **«الريجي»** مع مجموعة، وكان قرار الإخلاء يشملنا كما أوضحت، إلا أن المخابرات الإسرائيلية لم تفرج عنا، وبقينا في «الريجي» ثم نقلنا من الزنازين إلى **سجن النساء** الذي كان خالياً، وألحقنا بمخابرات صيدا وصور. وكان عددنا ٥٠ معتقلاً.

□ **ما هو سبب اعتقالك؟**

○ يعود السبب في اعتقالي، إلى قيامي بنقل الأسلحة للمقاومة الوطنية. ولم يتمكنوا من معرفة مكان السلاح لأنني أرشدتهم إلى أماكن وهمية، وبذلك لم يستولوا على أي قطعة من السلاح، إلا أنهم حملوني مسؤولية نقل السلاح.

□ **هل اكتشفوا في ما بعد مكان السلاح؟**

○ عملوا على كشف مكان الذخائر، إلا أننا أخفينا قسماً من السلاح خلال فترة الاحتلال، وأخرجنا هذه الأسلحة من مخابئها مع بدء عمليات المقاومة. عثروا على ذخائر كلاشنكوف وآر.ب.ج.

□ **هل كان يتم العثور على الأسلحة والذخائر عن طريق الصدفة أو عن طريق الوشاية؟**

○ عن طريق الوشاية.

□ **هل كانت الذخائر موجودة في بيتك؟**

○ كلا. كانت الذخائر مخبأة في أماكن داخل البلدة.

□ **ولماذا توجهوا إليك بالتهمة مباشرة؟**

○ لان بيتي قريب من مخبأ الأسلحة، وعرفوا أن السلاح للشيوعيين، ونحن لم نخف هويتنا عندما دخل الاحتلال، وعرفنا بأنفسنا كشيوعيين ومسؤولين في الحزب الشيوعي، داخل البلدة، وعندما اكتشفوا أن الاسلحة للشيوعيين، تم استدعائي.

□ **لماذا عرفتم بأنفسكم كشيوعيين، هل كان ذلك ضرورياً؟**

○ نحن نعمل بالأساس بشكل علني، سواء على الصعيد السياسي أو الجماهيري أو العسكري، وكنا نقدر سلفاً أن عملاء إسرائيل سيدلون علينا. فأعلنا عن هوية شخصين في المنظمة، هويتي، وهوية شخص آخر. حصل ذلك عندما جاءت المخابرات الإسرائيلية تطالب بالسلاح وبمالكيه، فسلمنا بعض القطع بناء لإلحاح أهالي البلدة، تلبية لرغبتهم في تجنيب البلدة أي أذى ينتج عن ردات الفعل الإسرائيلية.

بعد مضي ٣ أشهر على الاحتلال، اعتقلت مدة ٣ أيام في صور، واستجوبت مرة في البلدة، ومرة في صور، إلى أن تم اعتقالي للمرة الاخيرة واودعت في الريجي، ثم نقلونا إلى سجن النساء، وقد علمنا بعملية تبادل الأسرى ونحن في الزنازين.

عشية تبادل الاسرى خيرنا رجال المخابرات أن نختار، في حال إطلاق سراحنا، الذهاب إلى شمال الأولي، أو إلى منطقة أخرى، فأجبت أنني أريد الذهاب إلى بلدتي، وعندما سألوني عن السبب قلت: هناك بلدتي وعملي وأسرتي، فأبدوا استعدادهم لقبول ذلك، إلا أنهم طلبوا مني أن أتعاون معهم مقابل ذلك. فأجبتهم أني لا أستطيع إفادتهم بشيء، عند ذلك شتمني الضابط ونادى الجندي الإسرائيلي وطلب منه أخذي إلى الزنزانة.

لبثنا في سجن النساء في «الريجي» مدة شهر ونصف، حين سمح للصليب الاحمر بمقابلتنا خلال هذه الفترة بدأنا نتعرف على العقلية الإسرائيلية وكيفية التعامل معها.

نظمنا صفوفنا داخل الزنازين، وشكلنا لجنة، بعد أن وصلتنا كتب تعرف باتفاقية جنيف عام ١٩٤٩، حيث أدركنا من خلال نصوص الاتفاقية انه يحق لنا تشكيل تنظيم، كمعتقلين. ومن خلال وسائل ابتكرناها، تمكنا من تأمين وسيلة للاتصال بالغرف العشر الموجودة داخل الزنازين، وكنا نرسل الرسائل لتعميم الموقف، من إضراب أو من تطورات سياسية تحدث في الخارج، وكانت هذه المعلومات تصلنا عبر أحاديثنا مع جنود الاحتياط الإسرائيليين. كان مسؤول الشرطة العسكرية في السجن من الاحتياطيين الذي يؤدون خدمة إجبارية سنوية، وهؤلاء أصحاب أعمال في إسرائيل ومنهم من يتكلم العربية. كما كان بين المعتقلين من يتكلم الفرنسية أو الإنكليزية. أقمنا علاقات مع بعض منهم، على أن البعض الآخر كان يتعامل معنا بقسوة، ذلك أن معظمهم، كان يملك صورة للمعتقل بأنه مخيف وإرهابي، وأننا جميعاً فلسطينيون ومتوحشون. وكانوا يتفاجأون بوجود نسبة كبيرة من المعتقلين اللبنانيين.

كنا في الزنازين نخضع لشتى ضروب الإرهاب، ورغم ذلك استطعنا عن طريق الحيلة تأمين قلم كوسيلة للاتصال بين المعتقلين.

كان أحدنا يحمل رفيقه على كتفيه، وينتظر مرور دورية الحراسة ليمد يده خارج الزنزانة التي يفصلها عن جارتها حجر باطون، ليوصل علبة الدخان التي تحتوي على رسالة إلى الزنزانة المجاورة. **في تلك الفترة بدأت تتكون نواة تنظيم للمعتقلين تقوم بدور نقابة**، وقد بدأ دورها مع زيارات الصليب الأحمر للسجن، حيث كانت الحاجة تدعو للاستعانة ببعضنا ليقوم بدور المترجم. استمر هذا الوضع شهرين، حيث أخبرنا رجال الصليب الأحمر، أنه يجري تهيئة معتقل جديد في أنصار. ونقلونا من الريجي إلى انصار، وكانت رحلة شاقة، لأنهم لم يسلكوا الطريق العادية التي تمر عبر النبطية - زبدين - أنصار، بل سلكوا طريق زفتا - النميرية - الشرقية - الدوير - أنصار. كانت أيدينا وأرجلنا مكبلة في الاغلال، كما وضعوا على أعيننا العصبات، وغطونا بالحرامات رغم حرارة الطقس، وكانوا يضربوننا ويرفسوننا بين الحين والآخر طول الطريق.

في **أنصار**، كنا أول من افتتح المعسكر، وكانت القوات الإسرائيلية تجمع عدداً من المعتقلين في معسكر ترابي، وكان الجنود يحدثوننا بشيء من الاعتزاز، بأنهم سيضعوننا في معسكر فيه ماء وكهرباء، وأرضه مغطاة بالزفت. دخلنا إلى هذا المعسكر مع مجموعات سبقتنا، وبدأنا بتشكيل المجتمع الأول في معتقل «أنصار» الثاني، الذي طغى عليه الطابع اللبناني من حيث العدد والفاعلية والنفوذ، وذلك بعكس «أنصار» الأول. ركزنا منذ البداية على العمل النقابي، وشكلنا لجنة قيادية للمعتقل. حصل خلاف في المعتقل بين وجهتي نظر: الأولى تعطي الأولوية «للمختار» وتركز على السلطة الفردية في إدارة المعتقل، والتعاطي مع جنود الاحتلال، وتحقيق بعض المكتسبات التافهة من وجهة نظر المناضلين. ذلك أن الإسرائيليين كانوا يتعمدون التقنين في المواد الغذائية والتموينية باستمرار، وذلك لإيجاد خلاف دائم بين المعتقلين، الامر الذي يتطلب وجود قيادة تعي خلفية هذا السلوك، وتشرح للمعتقلين كيفية التعاطي مع هذه الأساليب، وإلا فستحدث مشاكل.

□ **هل تحدثنا عن «طوبوغرافيا» المعسكر، وعن مهمة المختار ودوره؟**

○ في الفترة الأولى لم يكن يوجد سوى معسكر واحد، وكان **لهذا المعسكر مختار يعينه عملياً الإسرائيليون**، في ما بعد تم رفض هذا الإجراء، ومنذ اللحظات الأولى قمنا بتحجيم دور المختار الذي كان الراس التنفيذي، وفي «أنصار الاولى» كان المختار مميزاً لناحية اللبس والمأكل، وكذلك في علاقاته مع الآخرين، ولكن مع توسع المعتقل، واحتوائه ١٣ معسكراً يضم الواحد بين ١٢٥ و١٥٠ معتقلاً، لكل معسكر مختار فرض المعتقلون انتخاب المختار من المعتقلين. كان يوجد في التجمع ١٠ معسكران، ثم



مدخل معتقل الخيام (١٠/١٠/١٩٩٥)

ألغي كلياً وانتقلنا إلى المعسكر «س» الذي يضم ٥ معسكرات. وعندما ازداد عدد المعتقلين، أنشأوا التجمع «ب»، ووصل عدد المعسكرات فيه إلى ثمانية. كما بلغ عدد المعسكرات في تجمع «س» خمسة. وتجمع «س» عبارة عن مجموعة من المعسكرات يحيط بها ساتر ترابي، تخضع للمراقبة نفسها، ولها حرسها المستقل وبوابة داخلية، وكانت العلاقات تتم بين المعسكرات الخمسة بفتح البوابات الداخلية لكل معسكر، فتحصل الزيارات بين المعتقلين، وقد حصل ذلك بعد فترة من اللقاءات والنضالات، كما كانت الاتصالات تتم بالتخاطب من وراء الأسلاك، أو عبر الرسائل، وأهم من هذا كله، وجود لجنة خارجية تمثل المعتقلين جميعاً في تجمعي «ب» و«س»، وكان أعضاء اللجنة يتوزعون بين هذين التجمعين، وكانت هذه اللجنة مخولة من الجميع بالبت بكافة القضايا السياسية والمعيشية والصحية.

□ وهل تتمثل المعسكرات في هذه اللجنة بالتساوي؟

○ كلا، حرصنا على أن لا تكون لهذه اللجنة صفة تمثيلية لجميع المعسكرات، ذلك أن تمثيل المعسكرات من وجهة النظر الإسرائيلية، يمكن الإسرائيليين من عزل كل معسكر على حدة. في الوقت الذي أردنا لهذه اللجنة أن تكون ممثلة للمعسكرات جميعها، وأن يكون لها طابع التمثيل والإشراف على كافة المعسكرات، بحيث لا يتأثر المعسكر بممثله في اللجنة فحسب، وبحيث يتاح للجنة أن تطلع على كل المعسكرات، وتلتقي وتزور جميع المعتقلين، وتطلع على شؤون المعسكرات الداخلية، وعلى ما يعترض المعتقلين من المشاكل، وتتمكن من إبلاغ المعتقلين بتوجيهاتها ورؤيتها للوضع.

□ حسب أية آلية كانت تشكل مثل هذه اللجنة؟

○ انتخبت اللجنة بطريقة ديمقراطية، لأننا حاولنا انتهاج خطوات ديمقراطية منذ البداية، لكي نعود المعتقلين على تقبل الديمقراطية.

□ كيف تمت هذه الانتخابات؟

○ بكل بساطة، كنا نعمم على المعتقلين، إجراء هذه الانتخابات بواسطة رسائل خطية بعد أن حصلنا على أوراق كربون، وقد حصلت الانتخابات من خلال ثلاث دورات خلال عام ونصف أمضيتها في الاعتقال، كما كنا نعطي مهلة للمرشحين لإرسال ترشيحهم لعضوية اللجنة أو لأمانة السر للجنة المعتقل.

□ كيف تكونت لجنة المعتقل؟

○ بويعت اللجنة الأولى في المرحلة التي كان المعتقل يتألف خلالها من معسكرين، فانتخب لكل منهما لجنة داخلية مؤلفة من ٥ أشخاص، ومن ضمن هؤلاء الخمسة، المختار، وهو العضو التنفيذي الذي يتعاطى مع الإسرائيليين. ويشكل الأربعة الآخرون، مع المختار القيادة الجماعية الداخلية التي تشرف على حياة المعسكر وتنظيم أموره من حيث الصحة والنظافة والمأكل والثقافة والنشاط الرياضي وألعاب التسلية وإعطاء الدروس للأميين، وتدريس اللغات، وإلقاء المحاضرات، وقد كلف شخصان من كل معسكر خلال هذه الفترة بتولي الشؤون الخارجية، كما استمرت هذه اللجنة بعقد اجتماعات مع قيادة المعسكر لملاحقة مطالب المعتقلين.

□ كيف فرض هذا النوع من العلاقة مع الإسرائيليين، بالحوار؟ أم بالإضراب؟

○ أصر الإسرائيليون خلال الفترة الأولى على إعطاء الدور للمختار، وبعد انقسام المعسكر إلى معسكرين، سمى الإسرائيليون أحد مختاري المعسكر ليكون مختاراً للمعسكرين، إلا أن هذا التعيين قوبل بالرفض من المعتقلين. جاء هذا الرفض نتيجة تحريض أعضاء اللجنة الذين قادوا معارضة المعتقلين ومنعوا المختار من حضور الاجتماعات، وفرضوا على الإسرائيليين عقد اجتماعاتهم مع اللجنة.

□ هل كان المعتقلون ينتمون بغالبيتهم إلى فئة معينة لكي يحصل هذا التجانس في الموقف؟

○ في الفترة الأولى، كانت الأغلبية تنتمي لأحزاب الحركة الوطنية، ولم يكن لحركة «أمل» تمثيل في اللجنة الأولى. كان هناك ممثل فلسطيني واحد، وأربعة لبنانيين.

□ ما هي القوى السياسية التي مثلها هؤلاء الأربعة؟

○ ثلاثة منهم يمثلون الأحزاب والرابع محسوب على الأصوليين، وممثل فلسطيني، ولم يكن لحركة «أمل» أي ممثل.

□ هل تتذكر أسماء الأعضاء الذين كانوا في هذه اللجنة؟

○ نعم. كان في اللجنة شخص يدعى حسن صالح من عدلون، وآخر ناصري من آل حبلي وهو من مدينة صيدا. وأحمد نضر من عربصاليم. وأنا وآخر فلسطيني من مخيم عين الحلوة يدعى أبو إبراهيم.

□ هل كانت اللجنة الخارجية التي تحدثت عنها تفرز من اللجنة الداخلية التي تهتم بأمور المعتقل الداخلية؟

○ حصل ذلك خلال الفترة الأولى التي لم تتعد الستة أشهر، وهذه المدة مقررة في اتفاقيات جنيف. خلال الفترة الثانية تم انتخاب اللجنة الخارجية مباشرة من المعتقلين بمعزل عن دور اللجان الداخلية والمخاتير. بعد أن تضخم المعسكر انتقلنا إلى المجمع «س» الذي يضم أربعة معسكرات، في الوقت الذي كان معسكر (أ) يضم معسكرين، ثم ضمه إلى معسكر «س»، حتى لا تقسم الحراسة على مجمعين بعيدين عن بعضهما، عمد الإسرائيليون إلى عملية الضم هذه، وكذلك ليتسنى لهم الرقابة، وكان الإسرائيليون يتبعون خطة، من شأنها عدم حصول استقرار، حتى أنهم في عمليات نقل المعتقلين يفسحون في المجال لبعض المعتقلين للانتقال ويعمدون إلى نقل البعض بأنفسهم. وبسبب ذلك أنه كانت قد حصلت محاولة حفر نفق في معسكر (أ) بعمق مترين، وغطوه بغطاء من البلاستيك وفرشوه بالحصى ليأتي شكله مشابهاً لأرض الخيمة المزفتة، إلا أن هذا النفق قد اكتشف. كما أن نقل المعتقلين المستمر، كان يمنع - في نظر الإسرائيليين - المعتقلين من إيجاد حالة من المواجهة، كما يمنعهم من التفكير بقضايا سياسية ووطنية ومستقبلية. ولهذا الشق التنظيمي أثر مهم في التخلص من الثغرات والمشاكل التي وقعت فيها «أنصار الأولى»، والتي تم تجاوزها خلال مرحلة «أنصار الثانية»، بحيث لم يحصل أي حادث لافت للنظر. ومن ناحية ثانية، قام هذا الشكل التنظيمي داخل السجن، لتعويد شعبنا على أسلوب القيادة الجماعية في العمل الديمقراطي، ولإيجاد الحصانة للمعتقلين أمام الاستفراد الإسرائيلي، بحيث لا يستفرد هؤلاء بأي قائد في المعتقل. كما عملت هذه القيادة على تنظيم ورفع المستوى النضالي والكفاحي للمعتقلين، بحيث إن العديد منهم خرج من المعتقل بروح كفاحية أعلى، وبوعي كبير، أياً كان التنظيم الذي ينتمي إليه، وأياً كان الفكر الذي يحمله. إلا أن هذه الحالة الديمقراطية لم تكن حالة دائمة، إذ أن الإسرائيليين كانوا يوجهون أولى ضرباتهم لأعضاء اللجنة لقمعهم، وحبسهم ومنعهم من التحرك والاجتماع.

□ هل كان يحصل ذلك في المرحلة الأولى لقيام هذه اللجنة؟

○ حصل ذلك للجنة الأولى والثانية والثالثة. كان يتردد أن المعتقلين يعيشون في مخيم كشفي، وإذا ما ألغينا صفة الحبس والوجود الإجباري ضمن الاعتقال يمكن القول إنه مرت مراحل كنا نقيم خلالها نشاطات رياضية وثقافية واجتماعية، كما أتيح لنا خلال الفترة الأولى تنظيم مهرجانات سياسية. وقد احتفلنا بيوم الأرض، وبذكرى أربعين الشيخ راغب حرب، في احتفال عام، وقد كلفتني اللجنة في ذلك الوقت أن ألقي كلمتها في برنامج الاحتفال.

□ هل تم الاحتفال بناء على إذن مسبق من الإسرائيليين؟

○ كانت الفترة الأولى للاعتقال فترة المواجهة الباردة مع الإسرائيليين. حصلت المواجهة الساخنة عندما كنا في معسكر (أ) حيث أطلقت النار على أحد المعتقلين، فأصيب إصابة بالغة في رجله خلال ممارسته رياضة الركض حول المعسكر من الداخل. كانت المسافة بين الشريط الشائك والخيام مسافة متر، وهذه المسافة محددة بخط أبيض يمنع تجاوزه. وكان الإسرائيليون يقومون بجولات في المعسكر، فأطلقوا النار على المعتقل، عند ذلك حصلت المواجهة. كانت البوابة الفاصلة بين المعسكرات، تفتح مرة واحدة في الأسبوع، وهذا البند موجود في الاتفاقات. وكان المعتقلون يقومون بزيارة بعضهم خلال فتح البوابات، ولمدة ساعتين، وكان الإسرائيليون يتخذون بعض التدابير خلال تلك الفترة، وعندما تنتهي مدة الزيارات، يعود كل معتقل إلى خيمته، وكان كل ذلك يتم بإشراف اللجنة، وخلال فتح البوابات يجتمع المعتقلون في معسكر واحد ويقيمون احتفالات خطابية.

□ كيف كان موقف القوات الإسرائيلية من هذا الموضوع، وهل كانت الهتافات تطلق خلال هذه المهرجانات؟

○ كان دورهم يقتصر على المراقبة وتسجيل الخطابات. كما كانت تطلق هتافات، بعضها متطرفة، كان يطلقها الأصوليون بشكل مميز مثل: «خيبر خيبريا يهود، جيش محمد بدو يعود»،



محررون لحظة خروجهم من سجن عتليت (٤/٧/١٩٨٥).

كذلك كانت تطلق هتافات قومية ووطنية، وبشكل أغنيات. منعت إسرائيل هذا النوع من الهتافات، وذلك بمنعها فتح البوابات، وأصبحت المهرجانات تقام في كل معسكر على حدة.

وبعد أن حصلت عمليات هرب من المعسكرين (س ٣) و(س ٦) في شهر أيار، عمدت القوات الإسرائيلية إلى إقفال البوابات. في تلك الليلة كان جنود العدو يعيشون حالة من الاسترخاء، وكانوا قد سمحوا لنا يومها بوصول أول طرد من هدايا الأهل لنا عبر الصليب الأحمر، كما تنص اتفاقية جنيف. وكانت هذه الهدايا عبارة عن كتب وألعاب وأدوات تسلية. وضمن هذا الوضع اعتقد الإسرائيليون أن المعتقلين يشعرون بارتياح. في حين كان يخطط لهروب ٨ معتقلين من معسكر «س ٣» ومن معسكر «س ٦»، وكان التخطيط يتم بسرية شديدة، حتى أن بعض أعضاء اللجنة الداخلية لم يكونوا على علم بها.

كان الإسرائيليون يركزون مراقبتهم على النفق لأنه الوسيلة التقليدية للهرب في «أنصار الاولى»، بينما كنا في «أنصار الثانية» وضعنا في معسكرات بعيدة عن الساتر الترابي الذي يشكل حدود المعسكر، وكان المعتقلون يراقبون الحراس الذين كانوا ينامون في فترة ما بعد منتصف الليل، وكان الشريط الذي يسيج المعسكر مصنوعاً من نوع معين من المعدن، بحيث إنه إذا فتح من مكان ما فيمكن سحبه وفتحه. وكان الإسرائيليون حريصين على عدم وجود أية آلة حادة مع المعتقلين، وكانوا يأخذون منا أي شيء معدني. والحقيقة أننا كنا نستعمل مثل هذه الآلات لتقشير البطاطا والبندورة، وللحفر على الخشب والحجر، كذلك كنا نستعملها كوسيلة تعيننا على الهرب. كان الشريط الشائك يتألف من أشواك دائرية، وكان فتحه ممكناً، وقد تمكن بعض المعتقلين من فتحه، ثم فتحوا الشريط الثاني وصعدوا إلى الطريق الكائنة بين الساتر الترابي والمعسكر. وأمام المعسكر، نصب شريط ثان، ففتحوه من تحت البرج مباشرة حتى لا يراهم الراقب ثم تمكنوا من الفرار وكان عددهم ثمانية معتقلين. وقد خطط لتهريب قسم آخر من المعتقلين، إلا أنهم اصطدموا بشريط وضع خارج الساتر الترابي في الحقل، وذلك بعد أن اجتازوا شريطين. **ويبدو أن الإسرائيليين وضعوا هذا العائق دون أن يعلم الفارون، به. عند اصطدامهم بهذا الشريط، تنبه الحارس وأطلق النار فاستشهد الرفيق أحمد رمضان. رأينا طائرة هليكوبتر تحط في المعتقل، ثم علمنا فيما بعد أنها نقلت الشهيد بعد مرور بعض الوقت، وليس مباشرة. وقد تمكن ٣ معتقلين من الهرب من أصل ثمانية استشهد أحدهم وأسر ٤ منهم.** كذلك هرب اثنان من المعسكر (س ٦) ولم يستطع الإسرائيليون ملاحقتهم، وبتقديري أنهم لم ينتبهوا لهروبهم نظراً الى تركيزهم على معسكر (س ٣). وقد اكتشف الإسرائيليون هرب هذين المعتقلين بعد مرور ساعتين على عملية الهرب الأولى التي استشهد خلالها أحمد رمضان، كان أحدهما

من صيدا والثاني من الساحل، وقد توجها غرباً.

تفاصيل العملية أننا أدخلنا إلى المعسكر بنوكاً خشبية ذات أرجل حديدية يمكن طيها بواسطة مفاصل قوية. أحد الشباب استعمل هذه المفاصل كمقصات، وكان ينام قرب الشريط الحديدي ويراقب الجندي الموجود في برج المراقبة. رمى بطانية على السلك الدائري، ثم رمى بطانية ثانية، بحيث تمنع هذه البطانية الجندي الموجود في برج المراقبة من رؤيته عندما يقص الشريط وكان الإسرائيليون يقومون من وقت لآخر بإحراق كل ما يرميه المعتقلون من ثياب قديمة وغيرها، وكان البعض يرمي هذه الثياب بشكل عفوي، والبعض الآخر يرميها بشكل متعمد، فتمكن من قص الشريط بصحبة أحد المعتقلين، ولم ينكشف أمره إلا بعد أن قام الإسرائيليون بالتعداد بعد مرور ساعتين على هربهما.

□ **ماذا كانت ردة الفعل الإسرائيلية على هذه العملية؟**

○ سمعنا إطلاق نار في الصباح الباكر، فاتصل أعضاء اللجنة ببعضهم وعلمنا بحدوث عملية هروب من المعسكرين (س ٣) و(س ٦).

□ **ألم يدخل الإسرائيليون ليلاً إلى داخل المعسكرات؟**

○ كلا. لم يدخلوا. وفي الصباح قاموا بتعداد المعتقلين لمعرفة هوية الفارين. بعد هذه العملية مباشرة، تغيرت طريقة التعامل مع المعتقلين **وأصبح تعاملاً قمعياً وحشياً**. وصودر كل ما كان لدينا من الهدايا والأطعمة والألبسة والكتب. ثم طلبوا بعض أعضاء اللجنة، وعدداً من المعتقلين للتحقيق، باعتبارهم مسؤولين عن عملية الفرار. أرادوا إخراجنا من المعسكر، في الوقت الذي كنا فيه ما زلنا نعيش نشوة تنظيم صفوفنا وقوتنا وتماسكنا حتى إننا كنا لا ننفذ التعليمات التي لا تعجبنا. صباح اليوم التالي جاءوا بأعداد هائلة من الجنود، وكانوا يحملون الهراوات، وكذلك أحضروا الجنود الميدانيين من لواء المظليين ونشروا دباباتهم في المعتقل وأشاعوا حالة من الإرهاب، وهجموا على المعسكرات بهدف إجراء عملية تأديبية لمجموعة من المعتقلين اعتبروا مسؤولين عن تنظيم عمليات الفرار من المعسكر. وكان هدفهم أيضاً إخراجنا من المعسكر لصعوبة دخولهم إلى داخل الخيام، ولهذا الغرض قدرت القوة التي حضرت بنسبة ٥ جنود للمعتقل الواحد. جاء مسؤول اللجنة ليقول لي ـ وكنا معاً في المعسكر نفسه ـ إن الإسرائيليين يريدون إخراج بعض الأشخاص من المعسكر.

□ **من كان مسؤول اللجنة؟**

○ كان مسؤول اللجنة الأولى حسين صالح. خلال ذلك طلبوا إلينا الجلوس على الأرض، على أن يكون وجهنا إلى الأمام لإجراء عملية التعداد من الخلف. أجبت حسين صالح بأننا غير مستعدين لتنفيذ هذا الأمر بتسليمهم الأشخاص المطلوبين، فذهب إليهم ليبلغهم هذا الموقف، إلا أنهم لم يستمهلوه، وقاموا بفتح البوابات، وطلبوا لائحة أسماء كان اسمي أول اسم فيها، ثم أبقوا مسؤول اللجنة على الباب، ولم يتركوا لنا فرصة للتشاور واتخاذ الموقف والاتصال ببقية المعسكرات، فوجدنا أنفسنا مضطرين لتنفيذ الأمر.

أخرجونا من المعسكر، وقاموا بنقل مجموعة من المعتقلين، أغلبهم من الشيوعيين، وفيهم بعض أفراد من «الجماعة الإسلامية» وحركة «أمل» والفلسطينيين من جماعة «أبو موسى»، ووضعنا في معسكر معزول، وبدل أن يحاط هذا المعسكر بالشريط الشائك، أحيط بجدران من الباطون يمنعنا من رؤية المعسكرات الباقية. وتعرض هذا المعسكر للقمع بشكل أساسي، وتركوا لبعض المعسكرات أغراضاً ومتاعاً تجعل الحياة داخل معسكراتهم مقبولة وكان قصدهم من ذلك شق صفوف المعتقلين، ليدور الكلام أن البعض ارتضوا بامتيازات حرم منها البعض الآخر.

منذ ذلك الحين بدأ القمع والإرهاب داخل المعسكرات. وبدأ الطلب مجدداً بوضع اليد على الرأس أثناء عملية التعداد، وكان المعتقلون يعتبرون هذا الأمر مساساً بكراماتهم وإهانة لهم. وكان الإسرائيليون يتظاهرون أثناء نقاشنا معهم بهذا الموضوع أنه مجرد إجراء أمني حتى لا تبقى أيدي المعتقل حرة، لكي نقبل برفع أيدينا فوق رؤوسنا، وقد كلفنا ذلك دماء، ومنعنا من الاتصال مع الآخرين، حتى أن أحد المعتقلين قام برمي رسالة لأخيه في المعسكر الكائن بجواره، فانحنى أخوه لالتقاطها، فما كان من الجندي الإسرائيلي إلا أن أطلق عليه النار. فحصلت عدة انتفاضات أصيب خلالها عدد من المعتقلين، **وكان الحراس يتحينون أية فرصة أو سبب لإطلاق النار.** كان الإسرائيليون في البداية يهدفون إلى تطبيع العلاقات مع المعتقلين، ثم وجدوا أننا استغلينا هذه الحالة، للهرب والتعبئة السياسية والاستنهاض والتوعية، بحيث إنهم أصبحوا أمام مدارس حزبية وتنظيمات مركزة في المعتقل.

كانوا يهدفون إلى صرف أفكارنا عن النضال والقتال، ويصرحون لنا بذلك خلال التحقيقات. جربوا استعمال وسيلة القمع، ولكنها لم تنفع، وحاولوا أن يكون المعسكر مجالاً تأديبياً لقوى سياسية ستشكل المجتمع في الخارج. كان هذا المعسكر نموذجياً للتعايش والعلاقات الحميمة، وللنشاطات الفكرية والسياسية، بحيث كنا نقيم أسبوعياً، حفلة ترفيهية، تسبقها محاضرة سياسية، وقد خصصنا لهذه الحفلة ليلة الأحد، حيث كنا نسهر ونغني ونرقص حتى منتصف الليل. وهذا ما أربك العدو. **فعملوا على إدخال بعض العملاء إلى معسكرنا وكان بينهم السني والشيعي والفلسطيني، وذلك بقصد خلق البلبلة والمشاكل.** وكانت بعض المعسكرات تتعرض لبعض المشاكل التي تنم عن قصور في الوعي عند البعض بحيث إن سبب هذه المشاكل يكون متعمداً ومقصوداً من قبل الإسرائيليين. ذلك من خلال التقصير بتقديم الأدوية والأطعمة والتجهيزات. وقد تمكنا من تجاوز هذه الأمور، وذلك بواسطة رمي الرسائل إلى



إحدى زنزانات الريجي (١٢/٤/١٩٨٥)

المعسكرات الأخرى. وقد أدى إدخال معسكر «س» في معسكر «ب» إلى صعوبة في رمي الرسائل، بحيث كنا نحتفظ بحجارة لربط الرسالة وإيصالها قذفاً مع الحجر، إلى المعسكر.

اعتمد الإسرائيليون، إلى جانب أسلوب القمع، وتنقيص المواد الغذائية، على المخابرات أيضاً للتأثير على المعتقلين وزرع بذور الفتنة بينهم. فبدل أن يخرج هؤلاء من المعتقل حاملين معهم عوامل الألفة والتحالف بين القوى السياسية والاجتماعية، فإنهم يخرجون حاملين عوامل التفرقة والأحقاد والعداوات. عمل الإسرائيليون عبر مخابراتهم على بث الفرقة بين المتدينين وغير المتدينين، وبين السنة والشيعة، وبين اللبناني والفلسطيني، وبين الشيوعي والمؤمن.

كانت الرسائل التي نرميها إلى المعتقلين في المعسكرات الأخرى لا تصل في أغلب الأحيان، بل يلتقطها الإسرائيليون ويطلعون على ما فيها، وفي ضوء ذلك يتم استدعاء أصحابها للتحقيق، ويحاولون الضغط عليهم للتعاون معهم، خلال تلك الفترة كنا لا نزال في المعسكر «النموذجي»، وكنا نصدر تعليمات إلى المعتقلين بعدم ذكر معلومات في الرسائل كي لا يتعرض أصحابها للتحقيق والضغط، وحتى لا نمكن العدو من الاستفادة من هذه المعلومات. كانت المخابرات الإسرائيلية، تحاول تصيد المعتقل الجديد، الوافد، بأن يستدرجه عملاؤها للكلام.

حصلت في المعسكر أول محاولة تمرد، إلا أنها لم تعط النتائج المرجوة بحيث لم تلتزم جميع المعسكرات، أما المحاولة الثانية فقد لقيت تجاوباً أكبر من المعتقلين، وقد تعرض المعسكر لعمليات قمع بسبب هذا التمرد، وأطلق الجنود النار، واستعملوا الغاز خلال المواجهة. استمرت العقوبات ضد معسكرنا والمعسكر (س ٣)، فمنعنا من استلام الرسائل من الصليب الأحمر، وكذلك من إرسال الرسائل وعندما حل عيد الفطر المبارك، تمكنا من الاجتماع لتنظيم عملية انتخاب اللجنة الثانية، جرت الانتخابات بشكل سري في كل معسكر على حدة، وأشرفت اللجنة الداخلية على عملية الانتخابات، وذلك بإرسالها لائحة بعدد الأصوات إلى معسكر معين، وأعلنت النتائج بعد تجميع الأصوات.

□ كيف كان يتم الترشيح إلى عضوية اللجنة؟

○ جرت الانتخابات أوائل شهر حزيران عام ١٩٨٤، واستمر الحجز على اللجنة القديمة، ومنعت من التحرك، وتمت الموافقة على أن تتألف اللجنة الجديدة من ٥ أعضاء، مثلت فيها الحركة الوطنية، وكان هناك تمثيل لحركة «أمل» وللسنة والفلسطينيين. وقد أخذت هذه اللجنة الطابع الديني والإقليمي. تمثل الأصوليون بحركة «أمل»، أما «الجماعة الإسلامية» فاعتبرت نفسها ممثلة بيوسف مسلماني، وقد حصلت إشكالات ومنافسات في مسألة التمثيل الفلسطيني.

كان المعتقلون الفلسطينيون يصرون على أن يتقدم الممثل الفلسطيني كمرشح من قبلهم، ولكننا اعترضنا على ذلك،

وطالبنا أن ينتخب جميع المعتقلين الممثل الفلسطيني. وقد كان أحد مناصري «أبو عمار» منسجماً مع توجهات اللجنة، إلا أن جماعة «أبو موسى» لم يقبلوا وحصل الخلاف. فعملنا حلاً لهذا الإشكال على ترشيح شخص كتسوية، وهذا الشخص من مخيم الرشيدية وقد حاز على قبول الفريقين. أما مرشحا حركة «أمل» فكانا مصطفى المصري وحسن نضر.

□ إذا كان الترشيح، قد حصل بالتوافق، فلماذا جرت الانتخابات؟

○ لم يوافق بعض المرشحين على اللائحة الائتلافية، ولهذا جرت الانتخابات.

□ هل كان الشيخ محرم العارفي معتقلاً في تلك الفترة؟

○ اعتقل الشيخ محرم العارفي خلال فترة اللجنة الأولى، وقبل حصول عملية الفرار من المعسكر بمدة عشرين يوماً. وكان الشيخ عباس حرب في عداد الدفعة الأولى من المعتقلين، أي ضمن المعسكر (أ)..

كنا نعقد اجتماعات دورية مع الإسرائيليين، وكان يتولى رئاسة الوفد في كل مرة عضو في اللجنة، للمفاوضة. وبما أنني كنت أمين سر اللجنة الأولى، فكنت أتولى تحضير مادة المفاوضات. وكان لدينا دفتر لتدوين الجلسات بأسماء المعتقلين، وكنا نوزع التعميمات السياسية والتنظيمية داخل المعسكرات، بالإضافة إلى أنني كنت أدير الاجتماعات مع الصليب الأحمر كوني أتكلم الفرنسية، لذلك أصبحت كل القضايا التنظيمية والإدارية منوطة بي. عملنا في هذه المرحلة بشكل جيد. فأصلحنا ما أفسدته مشاكل الانتخابات والترشيح، وأصبحنا نتناوب على زيارة المعسكرات، ونطرح آراءنا، وندعو للتوجه الوطني والقومي والإسلامي، كما كنا نشارك في الاحتفالات التي تقام في المناسبات الإسلامية بشكل واضح وفعال، ونلح بالطلب من الإسرائيليين ليسمحوا لنا بإحياء هذه المناسبات.

استمر عمل هذه اللجنة ستة أشهر، وحصل في هذه الفترة نوع من الإرباك نتيجة غياب إمكانية اتخاذ قرار بالأغلبية لأنه كان يحصل أحياناً تباين في وجهات النظر. كذلك، اشتدت الهجمة الإسرائيلية في تلك الفترة، وكثرت الاستفزازات وسقط عدد من الجرحى بنتيجتها وقد ساهمت بعض الممارسات غير المسؤولة لبعض المعتقلين، كاجتياز الخط الأبيض ـ على سبيل المثال ـ إلى تشديد الهجمة الإسرائيلية. كانت همومنا كبيرة في المعتقل، حيث إننا كنا نبقى مستنفرين جسدياً وفكرياً لكي نقنع الآخرين بصواب تصرفنا.

بعد هذه المرحلة، أفرج عن بعض المعتقلين، الأمر الذي كان ينعكس ـ أحياناً ـ بشكل سلبي على بعض المعتقلين الذين لم يفرج عنهم وذلك لجهة وضعهم العصبي والنفسي، فيبرز هذا الأمر من خلال مسلكهم غير المنضبط. فإذا صدر عن معتقل شتيمة، اعتبرها المؤمنون موجهة إليهم، وقد تمكنا من تجاوز مثل هذه الأمور.

□ هل جرت في هذه المرحلة مواجهات كبيرة مع الإسرائيليين؟

○ حدثت مواجهات وسقط جرحى خلال تشرين الثاني، في تلك الفترة احتفلنا بالذكرى الستين لتأسيس الحزب الشيوعي اللبناني..

□ هل كان معتقلو «أمل» و«حزب الله» في عداد الحاضرين؟

○ كلا، وكان الشيخ محرم العارفي مريضاً، ولكن عندما أتى الإسرائيليون خرج من خيمته وجلس معنا في الصف الأمامي، وبالمناسبة شارك بكلمة. ولما اقتحم الإسرائيليون المعسكر حصلت معركة حامية شارك فيها جميع المعتقلين واستخدموا خلالها البطاطا والبصل والأوتاد، وكل ما وقعت عليه أيديهم، في هذه المواجهة وقد تضامن معنا في هذه المواجهة معتقلو (س ٦)، لذلك، وبعد أن خرج الإسرائيليون من معسكرنا توجهوا إلى المعسكر (س ٦) لتأديبه. والمهم في الموضوع، أنه بعد خروج الإسرائيليين من معسكرنا، تابعنا برنامج احتفالنا، وأقيمت مظاهرة كبيرة أطلقنا خلالها الشعارات المعادية للإسرائيليين.

في تلك الفترة حصلت مع الإسرائيليين أكثر من مواجهة، ولأكثر من سبب، وعلى الأثر نقل بعض أعضاء اللجنة إلى معسكر آخر، كالشيخ يوسف، وحسن نضر وغيرهما. وقد ساهمت هذه المواجهات في توحيد المعتقلين ورص صفوفهم ونبذ خلافاتهم.

بعد ذلك احتفلنا بمناسبة عيد الاستقلال، واحتفلنا بذكرى انطلاقة حركة «فتح» في أول كانون الثاني. وكنا نستفيد من هذه المناسبات لتجميع المعتقلين والالتقاء بهم..

□ هل تشكلت اللجنة الثالثة قبل نقلكم إلى عتليت؟

○ نعم. انتخبت اللجنة الثالثة قبل انتقالنا إلى عتليت بشهرين. انتقلنا إلى عتليت في ٣ نيسان، ومكثنا شهرين هناك، وانتخبت اللجنة الثالثة في نهاية شهر شباط. واستمر عملها شهرين، وقد تعرضت للعديد من المشاكل، ولم تشكل بناء على موافقة الجميع، بل دارت خلافات حول طبيعة الانتخابات، هل تكون أكثرية أم نسبية، وكان تحالف القوى الإسلامية واضحاً في مواجهة القوى الوطنية والديمقراطية. تقدم للترشيح ٣ عن حركة «أمل»، وعضو فلسطيني، وعضو من صيدا هو الشيخ يوسف مسلماني، وكان أمامنا خيار من اثنين: فإما أن نفرض انتخابات نسبية، فيتمثل كل ٣٠٠ معتقل بمرشح واحد، مع العلم أن عدد المعتقلين كان ١٢٠٠ معتقل. وبعد نقاش حاد مع رفاقنا في المعتقل، ارتأينا أن لا نجعل من موضوع تمثيلنا مشكلة مع القوى التي يجب استمرار التحالف معها لتحرير الأرض. أما القوى الثانية، فكانت تنظر من خلال أفق ضيق. وقد حصلت الانتخابات ونلنا ٣٥٠ صوتاً، دون اللجوء إلى اللائحة الائتلافية، بل على أساس الأكثرية. وقد أيدنا اللجنة المنتخبة وعممنا تأييدنا على كافة المعسكرات.

□ من هم أعضاء هذه اللجنة؟

○ حسن نضر وكامل وشخص ثالث لا أتذكر اسمه عن حركة «أمل» وشخص فلسطيني يدعى «أبو نضال» والشيخ يوسف مسلماني. وقد أيدنا كل من الشيخين يوسف مسلماني ومحرم العارفي، ولم يقفا ضد اللائحة الائتلافية وتمثيلنا فيها. وقد عملنا مع الشيخ محرم العارفي مدة عام في معسكر واحد، وكنا نعمل معاً على حل المشاكل، ما خلق نوعاً من الاحترام المتبادل، وتفهماً لطبيعة الأوضاع..

حاولت القوات الإسرائيلية استغلال غيابنا عن اللجنة، فاستدعاني الكولونيل مرتين لمقابلته خارج المعسكر، وسألت المختار ماذا يريد مني فأجاب بأنه لا يعرف. كان في المعسكر ضابط درزي يتكلم العربية، سألته ماذا يريد الكولونيل، فأجاب: يريد رؤيتك فقط. وعندما التقيته، سألني عن احتياجات المعسكر، وما ينقصه، فأجبته إن للمعسكر مختاراً، وهو المسؤول عن احتياجاته، بإمكانه أن يسأله حول هذا الأمر. بعد ذلك، سألني عن اللجنة، فأجبته أنها موجودة وهي تمثلنا. ثم اختصرت حديثي معه وذهبت إلى المعسكر. وهناك حادثة أخرى حصلت عندما أخذونا إلى معسكر القمع، ومنعوا عنا زيارات الأهل، يومها لم يعترفوا بوجود اللجنة، وكلفت أن أكون مختار المعسكر، وقد حصل ذلك بموافقة المعتقلين، جاء يومها ضابط المخابرات، وطلب مني عنوان مسكني، فسألته لماذا يريده، فأجاب أن هناك من يريد زيارتي، فقلت له أن هناك عدداً كبيراً من المعتقلين يستحقون زيارة من أهلهم، فقال: إن هؤلاء معاقبون، فأجبته: وأنا أيضاً معاقب، فأجاب بأنه يريد خدمتي، وأن لا علم لقيادة المعسكر بذلك. فرفضت وقلت له: عندما يأتي دوري ضمن الترتيب الذي اتفقنا عليه مع الصليب الأحمر بموافقتكم، فإني أقبل الزيارة. وإذا كنت تريد خدمتي، عليك إقناع قيادتك برفع الحظر عن زيارات المعتقلين. سمح الإسرائيليون لأهل أحد المعتقلين الذي مضى على وجوده في المعتقل حوالي شهرين، ربما لأن أهله على علاقة ببعض رجال المخابرات الإسرائيلية. كان الإسرائيليون يستخدمون مثل هذا السلوك لتشويه سمعة بعض القيادات، إلا أن هذه الوسائل لم تنجح.

□ هل سمح لكم بتشكيل لجنة بعد انتقالكم إلى عتليت؟

○ ألغي كل شيء في عتليت. ولكننا استطعنا تأليف لجنة جديدة. يحتوي كل معسكر في عتليت ٣٠٠ معتقل، ولم نتمكن من تشكيل لجنة تمثل كافة المعسكرات، كنا نجتمع في ٤ معسكرات، ضمن رقابة مشددة، تمنعنا من الاتصال بالمعسكرات الأخرى. إلا أننا تمكنا من الاتصال بالمعسكر الموجود بالقرب منا. وشكلنا لجنة في معسكرنا، إلا أن الإسرائيليين عينوا مختاراً للمعسكر. وقد عملت هذه اللجنة على مراعاة الظروف والإمكانيات. وتشكلت من ممثل لحركة «أمل»، هو الدكتور رفيق غدار، ثم استبدل فيما بعد بأحمد قبيسي، وممثل من صيدا يدعى بسام الزين، وذلك بسبب وجود عدد كبير من المعتقلين الصيداويين في المعسكر، وممثل عن جبهة الإنقاذ الفلسطيني، وأنا. وقد اعتبر الأصوليون أن أحمد الزين يمثلهم كونه ينتمي إلى «الجماعة الإسلامية»، ولم يطالب فريق من هؤلاء بتمثيله في اللجنة. وقد كان أمام هذه اللجنة مهمات كبيرة، وتعرضت للكثير من القمع. فكنا نقضي ساعات على الأرض دون حراك، رؤوسنا محنية وأيدينا فوق رؤوسنا. وكانوا يفرضون علينا ترتيب أغراضنا بالطريقة التي يريدونها. كانوا يفرضون علينا في الفترة الأولى، البقاء في الخيام. كما كانوا يتعمدون التحرش بنا لإيذائنا وضربنا.

إلا أننا تمكنا من تنظيم المعتقل، رغم حالة اليأس التي مر بها المعتقلون بعد نقلهم إلى عتليت ذلك أن مصيرنا كان مجهولاً، حتى أن الصليب الأحمر لم يقم بزيارتنا خلال الفترة الأولى، ولم يسمح بوصول الرسائل من الأهل. وقد عملت اللجنة على تركيز هذا الوضع غير المستقر، وإعطاء بعض التفسيرات للوضع. ثم أننا مارسنا بعض الضغط على الإسرائيليين لتحسين الوضع العام، وبالفعل تحسن الوضع داخل المعتقل ابتداء من الشهر الثاني لوجودنا في عتليت، فأعطونا بعض الكتب، وأجروا معنا مقابلة مصورة، كانت أكثر تركيزاً من الأولى، حاولوا خلالها الظهور بمظهر المؤيدين للحركة. وقد وضعنا أيدينا فوق رؤوسنا خلال هذه المقابلة رغم أنهم أمرونا بإنزال أيدينا. وتعرضنا لمهاجمة من قبل الصور التلفزيوني، وشكينا بعرض هذه الصور على الصحافة والرأي العام. وقد تحدثنا عن المعاملة التعسفية التي تعرضنا لها، والتي لا تليق بأي إنسان ولا تنسجم مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي واتفاق جنيف. وقد أكدوا لنا يومها، أن إقامتنا في المعسكر لن تطول، وبالفعل بدأوا بالإفراج التدريجي عن المعتقلين..

ولدى خروجنا من الاعتقال، شعرنا أننا أنجزنا عملاً هاماً، إذ أن المعتقلين زادوا إيماناً وصلابة وثقافة، وبعضهم كان أمياً، فتعلم القراءة والكتابة. وقد صدمنا، كوطنيين، عند وصولنا إلى قرانا في الجنوب، كنا نشعر أننا قاتلنا وهزمنا العدو حتى داخل المعتقل. ومنعناه من فرض إرادته علينا، كما منعنا سيطرة اليأس والتطبيع على النفوس، وتخرج العديد من المعتقلين بروح كفاحية عالية. إلا أننا وجدنا الواقع قد تغير تماماً خارج المعتقل، وصدمنا بمعاملة الوطنيين بما لا يليق بمستوى التضحية التي قدموها، وبما لا ينسجم مع الجهود الكبيرة التي بذلوها..وثقتنا كبيرة في المستقبل، في تجاوز هذه الصعوبات والعوائق الموجودة في ساحتنا الوطنية، لنصل إلى ما نصبو إليه، في سبيل خدمة شعبنا، وتحريره من الهيمنة العسكرية، والضبط العسكري الإسرائيلي، وإيجاد مناخ ديمقراطي، يتيح لهذا الشعب متابعة مسيرة لبنان الوطني الديمقراطي الذي نقاتل ونضحي في سبيله.

(مقابلة أجراها سويدان ناصر وروجيه نبعة، «السفير»، حزيران ١٩٨٦)

شهادة لمقاوم بعثي حول العمليات الانتحارية والعمليات المركبة



القوات المشتركة في البقاع الغربي (١٩/٨/١٩٨٢).

الاسم والانتماء السياسي:

راضي اسماعيل من الجنوب، حيث انطلقت الشرارة الأولى للتصدي ولمقاومة الاحتلال وإطلاق «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية»، وهذه إحدى أهداف ومبادئ «**حزب البعث العربي الاشتراكي**»، والتي أوجدها مناضلوه..

كنا أول من قاتل العدو الصهيوني من خلال مبادئ الحزب، ونذكر الشهيد الذي نعطي كل الفخر والاعتزاز لشهادته وهو الشهيد «الأخضر العربي» أمين سعد، وشهيد «حزب البعث»، الذي بدأ مسيرتنا ضد الصهيونية. نحن قاتلنا بـ«**مجموعات الأخضر العربي**» الصهيونية وعملاء الصهيونية.

□ متى استشهد أمين سعد؟

○ عام ١٩٦٩ في العرقوب. حزبنا أول من أطلق شعار حرب التحرير الشعبية، و«**الصاعقة**» هي وليدة حزبنا، ولكن كانت تحكمها قرارات فلسطينية كجزء من الثورة الفلسطينية. أطلقنا شعار حرب التحرير الشعبية لمعرفتنا بأطماع الصهيونية، فلا بد من خلق كوادر ومناضلين في كل بقعة من بقاع هذا الوطن... كوادر مؤمنة بحرب الشعب.

□ كيف تصرفتم خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان؟

○ لم نفاجأ بالاجتياح الإسرائيلي لمعرفتنا بأطماع إسرائيل التوسعية في كل الوطن العربي والهادفة إلى استثمار خيراته، ولبنان مستهدف كما استهدف الجولان وكما استهدفت سيناء. قاتلنا بكل إمكاناتنا، عانينا معاناة كبرى خلال الاجتياح، لوجود أرضية خصبة لتقبل الوجود الإسرائيلي الهادف إلى طرد الفلسطينيين من الجنوب..

□ ما هي الخطوات العملية التي اتخذت على صعيد التنظيم؟

○ للحقيقة، ساد في مرحلة الاجتياح الإسرائيلي الخوف وسيطر على الجميع، اتخذنا خطوة جريئة حين قلنا يجب أن نقاتل إسرائيل وعملاء إسرائيل، كما أن علينا إيجاد بؤر ثورية بغض النظر عن الانتماء الحزبي، سواء أكان الإنسان شيوعياً أم بعثياً أم من حركة «أمل»، وبغض النظر عن دافع قتال

الإسرائيليين. نتعامل مع الجميع على أساس مقاتلة إسرائيل كعدو تاريخي، وعنصري وديني.

□ **كيف كان يتم ربط هذه البؤر بعضها ببعض؟**

○ كان هذا الربط يتم بكثير من السرية خلال فترة الاحتلال، نحن استخدمنا النساء والأطفال لنقل المعلومات والأسلحة.

□ **هل تتذكر أول عملية عسكرية قمتهم بها ضد قوات الاحتلال؟**

○ قمنا بأول عمل عسكري أوائل عام ١٩٨٣، علماً بأننا شاركنا في قرار التصدي في بيروت.

□ **هل يمكن أن نتحدث عن العملية الأولى التي قمتهم بها؟**

○ بعد دخول إسرائيل، هناك قوى اعتبرت خلاصها في الاجتياح، هذه القوى لا تمتلك بعداً قومياً. ونحن لا نمتلك السلاح في الجنوب، لأن السلاح جمع في بدايات الاجتياح، وبعد فترة شهر بدأ العمل على إدخال السلاح، وكنا نعمل بأسلوب حذر جداً وسري. شاركنا في عمليات مع كافة القوى الوطنية، كنت خائفاً في بداية الاجتياح، وكنت مطلوباً، ولذلك كنا شديدي الحرص لكي لا نقع بين أيدي الإسرائيليين.

□ **متى عدت إلى الجنوب؟**

○ كنت أدخل وأخرج باستمرار إلى الجنوب.

□ **كيف كنت تمر على الحواجز الإسرائيلية؟**

○ في بداية الأمر، لم يكن على الحاجز جهاز استخبارات يخضع المارة للتفتيش، كان الحاجز عادياً. بقيت إسرائيل مرتاحة عاماً كاملاً، ويتصرفون كالسياح. كان هناك تقبل للاحتلال في الفترة الأولى. كنا نصل إلى الحاجز الإسرائيلي ولا نمر على أجهزة استخبارات.

□ **وكيف كان يتم التخطيط لها؟**

○ بعد أن نفذت إسرائيل انسحابها من الجبل، وأحكمت سيطرتها على المعابر، وضيقت حركة العبور، صار من الصعب إيصال السلاح إلى الجنوب، إلا أننا كنا نجد الوسائل الخاصة لتمرير الأسلحة.

□ **لم يتميز «حزب البعث» في الجنوب على صعيد العمل الجماهيري، فلم يظهر من خلال التصريحات أو المهرجانات أو البيانات أو الانتفاضات التي كانت تحصل في الجنوب. شارك حزب البعث في عمليات عسكرية نوعية، لنتحدث حول هذا الموضوع؟**

○ كنا نعمل ضمن إطار «جبهة المقاومة الوطنية»، وشاركت بعدد من العمليات ضمن القوى الموجودة..

□ **ألم يكن بالإمكان إفهام العدو بعمليات عسكرية عادية دون اللجوء إلى العملية الانتحارية؟**

○ الشهيد هو اختار القيام بهذه العملية، نحن لا يمكن أن نجبر أحداً على الاستشهاد، كان الشهيد يقوم بالعملية الانتحارية بدافع قوي، وبدافع العداء لإسرائيل. وهنا علينا التنبه للإعلام المعادي وخطورته، فهو يحاول التقليل من قيمة الرفيق المنتحر في وجههم. نحن لا نغرر بأحد. وأنا مسؤول عن هذه العمليات، أقول أمام الله والتاريخ أنني لا أقبل أن أغرر بأحد.

□ **أنا لا أقول ذلك، والمسألة ليست مسألة تغرير. السؤال هو، لماذا اعتمد هذا الأسلوب، أن تقود سيارة فيها كمية كبيرة من المتفجرات ثم تصل إلى الحاجز فتفجر نفسك والسيارة، لماذا لم يتبع هذا المقاتل أسلوباً يعطيه أملاً في البقاء حياً؟**

○ خضنا فترة سنتين من العمل العسكري الذي تتحدث عنه. هناك بوابات عبور أقيمت، والمراكز الإسرائيلية الحالية موجودة على رؤوس التلال بشكل لا يمكن الوصول إليه. نحن قمنا بتنفيذ عمليات، مرة بسيارة الصليب الأحمر، ومرة بسيارة يقودها رفيق بلباس شيخ.

غاية العمليات الاستشهادية زرع الرعب في قلوب الإسرائيليين، فالذي يفجر سيارة على حاجز إسرائيلي في لبنان، يفجرها في قلب إسرائيل، وهذه المسألة غير مستبعدة، ونحن نعمل في هذا الاتجاه، والدليل على ذلك هرب العديد من الضباط والجنود الإسرائيليين من الخدمة على المعابر خوفاً من هذه العمليات النوعية التي لا يستبعد أن تطال مقر اجتماعات مجلس الوزراء الإسرائيلي في حال تنامي حركة المقاومة المسلحة ضد إسرائيل.

□ **كانت تؤدي العمليات الانتحارية إلى قتل بعض المواطنين الذين يصادف وجودهم هناك، فهذه العمليات جعلت المواطنين يخافون أيضاً؟**

○ نحن نتألم لأي مواطن جرح أو استشهد خطأ، كنا نحرص كثيراً على هؤلاء المواطنين، نحن قمنا بعملية على معبر كفرتبنيت، وكانت الطريق مقطوعة بين النبطية وكفرتبنيت، وفي تلك العملية قتل ٣ أو ٤ أشخاص مدنيين كانوا هناك، إلا أن رفيقنا الذي نفذ العملية حذر الناس وقال لهم ابتعدوا، لأن في سيارتي متفجرات، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إسرائيل لا تقيم حواجز داخل القرى، بل تقيم حواجزها خارج القرى، فما معنى وجود أشخاص على هذا الحاجز، ماذا يفعلون هناك عند العدو؟ هذه الحالة تستغلها القوى المشبوهة، وربما كان للشخص علاقة بالعدو أم ليس له علاقة، ولكن القوى المشبوهة والعميلة تستغلها للتشويش على العمل الوطني.

□ **كيف كان يتم ترتيب العمليات الانتحارية، وعلى أي مستوى تنظيمي، وتكتيكي كانت تتم العملية؟**

○ كانت العمليات الانتحارية تتم بالرصد، ونحن لدينا خبرات في هذا المجال..

(«السفير»، ١٦/١٠/١٩٨٦)

«هل تكفي حياة واحدة لنحزن على كل هؤلاء الأحبة؟» سلام على الحياة في قانا



انتشال جثث ضحايا مجزرة قانا الثانية من تحت الأنقاض (٣٠/٧/٢٠٠٦)

قانا:

أليس المكان الذي ينام فيه الأطفال إلى الأبد هو الجنة؟ إذاً، فقانا هي الجنّة.

إلا أنها جنة ترتدي فيها النسوة الأسود، جنّة مدمرة ...

كأنها أرض ارتفعت نحو السماء بأجنحة ملائكة صغار، ابتلعتهم ليلة حالكة، ظالمة، سرقتهم من أحضان أهاليهم، مع أنهم كانوا يلتصقون بهم.

تناثروا هنا جثثاً هامدة وأشلاء، رأتهم عيون العالم كله، ثم ارتفعوا إلى سلام لن يدركه سواهم، سلام لا يعرفه العدّو.

في التالي، حكاية سنة مرّت على أهل سبعة وعشرين شهيداً، رواية ما زالت تستعاد، على كل شفة ولسان، بأدق تفاصيلها. في التالي، قصة ليلة غاب فيها القمر لتشرق الشمس على ظلام حالك وعلى حياة.. مبتورة...

وجهه ضاحك بين الأضرحة

لم تكن المناسبة ذكرى مرور عام على مجزرة قانا الثانية. لكن الساحة، حيث أضرحة الملائكة الخمسة والعشرين، وشهيدي المقاومة، مكتظة بالأهل والأصدقاء.

الرجال يتحدثون عن عملية إعادة الإعمار، بينما النسوة، متشحات بالأسود، مجتمعات تحت أغصان شجرة قبالة أحباء يغادرونهم. لا يتحدثن. تتبسّم الواحدة منهن للأخرى ثم تعود بنظرها، سارحة، الى ضريح أو الى صورة كبيرة جمعت الشهداء فوق المكان الذي يرقدون فيه.. بسلام...

وحده وجهه كان ضاحكاً... هو حسن شلهوب، طفل بين كبار ينتظرون زيارة الفنانة جوليا الى المكان. يلهو ويلعب ثم يعود

ويلتصق بأبيه المقعد.

حسن نجا من الموت لكنّه لم يخلص من قساوة التجربة.

في الثلاثين من تموز الماضي، كان نائماً كما رفاقه، وصحا على ليل دامس وركام... غاب لبرهة من الزمن، ناولته أمه للمسعف كي يهتم به لتعود وتبحث عن الابنة الحبيبة زينب... لكن زينب فارقت الحياة، وظلت يدها ممدودة فوق الدمار، كأنها تحيي أسرتها للمرة الأخيرة.

ماتت زينب، واستفاق حسن ليجد نفسه بين جثث هامدة. ظنّ المسعفون أن «المقاوم الصغير» قد فارق الحياة. نادى على أخته، نادى أنه ما زال حياً. عاد إلى حضن الأم المصابة والى قلبها المفطور على زينب.

صورته وهو ينتفض من بين الموت سائلاً عن عائلته لم يتبدل بعد عام على المجزرة. وحده وجهه الضاحك يتعارض مع كل الوجوه المثقلة بالموت وهموم الحياة التي تلت الموت...

حركة تملأ الأرض وتصل إلى السماء ووجه بشوش يضحك بين الأسود وفوق الأضرحة.

تأتي الفنانة، يتجمهر أهل الشهداء حولها... تحييهم، تقبّل النسوة، لا تتكلم. ماذا تقول في حضرة الملائكة؟ تضع إكليلا من الورد ثم تنطلق في جولتها الجنوبية.

ظل حسن طوال الوقت ملتصقاً بوالده محمد. هما بعيدان عن المشهد، فالوالد لا يسعه التنقل بين الأضرحة كما غيره من أهالي الشهداء... لكنه كان يتابع الحدث بدقة، وربما بفرح، وقد بدا عليه التأثر والفنانة تنحني أمام زينب ورفاقها...

عام واحد مرّ، لكن قسوة التجربة زادت سنين طويلة على عمر حسن وهو ما زال في الخامسة.

خسر حسن شقيقته وعمّه وعمّته، لكنه ما زال يضحك ويلهو ويلعب لأنهم هناك «في الجنة، حيث لا وجود لإسرائيل».

ليست قصص ذلك اليوم التي كتبت أو رويت إلا أجزاء عدة من رواية واحدة.

إنها عائلة واحدة، نامت ثم استفاقت لتجد أنها بترت، قسمت... لملمت أشلاءها ولم تنس حزنها بعد.

قانا التي لم تنقذها ولو أعجوبة واحدة من عرس الدم، وصلت الى العالم على هيئة صور قتل ودمار...

«هل تذكرين صورة الطفلة التي كان يحملها رجل؟ إنها صورة فاطمة ابنة شقيقتي». تقول زينب التي فقدت أماً وأباً وشقيقين و... عائلة.

فاطمة، كما زينب الصغيرة، رقدتا بسلام من دون أن تعرفا أن صورتيهما شهيدتين ستسمحان «بهدنة إنسانية» لم تدم أكثر من يومين.

هذه هي قانا نفسها التي حرّكت العالم في العام ١٩٩٦ ضدّ إسرائيل، هذا هو دم أبنائها ذاته يحمل إسرائيل بعد عشرة أعوام على وقف اعتداءاتها ولو ليومين.

لماذا ليومين فقط؟ يتساءل رئيس البلدية المحامي محمد عطية. ثم يجيب نفسه «ربما لأن النظرة لإسرائيل لم تعد واحدة في البلد. ربما يعتقد البعض أنها عدّوة قسم من الشعب اللبناني فقط...».

منذ العدوان وبعده بعام، بقيت قانا لا تشبه غيرها من القرى الجنوبية. هنا قسوة الموت والدمار أشد وطأة، هنا تبدو الأرواح الصغيرة منذورة للقتل. كأن قانا أضحت مرادفاً للمجازر وصور الأطفال وهم شهداء محمولين على الأكف.

من عدوان الى آخر... «تشيخ» في قانا الحياة بسرعة... وتستعاد ببطء، إذا وجد إليها سبيلاً.

الوجوه المتحلّقة حول رئيس البلدية، تسأله مستفسرة عن مصير المنازل المدمّرة. «لا شيء حتى الساعة باستثناء إعادة تأهيل الطريق العام بهبة من إيران، وإعادة ترميم بعض المنازل المدمّرة في خطوة سورية لإعادة البناء».

تقول الأرقام إن العمل بدأ لإعادة إعمار حوالى ستين وحدة سكنية من أصل ١٦٤ وحدة. ما عدا ذلك، تكاد الحياة اليومية في قانا تشبه حياة أيام القرون الوسطى «لا كهرباء إلا في القليل من الاوقات ولا هاتف، ولا من دولة تسأل أو حتى تعد بخطة إنقاذ. الشتاء على الأبواب وقانا ما زالت كما كانت منذ سنة، بعيد العدوان...».

يسأل عطية «تعتبر قانا بلدة منكوبة على مستوى الجمعيات الأوروبية، فماذا عن معايير الدولة اللبنانية؟ **سنة ١٩٩٦ وبعد المجزرة، أطلق شعار «ماتت قانا ليحيا لبنان». ما عانته بلدتنا السنة الماضية، يبدو بالنسبة للبعض أشبه بحادث سير... حتى موقع الأضرحة لم يقم للشهداء إلا بمبادرات فردية من الأهالي»...**

هل تكفي حياة واحدة؟

«أمي، أبي، أخواي، عمّي، وزوجة عمّي وأولادهم....»

يلفّ الحجاب وجه زينب شلهوب الحزين، ويثقل الحزن عينيها. تبدو وكأنها لا تقوى على النظر الى الأعلى.

يشبه هدوؤها صمت الموت، الموت الذي خطف أحباءها. وحين تتكلم، تبدو كمن يجبر نفسه على الكلام.

من بعيد، تشير الى اللوحة الكبيرة التي تحمل صور الشهداء، تعلوها صورتا شهيدي المقاومة وتتوسطهما صورة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله.

تنطلق من الصف الأول للصور، تعدّ واحد، اثنان، ثلاثة، ثم تبدأ: «هذا أخي والى جانبه أخي الثاني ثم أبي فأمي وعمي وزوجة عمي وابنة عمي... وإبنة شقيقتي....».

طويلة هي لائحة شهداء زينب... لا تكفي حياة واحدة لنحزن

على رحيل هذا العدد من الأحباء «اللـه مصبّرنا» تقول قبل أن تضيف «الحمد للـه نلنا نعمة الشهادة».

كانت زينب قد أصيبت في يدها يوم المجزرة، وبعدها، أصيبت بتشنّج في الأعصاب... «كانت شقيقتي عروساً» وعمرها خمسة وعشرين عاما»، وشقيقتي الثانية هالة، كانت نائمة الى جانب طفلتيها فاطمة (ثلاث سنوات) ورقية (سنة وأربعة أشهر). بعد إصابة المنزل، انتشلوا شقيقتي من بين الدمار، لكننا أضعنا فاطمة، لم نعرف أين هي، ثم وجدناها ملقاة فوق الركام. كانت رقية الى جانب هالة، يقول أحد الرجال انه سمعها تنادي، «بابا، بابا»... لكنها استشهدت هي أيضاً»...

تعيش زينب اليوم مع شقيقتها سناء وخالتها، «كان إذا مرض أحد أفراد العائلة نصاب بالهلع والخوف، فكيف يمكن وصف حالتنا وقد استشهد من استشهد»... «اللـه مصبرنا، اللـه مصبرنا» تكرّر.

انكسرت الشجرة وبقي الجذع : تجلس الحاجة ميرة جباعي قبالة أضرحة الشهداء. هي جذع شجرة انكسرت أغصانها. لها سبحة من الشهداء كما زينب.

تستعيد ليلة ٣٠/٢٩ تموز الماضي بالتفاصيل «كنا نجلس في بيتنا، قصفت (إسرائيل) على الشارع فتناثر الزجاج... قصدنا منزلاً آخر حيث بقينا لمدة سبعة عشر يوماً. كانت الطرقات قد أقفلت، وكنا نجهد لإبقاء الأطفال داخل المنزل. في الليل، نضع الأولاد للنوم في المكان الأكثر أمناً وننام نحن من ناحية الشرفة. في تلك الليلة قصفت إسرائيل، سقط شيء عليّ، انعقد لساني، سمعت زوجة ابني تسألني عن ابنها عباس (تسعة أشهر). قادوني الى مكان آخر وبقوا حتى الفجر ينتشلون الجثث...».

خطفت المجزرة من الحاجة ميرة أكثر من أحد عشر شهيداً من بينهم ابنها محمد شلهوب الذي سبق أبناءه الثلاثة الى الشهادة «استشهد قبل اثني عشر يوماً من المجزرة فيما كان يقاوم، لكننا لم نعرف إلا لاحقاً...».

لا ترضى منى كمال، زوجة الشهيد محمد، أن تعدّ الحاجة ميرة زوجها من بين شهداء المجزرة «لا يا حاجة ابنك شهيد بالمقاومة، ويجب التمييز ...».

تبدو منى الأكثر تماسكاً من بين الحاضرات جميعهن. تقول «الحمد للـه نلنا الشهادة، وهذه إرادة اللـه ورجاء كل مقاوم».

تطلب من ابنتها زينب أن تكمل الحديث، إلا أن زينب ليست على قدر والدتها من التماسك «أشعر ان كل يوم يمرّ هو أصعب من الذي سبقه. أعرف أن الحياة لا تتوقف وانه يجب أن نكملها، ولكن من الصعب خسارة عائلة بأكملها ...».

كان لي ابنة خال: يكسر سكون البلدة ورهبة الموت التي تلفها، الصوت المنبعث من عربة بائع البوظة، والذي يشبه صوت صناديق الفرجة القديمة...

اشترى علي شلهوب كوباً بدأ يلتهمه من دون ملعقة، وهو يلهو مع ابنة الجيران وشقيقها.

«أين وقعت المجزرة، هل تعرف؟».

«من هنا من هنا» يجيب وهو يركض مسرعاً صوب مكان الحدث.

يتوقف أمام أرض بور ثم يبدأ بالكلام «كان المنزل من طابقين وكان فيه ملجأ. أي شو مفكرة. كنا في الملجأ. قصفت إسرائيل، وأنا كنت الى جانب أمي. أراد أخي قاسم النوم مع الشباب. عند الساعة الواحدة وخمس دقائق، قصفت إسرائيل، وصار دمار. أنا جرحت وجهي وأختي غدير أيضاً جرحت وأخي قاسم صار في الجنّة. حرام جارتنا هالة سمعت صوت ابنتها الصغيرة تنادي بابا، بابا، ثم استشهدت...».

ثم يستدرك ابن السنوات السبع «هناك أيضاً مجزرة أخرى وأضرحة أخرى. كانت المجزرة الأولى من زمان وراح فيها ١٥١ شهيداً...».

في المكان ذاته، تقف آية الكروي حزينة وهي تنظر الى كومة حجارة «أنا كان لي ابنة خال اسمها حوراء هاشم. استشهدت هنا، بعدما أصبحنا أصدقاء...».

يقاطعها علي «أنا أخي صار معها في الجنّة...» يضحك لرفيقه محمد شقيق آية، يغمره وأخته غدير «نحن أصدقاء»...

قاسم وحوراء شهيدان من شهداء قانا الذين ارتفعوا الى السماء. غادروها أشلاء بين الركام. غادروا بلا وداع.

وحدها زينب ابنة الأعوام الستة أبقت يدها ممدودة لتحية أخيرة...

فسلام على الحياة في قانا المنسية.

سلام على الحياة، تستنهضها قانا، كل مرة، برغم الظلم والعذاب.

(مادونا سمعان، «السفير» ٣٠/٧/٢٠٠٧)

ندوة رفيق الحريري المقاوم وتفاهم نيسان ٩٦


تيار المستقبل
جنوب لبنان

يتشرف تيار المستقبل - جنوب لبنان
يدعوكم إلى حضور ندوة حول
« رفيق الحريري المقاوم وتفاهم نيسان ١٩٩٦ »
يشارك فيها

د. داوود الصايغ
المستشار السابق للرئيس الشهيد رفيق الحريري

د. سعود المولى
المستشار السابق للإمام محمد مهدي شمس الدين

الزمان: الخميس ٢٤ نيسان ٢٠٠٨ الساعة السادسة مساءً
المكان: مركز تيار المستقبل - عمارة المقاصد - شارع رياض الصلح - الطابق الأول

لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتفاهم نيسان الذي شرّع حق اللبنانيين في الدفاع عن أرضهم ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي، نظم «تيار المستقبل» في جنوب لبنان ندوة حول «رفيق الحريري المقاوم وتفاهم نيسان ١٩٩٦» شارك فيها المستشار السابق للرئيس الحريري الدكتور داود الصايغ، والمستشار السابق للإمام محمد مهدي شمس الدين وعضو هيئة الحوار الإسلامي ـ المسيحي الدكتور سعود المولى، وذلك في مقر «تيار المستقبل» في مدينة صيدا بحضور شخصيات سياسية وروحية..

استهلت الندوة بكلمة «تيار المستقبل» ألقاها المنسق الاعلامي في جنوب لبنان الدكتور مصطفى متبولي الذي اعتبر أن تفاهم نيسان أحدث توازناً في الصراع اللبناني ـ الإسرائيلي وأكد أن الدولة اللبنانية هي الممثل الوحيد للبنان في المفاوضات وليس الاحزاب اللبنانية، **وأكد ايضاً حق لبنان المقدس بمقاومة الإحتلال وبتحرير الجزء المحتل من أراضيه فالرئيس الشهيد رفيق الحريري كان يردد دائماً في المحافل الدولية «ما دام هناك احتلال هناك مقاومة»**. ورأى متبولي ان الدور الكبير للرئيس رفيق الحريري في إقرار تفاهم نيسان هو تعبير واضح عن التزامه بالقضايا الوطنية والعربية. وقال: **من المؤكد ان التاريخ سينصف رجل الدولة رفيق الحريري لما قام به من أجل إيقاف المجازر الإسرائيلية وإضفاء طابع الشرعية الدولية على المقاومة اللبنانية**... ولكن إزالة غبار النسيان المتعمد عن أعمال هذا المقاوم العربي الفكر والنشأة هي ضرورة لكي لا ننساها وللتذكير بها.

ثم تحدث الدكتور الصايغ فعرض للظروف التي أدت الى التوصل لتفاهم نيسان الذي بدد التباسات عديدة كانت غير واضحة للعالم، وأسس لواقع جديد بعد تفاهم تموز من العام ثلاثة وتسعين الشفهي .. وقال: ان تفاهم نيسان بدد التباسات عديدة، وأسس لواقع جديد، **وكان واحداً من النماذج على نتائج ارتقاء الرجال بالأحداث وقدراتهم على حسن التعاطي مع التاريخ** ... وان الدبلوماسية المتعددة الاتجاهات التي مارسها لبنان يومذاك، بشخص الرئيس رفيق الحريري، عكست تعاوناً وثيقاً مع جميع الأطراف الدولية و العربية التي دخلت في «تفاهم نيسان»، متوقفاً بشكل خاص عند الدور الفرنسي .. ورأى الصايغ أن **الاعتراف بالشرعية الدولية للمقاومة وهو الأهمية القصوى لتفاهم نيسان، فتح أمامها أبواب أوروبا عبر فرنسا بالذات، نازعاً عنها صفة الإرهاب**، وقال ان تفاهم نيسان كان له دور كبير في إنجاز التحرير وجلاء جيش الاحتلال الإسرائيلي عام ٢٠٠٠ ومن نتائج التفاهم أنه رسم حدوداً وأقام ضوابط **للاعتداءات الإسرائيلية مساوياً بين المقاومة واسرائيل في كيفية استخدام السلاح وضبطه، حماية للمدنيين**، وحفظ لكل من الفريقين حق الدفاع عن النفس ولا تكون هذه الممارسة انتهاكاً لهذا التفاهم. وأضاف: **ان الإجماع الوطني حول المقاومة آنذاك كان العنصر الأبرز الذي سهل إعطاءها الشرعية في تكريسه لحقها عبر الدوله المؤتمنة على هذا الحق كما سعى اليه الرئيس الحريري ..**

وتحدث الدكتور سعود المولى فتناول أهمية تفاهم نيسان والجولات التي قام بها الرئيس الحريري على دول القرار توصلاً لهذا التفاهم، متوقفاً عند اتفاق الطائف ودور الرئيس الشهيد في صناعة السلم الأهلي وانهاض مشروع الدولة وبداية حركة النهوض والإعمار بعد توليه الرئيس المسؤولية والغطاء العربي الدولي الذي أمنه الشهيد للمقاومة اللبنانية وللممانعة السورية في وجهه العدوان الصهيوني. ودوره في نسج العلاقات السورية ـ المصرية ـ الفرنسية ـ السعودية التي شكلت حماية لظهر المقاومة وأمنت لها الاستمرار والنجاح، والإجماع الوطني الذي عمل الرئيس الشهيد على تحقيقه حول المقاومة ودورها، ودور الرئيس الشهيد في التصدي لعدوان تموز ١٩٩٣ وفي استكمال النهوض والإعمار والتضامن. وانتهى الى خلاصة مفادها أن تفاهم نيسان هو نتاج كل هذه الحركة الداخلية أولاً حيث أصبحت الدولة هي المقاومة وهي سقفها وحضنها، والعربية ثانياً حيث إن لبنان في قلب المعادلة القومية الثلاثية (مصر ـ سوريا ـ السعودية)، والدولية ثالثاً حيث حملت علاقات الرئيس الشهيد مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك ومع غيره من قادة أوروبا والعالم على إنجاز اتفاق لم يسبق له مثيل في تاريخ حروب المقاومة والتحرير ..

(موقع «تيار المستقبل»، ٢٠٠٨/٣/٤)

«حزب الله» ليس كما تظنون



لافتات تحمل صورة أمين عام حزب اللـه السيد حسن نصر اللـه وعبارات مقتبسة من خطاباته رفعها قسم العلاقات الإعلامية لحزب اللـه على طريق المطار

يقول الدكتور ماغنوس رنستروب، سويدي مرفه في الرابعة والثلاثين من عمره: «لست مستشرقاً، ولا أتحدث العربية. ولكن ليس في الغرب باحث كتب عن «حزب اللـه» أكثر مني». ومنذ تسع سنوات غدا «حزب اللـه» مشروع حياته. وبالنسبة إليه فانه استنفد هذا الموضوع. ويضحك قائلاً: «إنني أعترف بأن لي مصلحة واضحة في انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان. لانني أيضاً أبحث عن سبيل للخروج منه. فإذا انسحبتم، فان هذه فرصتي لإغلاق ملف، والانتقال نهائياً الى مجال آخر».

وقد وضع رنستروب أساس الفصل القادم الذي لا يقل حربية عن الأول. فقبل أسبوع التقى مع نشطاء «حماس» في نابلس، بالصدفة في ذروة الأسبوع العاصف الذي تفجر فيه جنوب لبنان. ويتضح انه حتى عندما يرغب في الانسحاب من «حزب اللـه»، لا يدعه «حزب اللـه» وشأنه، وهو من هذه الناحية يشبه حال إسرائيل.

ورنستروب محاضر في العلاقات الدولية في جامعة سان أندروس في سكوتلندا. ويعتبر كتابه الذي أصدره عام ١٩٩٦ عن دار ماكميلان **حزب اللـه في لبنان، سياسة أزمة الرهائن الغربيين**، والذي قدّم له الرهينة المشهور تيري وايت، بحثاً مركزياً لفهم تاريخ هذه المنظمة. وقد خدم هذا الكتاب رنستروب كبطاقة زيارة عند ذهابه للمرة الأولى قبل ثلاثة أعوام الى مكاتب «حزب اللـه» في بيروت.

وبعدما كتب عن هذه المنظمة من بعيد، سعى الى أخذ الانطباع بدون وسائط من الأشخاص العاملين. ولذلك طلب منه مسبقاً تقديم اسمه، عنوانه ومهنته. وبعد التدقيق منح الإذن بدخول لبنان. وعندما صعد على أدراج بناية «حزب اللـه» انتابه خوف من أن لا يعود حياً من هذه المغامرة، كمصير بعض المخطوفين الذين كتب عنهم.

«ينبغي صعود طوابق عدة. وعند فتح الباب ظهرت على الجدار المقابل صورة ضخمة لآية اللـه الخميني تحيط بها صور لمقاتلي «حزب اللـه» الذين لم يعودوا من مهام انتحارية». كانت نظرة موظف الاستقبال صارمة، وكان رنستروب متوتراً، لكن عندما اقترب منه المضيف الرسمي، وصافحه بمودة، تبددت المخاوف

فوراً. قال له المضيف: «أنت مشهور هنا، سيد ماغنوس، بفضل كتابك، الذي قرأناه هنا جميعاً». وسأل السويدي: وما رأيكم؟

اعترف رجل «حزب اللـه»: «لم نحبه». دافع الضيف عن شرفه المهني: ولكنه بالتحديد تلقى انتقادات ممتازة. رد مندوب «حزب اللـه» الذي كان ودياً وأظهر كياسة أوروبية، وهو يحرك له الشاي على خير عادة: **«دعنا نتفق على الا نتفق».**

ويقول رنستروب: «إنني ملزم بالإشارة الى انه ليس من الصعب الالتقاء بهم وكجزء من استراتيجية النضال، فانهم يلجأون الى الانفتاح الكامل أمام الإعلام والباحثين. وهكذا عدا الإسرائيليين، الذين فعلاً لا أنصحهم بالمحاولة، فانهم يستقبلون ضيوفهم بالترحاب. وقسم العلاقات العامة عندهم ممتاز»، يقول ذلك بانفعال. «إنهم يوفرون لك فيضاً من المواد ذات الصلة، ويقدمون أشرطة، ويجيزون حوارات خلفية مع القيادة. وفقط يجب ان تكون بصحبة الإنسان الملائم الذي يقودك الى المكان، لأن هذا حي لا أوصي أحداً بالتجول فيه من دون مرافقة».

ويقول رنستروب، ان هذه المنطقة في جنوب بيروت، قرب المطار، تخضع لسيطرة وحماية وإدارة «حزب اللـه». و«بداهة، على البناية نفسها، والتي هي غير مميزة تماماً، ولو لم يأخذوني إليها لما عثرت عليها أبداً، ليست هناك اي يافطات او علائم دالة على ماهيتها الفعلية، ولكن قصتها معروفة للجميع. إنها ليست سراً. والمهم فقط التشديد على ان هذا ليس المقر العملياتي لـ«حزب اللـه»، وانما قسم العلاقات الخارجية فقط. وأنا لست أول من وصل الى هناك. فقد سبقني اليها عدد من الصحافيين الغربيين المعروفين».

إنهم يديرون الصراع مع إسرائيل على مسارين متداخلين، وفق ما يقول رنستروب: مسار على الأرض، وآخر في وسائل الإعلام. «وحيث من الواضح لهم، كمنظمة صغيرة، فانه ليس بوسعهم هزيمة إسرائيل على الارض (!)، وان القتل بحد ذاته ليس فعالاً كما السجال العام الذي يقع في أعقابه، فانهم يلجأون الى حرب نفسية متطورة جداً وبذلك يضاعفون مرات ومرات تأثير الحرب العصابية. وابرز تعبير عن ذلك هي كاميرات الفيديو التي تنضم الى عملياتهم، كجزء لا يتجزأ من التخطيط للمعركة. وعندما تبث انتصاراتهم بعد ذلك في إسرائيل والعالم، فان هذا يتغلغل في مجتمعكم ويقوض أمنكم».

ويمكن ان تلحظ في كلامه نقداً ضمنياً لرد الفعل الإسرائيلي. «ففيما تقومون أنتم بنزع الانسانية عن «حزب اللـه»، يستغلون من جانبهم لأهدافهم صورة الوحوش. وهم يدرسون بعمق نمط تفكير المجتمع الإسرائيلي ويتصرفون وفقاً لذلك. وهذا ما دفعهم عندما عرضوا في التلفزيون، بعد «عملية عناقيد الغضب» التسعين انتحارياً منهم، وهم قوة لم تكن أبداً موجودة. لقد كانت هذه لعبة إعلامية لا هدف لها سوى بث الذعر. وثمة وسيلة أخرى متطورة حققوا فيها إنجازات هائلة هي الانترنت».

ويدير «حزب اللـه» أربعة مواقع. واحد للمنار، وهو شبكة إخبارية بثلاث لغات: عربية، انكليزية وعبرية. وآخر يراقب تحركات وحدات الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، وينشر بناء على استطلاعات جداول النشاطات في القطاعات المختلفة، أحياناً بتفصيل دقيقة بدقيقة. والموقع الثالث هو خط مفتوح للزعيم الروحي الشيخ حسين فضل اللـه للرد على أسئلة تتعلق بالدين والايمان. والموقع الرابع لاهتمامات الصحافيين وذوي الاهتمام. «ويزعم رجال «حزب اللـه» انهم عندما أقاموا موقعهم حاولت إسرائيل إغلاقه عن طريق إغراقه بعشرات آلاف الوثائق، وأنهم ردوا بإرسال شحنات فيروسية. ولوقت معين دارت حرب كومبيوترية بين الطرفين».

اجتمع رنستروب الى مسؤولين كبار في «حزب اللـه»، لكنه يرفض إعطاء تفصيلات. ويوضح انه اذا ما كشف عن ذلك، فان الاتصالات معه سوف تتوقف فوراً. وفي كل حال، فانه لم يجتمع مع الرجل رقم واحد، الامين العام لحزب اللـه، حسن نصراللـه. وهذا هو القليل الذي يؤكده. صحيح ان موعداً للقاء قد تحدد، ولكن هذا الموعد ألغي بسبب تغيير في الجدول الزمني المثقل للأمين العام. «أريد ان أروي تحديداً عن لقاء مع أحد الصغار في جهاز «حزب اللـه». كان الرجل يعتمر قبعة «بيسبول» لفريق نيويورك يانكيز، وقميصه رالف لورين، اما بنطاله فكان من ماركة فاخرة. وكان يحمل بين يديه تقرير المحقق الخاص، كينث ستار حول مونيكا ليفنسكي. وحسب لكنته لاحظت ان انكليزيته لم يحصل عليها في الجامعة الأميركية في بيروت. وعندما ضغطت عليه اضطر لأن يكشف لي، بدون رغبة، أنه كان طالباً في واشنطن، وانه مغرم بـ«البيتزا هات» وماكدونالدز وأفلام هوليوود».

«**وقد سألته، كيف يستقيم هذا مع الإسلام؟ فأوضح لي انه لا يعاني اي مشكلة مع الثقافة الأميركية. فالمشكلة الوحيدة هي مع السياسة الأميركية في الشرق الاوسط. وهو يشعر نفس الشيء تماماً تجاه اليهود وإسرائيل. ماذا أريد ان أقول بذلك؟ ان هذا الناشط، الذي مثله كثيرون، هو النقيض التام لكل التصورات المسبقة التي صرتم، أنتم الإسرائيليون، أسرى لها**».

وليس فقط الإسرائيليين. «فحتى نزولي في بيروت أيضاً كنت شخصياً أغرق في مثل هذه الآراء المسبقة. وبتأثير أزمة الرهائن رأيت فيهم العدو الأفظع للمجتمع الغربي، وانهم جماعة لا هدف لهم سوى القتل عينه. غير ان التعرف عن قرب على هذه الحركة أتاح لي ان أفهم جيداً صغائرها، والتكوين البشري فيها. ان من يشاهد التلفزيون يعتقد ان «حزب اللـه» هم جماعة من المجاهدين المعتصبين الملتحين الذين ينتظرون فقط اللحظة التي يستطيعون فيها تفجير انفسهم من أجل الثورة. وكما في كل إطار عسكري، بداهة يوجد أشخاص على استعداد للموت من أجل تحرير ارضهم. لكن التعميم الذي نقوم به، وميلنا الى

تصويرهم ككتلة متجانسة عديمة الوجه، وليس كأفراد لهم ايضاً أمهات وأولاد وعواطف وأحلام وهموم. وهذا في نهاية المطاف هو ما يحول دوننا وقراءة الواقع كما هو»..

ويروي ان «حزب اللـه»، بين أمور كثيرة، هو رحلة ترفيهية لحوالى مئة عائلة مع شواء في يوم مشمس في حديقة في بعلبك، وهي مناسبة مفرحة صدف ان ذهب اليها في إحدى رحلاته في البقاع اللبناني. ويشكل إعادة فتح مدينة بعلبك، معقل «حزب اللـه»، أمام السياح، إشارة إضافية على التغييرات الإيجابية التي تطرأ على الحركة.. وقد زار قرية قانا من اجل استنشاق المأساة. وفي جولاته في البقاع انتبه الى ان نقاط تفتيش الجيش السوري ابتعدت تدريجياً نحو الحدود شرقاً. وهذا بداهة لا يشير الى إعادة تفكير لدى السوريين بشأن حيوية لبنان بالنسبة إليهم، على الأقل طالما ان هناك ٨٠٠ ألف سوري يعملون في لبنان. وهو يقول: «بدون موافقة سوريا لن يقدم لبنان على أي خطوة منفردة». وأياً كان ضعفها، فان أجهزة الاستخبارات السورية تزود «حزب اللـه» بمعلومات في وقت حدوثها. ويقيم الشيخ نصراللـه، الرجل الأقوى في الحركة، علاقات ممتازة مع دمشق. «**وقد زادت هيبة نصراللـه بشكل كبير بعد مقتل ولده في اشتباك مع الجيش الإسرائيلي. وحالياً يعتبر شخصية على المستوى الوطني، وبفضل قدراته السياسية أفلح «حزب اللـه» في الخروج سليماً من عدة أزمات هددت مصيره**».

ان بعد رنستروب عن أي تدخل في الصراع الشرق أوسطي، وكونه خارجياً، وليس مجرد شخص، بل من السويد المحايدة، أتاح له، حسب كلامه رؤية الغابة، وليس فقط الاشجار.. في لقاءاته الأولى، حسبما قال، حاولوا ان يجربوا معه مواعظهم، وعملية غسل الدماغ. «فوراً أوقفت هذه الثرثرة وأبلغتهم انه خسارة على وقتهم. لم آت من بعيد لسماع تفاهات أيديولوجية عن مؤامرة إسرائيلية ـ أميركية، وعن ان الخطين الازرقين في العلم الإسرائيلي يرمزان الى الطموح للتوسع من البحر المتوسط حتى الاردن وعن ان الثقافة الغربية في مرحلة غروب. قلت لهم: لا تشوشوا أفكاري. إنني أعرف بالضبط كيف تعملون. فقد عشت سنوات طويلة وأنا أتنفس وأحلم بكم. ولذلك عليكم ان لا تطعموني هذه التفاهات. لأنني لا أهضمها».

وأوضح لهم انه ينوي ان يكون انتقادياً، ولكن بشكل نزيه. «وعندما يكون هذا هو التوجه، عندما تشكل أمامهم تحدياً ولا تهز برأسك، فانهم يحترمونك، وحينها ينفتحون في النقاش وبشكل عميق. وهذه أيضاً هي النقطة التي منحني فيها كوني سويدياً امتيازاً».. إن رجال «حزب اللـه» يقدرون الرئيس اميل لحود، الذي يحظى بتأييدهم التام، ومثله رئيس الحكومة سليم الحص. وبين «حزب اللـه» والحكم ثمة عملياً الآن شهر عسل، حسب ما يقول رنستروب.

«**غير ان الإنجاز الأكبر للحركة هو ما أسميه لبننة «حزب اللـه»**. فبين الثمانينات والتسعينات اجتازوا صيرورة سريعة للنضج والاندماج. وقد عرفوا جيداً كيف يتعاملون مع التغييرات التي جرت حولهم، من ميليشيا سرية ودوغمائية تحولوا في السنوات الأخيرة الى حركة برلمانية بارزة جداً في المجال السياسي الاجتماعي. وتستند شعبيتهم ليس فقط الى السلاح، كما اعتاد الناس ان يظنوا. **إنهم متطورون، براغماتيون، وهم ليسوا جسماً غريباً فرض نفسه على لبنان كما يمكن ان تظنوا، فلـ«حزب اللـه» جذور عميقة في أوساط السكان.**

«وفي كل ما يتعلق بالمساعدة الاجتماعية للسكان الشيعة في الجنوب، من الصحة وحتى السكن والتعليم، فان «حزب اللـه» هو القوة المحركة. ولا تقل عن ذلك أهمية الشهرة الأخلاقية التي اكتسبوها، لأنهم ليسوا فاسدين. وبداهة إن للعنف وزناً كبيراً في التعاطف الهائل معهم. فهم يصفون أنفسهم، وينظر إليهم الجمهور، بأنهم الصيغة اللبنانية لحركة المقاومة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية. ونجاحهم في مقاتلة الجيش الإسرائيلي أدار رؤوسهم لدرجة انهم الآن في ورطة: والسؤال الاكثر إثارة للفضول هو كيف سيصمد كل هذا عندما تنسحب إسرائيل، وفي نفس الوقت تصل الى البلاد مساعدات دولية لترميم الجنوب. كيف سيميز «حزب اللـه» حينها نفسه؟... ماذا سيجري اذا انسحبت إسرائيل، كرر هذا السؤال أمامهم وذكرهم بتصريحات بشأن «الجهاد لتحرير القدس». «إنهم واقعيون. وقد فهمت منهم ان هذه مهمة لا يستطيعون حملها على كتفهم فقط، فهذا نضال ١٠٠ ـ ١٥٠ عاماً بانتظار الأجيال المقبلة، وهم ليسوا المسؤولين عنه وانما الفلسطينيون. **لا أستطيع تقديم ضمانات لكم، ولكن حسب تقديري بعد ان تخرجوا من لبنان فانهم سيوقفون النار، لان هدفهم تحقق. فالاحتلال هو ما يدفعهم لمواصلة القتال**».

وبالنسبة الى مستقبل «جيش جنوب لبنان»، الذي هو «أكياس رمل الصهاينة حسب توصيف «حزب اللـه»» فان رأى رنستروب مطمئن. **فإسرائيل، حسب كلامه، يجب ان تحمل معها وقت انسحابها كبار المسؤولين في هذا الجيش، لأن حياتهم في خطر. ولكن جنود هذا الجيش سيحظون بالعفو، أيضاً لأن تركيبة جيش الجنوب تغيرت مع مرور الوقت من أغلبية مسيحية الى شيعية.**

«والمثير في «حزب اللـه» انه ليس حركة جامدة، انه يكيف نفسه وفق الظروف. ومثلما طووا العلم الثوري بشأن الجمهورية الإسلامية في لبنان، فانهم سيزيلون من جدول أعمالهم مقاتلة إسرائيل. **فاذا ما بقي الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان فسيواصلون بنفس الاسلوب، واذا ما انسحبتم فان لدى «حزب اللـه» مشاريع لأوقات السلم، وفي هذه الحالة فإن ما يشغل بالهم هو ما يسمونه بالهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية**».

(أفيحاي بكار، «هآرتس» ١٩٩٩/٣/١١،
نشرتها «السفير»، ١٩٩٩/٣/١٥)

أكبر عملية إنزال توقفت لحظة تدمير الطائرة : «الوعد» الذي فاجأ العدو في أجواء «مريمين»



بقايا الطائرة المروحية الحربية الإسرائيلية «شينوك» التي أسقطتها المقاومة ليل ١٢ آب ٢٠٠٦ خلال العدوان الاسرائيلي على لبنان.

بعد سنة على الحرب الإسرائيلية على لبنان لا تزال أسماء القرى الجنوبية تحتل حيزاً في ذاكرة كل من تابع ورصد وعاش الأيام الثلاثة والثلاثين بين ١٢ تموز/ يوليو و١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٦ في لبنان والعالم العربي وربما في بلدان العالم أجمع.

في عيتا ومارون وعيترون وبنت جبيل كانت المواجهات البطولية لمجاهدي المقاومة، وفي وادي الحجير كانت مجزرة الميركافا وتحول الحلم الإسرائيلي المدرع إلى كابوس، اما في «ياطر» فكان سقوط «اليسعور» المروحية العسكرية الإسرائيلية التي تحولت منذ الثاني عشر من آب ٢٠٠٦ إلى «طائرة ياطر» أو «طائرة وادي مريمين».

في مساء ذلك اليوم وعند تلة مريمين غربي ياطر أسقطت المقاومة المروحية الإسرائيلية وهي من نوع «**شينوك**» اسم المصنّع الأساس، الاميركي، أما «**يسعور**» وهو اسمها العبري فيعني «**الدبّور**».

في روايات نقلت عن مجاهدين فإن هؤلاء أسقطوا المروحية «مش بصاروخ» بل «بنص صاروخ»، فقد كان المقاومون يكمنون لجنود الاحتلال في طرف ياطر الغربي حيث نفذت ما بين ١٣ و١٥ مروحية ناقلة جند عملية إنزال بري، وكانت كل ناقلة جند تحميها اثنتان أو ثلاث من مروحيات الاباتشي، الطائرة التي استهدفت كانت إحدى ناقلات الجند التي كانت تهم بالإقلاع، اما الصاروخ الذي استهدفها فجديد من نوع «**وعد**»، وقد اعترف الجيش الإسرائيلي حينها بسقوط الطائرة وأفيد أن خمسة كانوا على متنها سقطوا قتلى.

سقطت فوق ياطر خلال الساعات القليلة بعيد سقوط الطائرة ما لا يقل عن خمسة آلاف قذيفة، أراد الإسرائيليون من خلال إحراق البلدة البحث عن إنجاز معنوي بأي ثمن يعوضهم عن خسارتهم، لكنهم عبثاً حاولوا.

أما في **الرواية الإسرائيلية** فيقول أحد الجنود الصهاينة عن لحظة إسقاط «اليسعور» «نزلنا من الطائرة التي هبطت في أعماق لبنان يلفها ظلام دامس، وشرعنا في المسير غرباً باتجاه الهدف المحدد في حين أقلعت طائرتا يسعور متجهة غرباً نحو أهدافها، وكان من الممكن مشاهدة ظلالها على ضوء القمر المكتمل، ونحن

نشد رحالنا الى هدفنا فجأة سمعنا صوت انفجار يشبه ذلك الذي يحدث عند انطلاق زجاجة مضغوطة، فتجمدت كافة القوات التي تم إنزالها لمشاهدة ما يحدث، ورأينا الصاروخ يضرب محركات اليسعور، واضاء اللهب الوردي والاصفر الذي انطلق بقوة من المحركات المنطقة، وجنحت بما يشبه السفينة الغارقة، واخذ الوقود والقنابل الضوئية التي على متنها بالتفجر».

واضاف: «لقد استغرق الامر اقل من عشرين ثانية، لكننا احتجنا الى ساعات لإدراك ما حدث، بعد لحظات من سقوط المروحية اقتربت منها طائرة إنقاذ مستعينة بالكثير من بالونات التضليل التي أطلقتها لتضليل الصواريخ، لكن الخوف من صواريخ إضافية أجبرنا على إلغاء عمليات الانقاذ الجوي، وعمل رجال المظليين على حماية منطقة السقوط وجثث الطاقم التي كانت تعج برجال حزب الله»، وتابع يقول «**بسبب هذه الصواريخ ألغيت عمليات الإنزال التي كانت مقررة تلك الليلة**».

الخبير في الشؤون العسكرية العميد الركن المتقاعد وليد سكرية رأى في إسقاط الطائرة في ياطر كميناً ناجحاً للمقاومة مشيراً إلى «أن الطائرات لا تملك القدرة على قصف سوى الأهداف المعروفة والمحددة، أما المقاومون المختبئون فإنها لا يمكن أن ترصدهم»، مضيفاً «أن سلاح الجو الإسرائيلي لا يستطيع ان يؤثر على الأسلحة والصواريخ المحصنة، وإن استهدف الاماكن او المناطق التي تطلق منها». ويرى سكرية أن الخلل الإسرائيلي يكمن أيضاً في «عدم فعالية القوات الإسرائيلية البرية أمام ضربات المقاومة، والتي كان من شأنها أن تشكل من خلال تدخلها على الارض عنصراً مساعداً لسلاح الجو».

أصداء سقوط الطائرة: في الثالث عشر من آب ٢٠٠٦ تصدّر حدث إسقاط الطائرة صفحات الصحف في لبنان، وخصوصاً أنه حصل في خضم وقائع ميدانية برز خلالها تفوق المقاومة على العدو الذي شهد **في الثاني عشر من آب ما لم يعهده في يوم واحد منذ حرب العام ١٩٧٣، فقد قتل في ذلك اليوم نحو عشرين جندياً وضابطاً إسرائيلياً، وجرح أكثر من ١٢٠ جريحاً ودمرت ٣٩ دبابة ميركافا.**

في الصورة المقابلة أي في الصحف الإسرائيلية كان أيضاً الحدث سقوط الطائرة، وبينما كانت الصحف اللبنانية تتحدث عن إنجاز للمقاومة كان المعلقون والمحللون الإسرائيليون يوجهون الانتقادات اللاذعة لهذا السلاح الذي خسر في حربه على لبنان أربع طائرات، «اليسعور» وثلاثاً من نوع أباتشي، كما أصيبت مروحية خامسة أثناء المواجهات مع المقاومة في معارك مارون الراس - بنت جبيل، وتحطمت مقاتلة من نوع «اف ١٦» أثناء إقلاعها من جنوب فلسطين لضرب أهداف داخل لبنان. كذلك خسر العدو طائرة استطلاع بدون طيار أثناء تحليقها فوق المرتفعات الغربية لجبال لبنان، وقد وردت هذه الأرقام في إحدى مقالات كبير المعلقين الإسرائيليين في صحيفة «**هآرتس**» زئيف شيف.

ولعل كل ما قيل عن سلاح الجو أو بالأحرى كل الانتقادات التي وجهت إلى أدائه خلال وعقب حرب تموز ٢٠٠٦ تنبع من كونه يشكل العنصر الاكثر فاعلية في الجيش الإسرائيلي، خصوصاً بعد تجربتي حربي ١٩٦٧ و١٩٨٢ لذلك فإن لهذا السلاح الاولوية في ميزانية «**جيش الدفاع**» لما يمثله من اهمية في عقيدة «إسرائيل» الهجومية، إذ تسعى دائماً الى تحقيق التفوق النوعي عدا عن قيامها بتحديث هذا السلاح بشكل متواصل اقتناعاً منها بأنه أكثر الأسلحة أماناً لأداء المهمات.

ولهذا فإنه على مدار أيام العدوان وفي ظل الفشل الإسرائيلي المتواصل شكل سلاح الجو الوسيلة الوحيدة للعدو للتعويض عن خسائره في الميادين الأخرى، فكان أن أطلقت الطائرات الإسرائيلية خلال ٣٣ يوماً من الحرب الشاملة على لبنان ما فاق عدد الصواريخ الذي أطلقته خلال اجتياح العام ١٩٨٢ بحسب ما أشار إليه الصحفي الأميركي شارلز غلاس في إحدى مقالاته.

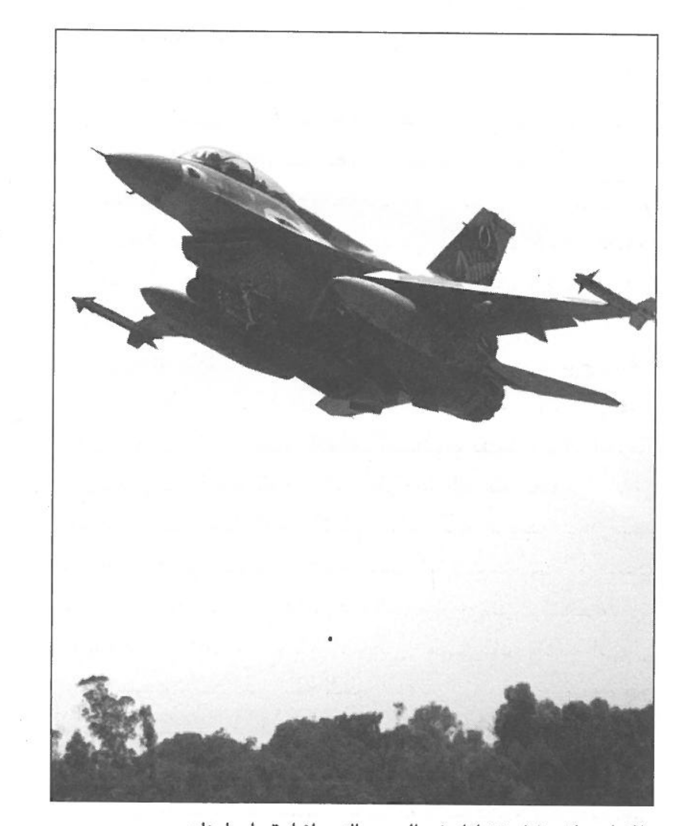
ولكن السحر انقلب على الساحر فاستمر سقوط الصواريخ على الكيان الصهيوني وفشل سلاح الجو في تحقيق أحد أهم أهدافه. **وإذا كان من إنجازات لسلاح الجو فيمكن إيراد المجازر وأكثر من ٦٠٪ من البنية التحتية المدمرة، أما الحديث عن إنجازات أخرى لها علاقة بالتأثير على المنظومة الصاروخية للمقاومة فيبقى بعيداً عن الواقع، وهو ما كان واضحاً في تقرير لجنة فينوغراد الذي انتقد سلاح الجو لكون «الغارات أدت إلى سقوط عدد كبير من المدنيين دون أن تتمكن من القضاء على حزب الله».**

إلى جانب ذلك شكل هاجس امتلاك المقاومة صواريخ مضادة للطائرات عنصراً مؤثراً إلى حد ما على أداء سلاح الجو الإسرائيلي حيث كانت تخشى طائراته الانخفاض كي لا تصاب بنيران المقاومة، وهو ما أدى إلى نقص كبير في إمدادات الأكل والمواد التموينية والذخيرة لجنود العدو بحسب ما نقل أحد المواقع الإخبارية الإسرائيلية الناطقة باللغة الروسية، وقد تجنب العدو بعد إسقاط الطائرة إرسال المروحيات التي كانت تحمل على متنها فرق الكوماندوس.

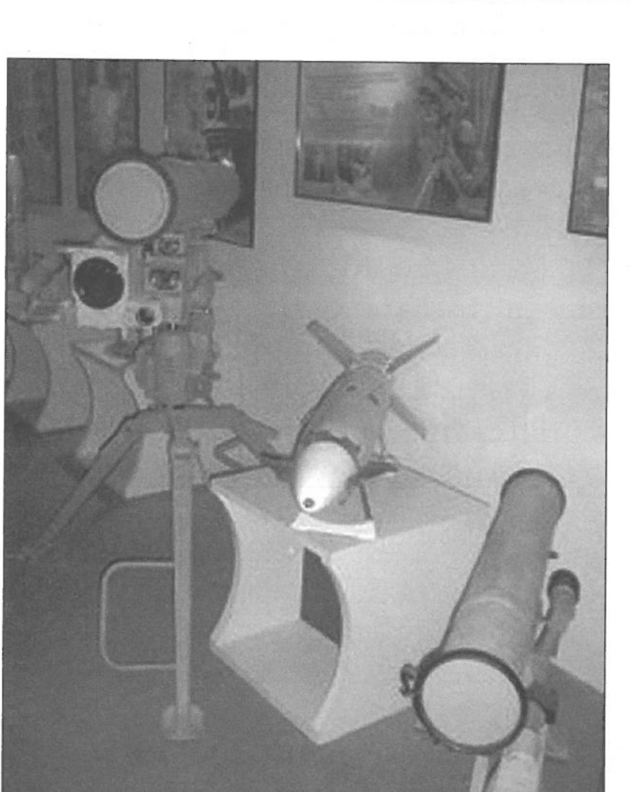
في البر، والبحر والجو كانت مفاجآت المقاومة ترسم ملامح الانتصار، فيما العدو الإسرائيلي يعيش حالة التخبط والإرباك نتيجة عجز سلاح الجو ليس فقط عن حسم المعركة، بل حتى عن تحقيق جزء معتدّ به من الأهداف، وهو ما دفعه إلى القول «إذا كانت جيوش العدو قد امتنعت في السابق حتى عن عملية حربية محدودة انطلاقاً من الاعتقاد بأنها لا تملك حلاً لمشكلة المدرعات وسلاح الجو الإسرائيليين، فإن الوضع قد تغيّر الآن من النقيض إلى النقيض، مع إثبات إمكان تدمير المدرعات بواسطة صواريخ مضادة للدروع مطوّرة، فيما قدرة سلاح الجو على الحسم بعيدة».

(ميساء شديد، «الانتقاد»، العدد ١٢٢٧، ٢٠٠٧/٨/١٠)

ضابط كبير في المقاومة لـ «السفير»: هذه أسباب انتصارنا وجيش العدو في أزمة فعلية بعد ثبوت عقم عقيدته القتالية



طائرات «اف ١٦» تشارك في الحرب الإسرائيلية على لبنان.



نموذج من صاروخ «كورنيت».

هي الذكرى الأولى للنصر.

لم تروَ حكايات الحرب كلها بعد، لكن تفاصيلها ما زالت ماثلة، واضحة وضوح الشمس، في أذهان من قاوم ومن دعم ومن صمد ومن احتضن.

سيأتي يوم تروى فيه تفاصيل الحرب كلها، ومن جوانبها كافة. ما يبقى خافياً اليوم تفرضه السرية اللازمة لمقاومة لم ينتفِ دورها حكماً، وظروف البلد المأزومة.

تحتفظ المقاومة بتفاصيل كثيرة طي الكتمان، حول قوتها الفعلية الراهنة، وحول ما كان يجري في الضاحية الجنوبية، وعلى جبهات كثيرة بقيت مُحيّدة وأخرى خيضت الحرب منها سراً، في السياسة وفي الميدان.

ولكن المقاومة تعتبر أن إسرائيل افتتحت في صيف العام ٢٠٠٦ حربها الثانية على لبنان، بعدما انتهت حربها الأولى التي دامت ١٨ سنة بالفشل مع انسحابها في العام ٢٠٠٠ .أما حرب تموز ٢٠٠٦ فهي مجرد مرحلة في إطار حرب لبنان الثانية، بما أن العدو فشل في تحقيق الأهداف التي أعلنها لها وهي القضاء على المقاومة نهائياً .. ربما ليس من المحتم اندلاع حرب جديدة، ولكن من المؤكد أن «حزب الله» لن يسعى إلى أي «هجوم استباقي» فيما العدو ما زال يعيد ترتيب صفوفه. «هي مقاومة لرد العدوان»، يقول الحزب «نحن لم نغير من استراتيجيتنا ولم نقرر خوض معركة هجومية من أجل تحرير فلسطين. هذا بحث آخر، لا يرتبط بحرب تموز».

تعرف المقاومة أن الحرب أطاحت بنظريات حربية كثيرة كانت سائدة، وأثبتت نظريات جديدة، وجعلت بعض النظريات قيد الشك. أثبتت حرب تموز للعدو أن قاعدة تفوقه المعتمدة على سلاح الجو وقوات مدرعة تمهد لأرض محروقة تدخلها قوات برية مناورة قد سقطت نهائياً، وأن العدو هو اليوم في طور إعادة تقييم لعقيدته القتالية برمتها.

تقول المقاومة إن حرب تموز أثبتت أيضاً أن الجيش السوري والجيش المصري والجيش الأردني وأي جيش عربي آخر قادر على مواجهة جيش العدو بالسبل التقليدية التي استخدم المقاومون بعضاً من أشكالها مراراً في حرب تموز. حرب تموز **التي أظهرت أن أحد أوجه فشل العدو هو عجزه عن حماية جبهته الداخلية، وكلما كان العدو يستهدف العمق اللبناني، كان يصار إلى استهداف العمق الفلسطيني.**

أظهرت الحرب أيضاً ما كانت تعرفه المقاومة منذ البداية: أن العدو يخدع نفسه إذا ظن أنه جيش مقاتل وجيش مشتبك. أظهرت الحرب يقين الحزب بأن الحرب هي، في البداية والنهاية، صراع إرادات، مهما كانت أنواع الأسلحة المستخدمة فيها.

استمرت الحرب ٣٣ يوماً طوالاً، عجز العدو خلالها عن منع إطلاق الصواريخ، وفي الأيام الأخيرة من الحرب، كانت الصواريخ الأخيرة تنطلق من مناطق حدودية تقع عند الشريط الشائك.

في ما يلي قراءة للحرب من منظور «حزب الله» في مقابلة مع ضابط كبير في المقاومة:

□ كيف يمكن تصنيف هذه الحرب: هل هي مجرد معركة ضمن حرب مفتوحة أم أنها محطة قائمة بحد ذاتها، يستحسن استخلاص الدروس والعبر منها في أي معركة مقبلة؟

○ إن ما حصل قد حصل، ونتائجه هي نتائج الحرب الحاسمة. لكن لا نستطيع أن نعتبر أن الحرب قد انتهت، ففي الإطار الشامل نستطيع أن نعتبرها جزءاً من سلسلة حروب إسرائيلية. لكنها في الوقت عينه حرب قائمة، استخدمت فيها عملية كاملة، لها أهداف كاملة، وبذل الجيش الإسرائيلي كل جهده حتى يصل إلى نتائج. أما في الحملة العسكرية، فيكلف جزء من الوحدات العسكرية القيام بمهمات خاصة محددة.

□ يقول الإسرائيليون إنها محطة فاجأتهم في التوقيت، فيما هناك شعور انها بالنسبة لحزب الله، تأتي في إطار الاستعدادات الدائمة لمواجهة إسرائيل ككيان وليس فقط كجهة محتلة لأراض لبنانية؟

○ شكل العدو لجنة خاصة من أجل تصنيف هذه الحرب وتسميتها، مما يعني وجود مسائل إشكالية، ويعني أنه ليس من السهل تصنيفها كحرب أو حملة في إطار حرب، أو معركة أو عملية في إطار حرب مفتوحة. هناك مفاهيم إشكالية يترتب عليها أبعاد وآثار ترتبط بأصل معنى الحرب، أصل مفهوم الحرب. واجه العدو إشكالية تسميتها: هي حرب أم معركة أم عملية؟ في النهاية، وصل إلى اعتبارها حرب لبنان الثانية. ماذا نفهم من ذلك؟ أو بالأحرى، كيف حل العدو هذه الإشكالية؟ حلها بأن الحرب الأولى، عملية «سلامة الجليل» التي استمرت على امتداد ١٨ سنة انتهت. انتهت بخضوع العدو وسلب إرادة القتال لديه، وانسحابه. لذلك اعتبرها العدو الحرب الرقم واحداً وقد انتهت. الآن، فتحت الحرب الرقم ٢. إن تصنيف الحرب ومعناها وأبعادها بحث يطول، وما يمكن الإشارة اليه هو أن حرباً جديدة، هي حرب لبنان الثانية، قد افتتحت.

إن ما حصل هو، بنظر العدو، مجرد مرحلة في إطار حرب لبنان الثانية. ومن بين الشواهد والأدلة على ذلك، شواهد مادية بسيطة منها كل التحذيرات القائمة حالياً والاستعدادات وتطوير بنية الجيش واستخلاص العبر والمناورات وحتى التصريحات الواضحة بأن الحرب سوف تحصل وأنها وشيكة وأن إسرائيل بحاجة إلى ترميم قوتها وإعادة بنائها. أما بالنسبة الينا، فإن التحليل الإسرائيلي يعني أن هذه حلقة من حلقات الصراع الطويل مع العدو الذي بدأ منذ تأسيس هذا الكيان.

في هذه المرحلة، نحن معنيون بهذا الصراع، ونحن نعتبر أن الحرب بدأت منذ تأسيس هذا الكيان ولا نعتبرها حرباً مستقلة عن حربي العامين ١٩٧٨ و١٩٨٢ وغيرها من العمليات السابقة التي كان يقودها العدو. الحرب من الوجهة التخصصية هي عبارة عن صراع بين طرفين ينتهي بخضوع واستسلام أحدهما وسلب إرادة القتال لديه مما يجعله عاجزاً عن القتال، وإقراره بهزيمته النهائية. هذا هو المفهوم العلمي التخصصي للحرب، لكن السؤال هنا هل خضع «حزب الله» أم خضعت إسرائيل؟

من وجهة نظر العدو، كانت أهدافه المعلنة هي نزع سلاح المقاومة وإلغاء «حزب الله»، وتفكيكه إلى آخره. نزع السلاح يعني أنهم يريدون أن يخضعوا «حزب الله» ويريدون إنهاء الحرب. كان العدو يهدف لاستغلال هذه الفرصة، فرصة عملية الخطف، أو كما ذكر سماحة الأمين (العام لحزب الله السيد حسن نصر الله) أن العملية العسكرية الإسرائيلية التي كانت مخططة لشهر تشرين، تم تقريبها بسبب عرقلة الجدول الزمني عندهم وقرروا الاستفادة من الفرصة. والأهداف التي أعلنت كانت تشير إلى أن العدو يريد الحسم في هذه الحرب، فمن وجهة نظر العدو هي حرب ثانية كان يريد ان ينهيها بإخضاع المقاومة وإنهائها، لكن لم يحصل ذلك.

ومن وجهة نظر العدو أيضاً، هو يستعد لجولات جديدة من أجل تحقيق الهدف النهائي للحرب وإنهائها.

من وجهة نظرنا، هذه حلقة من حلقات الصراع. نحن في وضع الدفاع وهو في وضع العدوان والمعتدي، وبالتالي فإن المطالب بالحسم والذي يحسم الحرب هو الطرف المعتدي، لكن هذه العملية فشلت وفشلت أهدافها والعدو لم يستطع الحسم.

□ ماذا لو كان في مواجهة إسرائيل جيش تقليدي مؤلف من مئة ألف جندي بنفس القدرة النارية كيف كانت ستكون ترجمة التوازن بين الجيشين؟

○ الجواب عن هذا السؤال محرج لانه يرتبط بالعقيدة القتالية لأي جيش من الجيوش. ليس البحث هنا بحساب الوزن والتعداد وحجم القدرة القتالية، وإنما الاعتبار الأصلي للعقيدة القتالية. في المنطق العسكري، ومنذ بدء علم الحرب من فجر التاريخ إلى الآن، إن الحرب هي عبارة عن صراع إرادات، عن الابتكار والإبداع والفن والذكاء والشجاعة، وهي غير مرتبطة بالأوزان، ولم يسجل بالتاريخ أن العدد الأكبر دائماً ينتصر وأن العدد الاقل يهزم. بخلاف كل المفاهيم الأخرى المادية المختلفة، فإن عوامل القدرة القتالية تتألف من تشعب بالمؤثرات، ولذلك ليس المقياس هو تنظيم

القوات وتعدادها وتسليحها وتأليفها فقط، وإنما المسألة مرتبطة بعقيدتها القتالية. فالعقيدة القتالية والإبداع والابتكار وخاصيات القادة وخاصيات الجنود هي التي تحدد مصير المعارك، بغض النظر إذا كان من يخوضها من الجيوش أو عصابات تقاتل.

□ هل الحرب المقبلة آتية لا محالة، وهل ستكون أقسى من حرب تموز لأن الطرفين استخلصا الدروس والعبر من الحرب الماضية: ماذا تعلم الحزب، وماذا عرفت إسرائيل عن الحزب؟

○ أولاً نعلق الإجابة عن مسألة أن حرباً جديدة هي حتمية للمستقبل، فالجواب معقد. لأنني إذا قلت إنها حتمية أكون أثبت للعدو وللبنان وللداخل ولكل من يسمع أن الدنيا ستخرب وهذا خطأ وغير صحيح. نحن لا نقول بحتمية أو لاحتمية الحرب. نحن نقول إن العدو قد يتجرأ على الاعتداء وقد لا يتجرأ على الاعتداء.

العبر التي استخلصتها المقاومة من الحرب هي تثبيت منطلقاتها بأن الأصل ليس وزن العدو وقدراته الهائلة والكبيرة. العبرة الأولى هي أن الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله. ولكن هناك أيضاً بعداً مادياً مباشراً. والأبعاد المادية المباشرة، والدروس والعبر أبعد من أن تعد وتحصى بنص، لكن يمكن الإشارة العامة لها.

إن أبعاد حرب لبنان يصعب ضبط حجمها زمنياً لأنها ستتخطى الحدود الزمنية والبعد الجغرافي لها.

أولاً، في العلم العسكري، هي أضافت إلى التجربة الإنسانية والى تجربة الحروب خبرة غنية جداً، لانها أطاحت بنظريات كانت سائدة وأثبتت نظريات جديدة وجعلت بعض النظريات قيد الشك، وهذا اهم ما في حرب تموز. اهميتها هي في بعدها العلمي، في الإضافة في التجربة. وما حصل ليس فقط انتصاراً مادياً موضعياً، مبنياً على شجاعة جمع من الناس وإن كان ذلك قد حصل فعلاً. هي شجاعة ومعنويات، ولكن هناك إضافة علمية غيّرت مسار العلم العسكري. أكرر، أطاحت بأفكار ونظريات وأثبتت نظريات جديدة وجعلت بعض نظريات علم الحرب في دائرة الشك: هل هي صالحة أم غير صالحة؟ مثلاً، نظرية استخدام سلاح الجو، أو نظريات أن سلاح المدرعات هو سلاح الحسم، او نظرية استخدام المناورة في المشاة، وحتى أصل نظرية المناورة في الميادين المشابهة للبنان اي المناورة في عمق أراضي العدو وقوات النخبة وما يتصل بها والقتال في أرض العدو.

طرحت الحرب أيضاً أسئلة تتعلق بالأثر التكنولوجي على الحرب الحديثة، وتأثير التطور التكنولوجي للأسلحة على التكتيكات، وفائدة التكتيكات القديمة والمستجدة في الميادين الحالية والمستقبلية وغيرها من الأفكار الدقيقة جداً والهامة جداً التي لا يتسع المجال لتفصيلها، لكن ما نؤكده هو أن الدروس والعبر هي أكبر من الإطار الزمني والجغرافي وحتى أبعد من طرفي هذا النزاع. ولا شك بأن كل مفكر عسكري، كل استراتيجي عسكري، يدرس ويتأمل عبر لبنان، ويضع حداً فاصلاً بين حرب لبنان وما بعد حرب لبنان: قبلها كانت تدرس نظريات عسكرية معينة، وبعدها تأثرت هذه النظريات تأثراً عميقاً. بقي بعضها صحيحاً وأطيح ببعضها الآخر وتغير البعض.

أيضاً، من أهم دروس الحرب هذه أنها أثبتت نظرية أن الأصل والأساس هو لإرادة القتال والإبداع والابتكار والتصميم والثبات. فالحرب هي بالأساس صراع إرادات. لحجم القدرات القتالية عند الطرفين أساس وتأثير، ولكن ليس التأثير الحاسم. يعود التأثير الحاسم إلى القدرات الذهنية والعقلية والعقيدة القتالية والإبداع في الفن العسكري والفهم العسكري وتحويله إلى فن وابتكار. هذا هو النموذج الخاص عند المقاومة، ومن قال من العدو بأن حرب تموز زحزحت قارات كان محقًا. ومن قال بان آثار هذه الحرب سوف تمتد إلى عشرات السنوات إلى الأمام محق أيضاً. كل حرب في أي بقعة من العالم لها تأثير على كل العالم.

□ إذاً، كيف شلت قدرة وإمكانيات سلاح الجو والمدرعات والمناورات البرية؟

○ يمكن إيضاح بعض جوانب نظرية ودور سلاح الجو في الحروب الحديثة أو دور سلاح المدرعات أو القوات البرية أو دور المناورة، إلا أنه لا تمكن الإجابة بالتفاصيل كي لا نفيد العدو بما يتمنى ويحلم. ولكن، وكما ظهر، فإن قاعدة تفوق العدو تنطلق من سلاح الجو الذي يدمر وقوات بر مدرعة ميكانيكية تحتل الأرض المحروقة. هذه هي القاعدة السريعة. **جيش العدو هو جيش تدمير وليس جيشاً مقاتلاً**، وهذا بحث مهني علمي يحتاج إلى تفصيل. هل القوة البرية هي قوة اشتباك؟ أم أنها تأتي لمهاجمة أرض محروقة دمرها الطيران والمدفعية؟ يخدع العدو نفسه إذ يظن أنه جيش مقاتل وجيش مشتبك وجيش محترف ويتقن المناورة وما إلى ذلك. هذا ما أثبتته هذه الحرب وسابقاتها، وكل اشتباك مباشر مع العدو، وهذا ما توصلت إليه لجنة فينوغراد وما يعلمه تحديداً (رئيس الاركان الاسرائيلي غابي) اشكينازي، و(وزير الدفاع إيهود) باراك وبعض ضباط العدو المحترفين حالياً، هو أن جيش العدو مأزوم حالياً. هذا واقع، ضباط العدو لديهم مشكلة في مفهوم الحرب والاشتباك، ولكن بعض من تخضرم من جيش العدو يعرف حق المعرفة أن المسألة لا تتعلق بأمور مثل العودة إلى نظريات بن غوريون أو عدم العودة إلى نظريات بن غوريون، أو باستخدام شاشات البلازما أو بمن هو على رأس القوات، أو إذا كان يتعين استخدام القوات بشكل مكثف أو محدود. ليست هذه الامور هي المشكلة.

يعلم المحترف عند قادة العدو بعدما درس واستخلص العبر ما هي المشكلة بالتحديد. اكتشف ثغرة العقل العسكري الإسرائيلي. والاوهام المبنية على أساس التركيز على سلاح الجو، على تفوق الجو لأنه قادر على الاحتواء والتدمير والتثبيت والضرب والقضاء، هي أوهام خاطئة. المشكلة ليست مشكلة (رئيس الأركان السابق دان) حالوتس الذي ظلم بأن حمل تحديداً مسؤولية هذه النظرية. (وهو كان من أمر بالتركيز على سلاح الجو واتهم بأن ذلك سببه

نشأته العسكرية في سلاح الجو). من يتحمل مسؤولية هذه النظرية هم الاميركيون، سادة الإسرائيليين. **فالعقل العسكري الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية، اعتمد على سلاح الطيران وحقق بعض الإنجازات حتى وصل العقل الاميركي إلى أن سلاح الجو هو القادر على الحسم.** واعتمد عليه في قصف يوغسلافيا وفي حرب والعراق وغيرها. ومع أن قادة العدو اكتشفوا في تلك الحملات بعض المحدوديات، إلا أن حرب لبنان جاءت لتطيح بالجزء الأخير من تلك النظرية، من الاوهام المعلقة على أن من يتفوق في الجو يحسم المعركة. أما جزئياً وتفصيلياً، فالعمود الفقري للنظرية القائم على أساس أن سلاح الطيران هو الذراع الطويلة الذي يدمر، نعم يمكن أن يدمر، ولكن ماذا سيدمر؟! يدمر الحجر كما دمّره! ماذا أعطى نتيجة؟

هذا سلاح غير مجد، والمقاومة تعرف ذلك منذ زمن، فهي لم تنتظر حرب تموز لتصل إلى هذه النتيجة التي كانت تعرفها دوماً خلال سنوات الاحتلال. والعدو انسحب في العام ٢٠٠٠ بسبب عقم سلاح الجو وسلاح البر والمشاة وعمليات القصف وكل هذه الأسلحة. العدو هُزم، لم يكن قادراً على مواصلة القتال، وأجبر على الانسحاب سنة ٢٠٠٠، وبالتالي هذا الجزء كان الإشارة الأولية إلى محدودية سلاح الطيران، ثم جاءت حرب تموز لتؤكد ذلك وتظهره إلى العلن. هذه عبرة ورسالة إلى كل عسكري محترف وكل من يعنيه الصراع مع هذا العدو، ويمكن أن يظن بأن تفوق العدو في الجو له تأثير حاسم أو دور فاعل في مسار المعركة. لسلاح الجو دور لا يمكن أن ننكره، ولكن هذا الدور يمكن أن يحصر باللجوء الى الإبداع والابتكار، فيصبح غير ذي جدوى.

□ ماذا عن دور المدرعات؟

○ في موضوع المدرعات، لا أريد أن أفيد العدو بأي كلمة، لاننا نعرف أن كل كلمة نقولها ستكون موضع دراسة وتحليل واستفادة لدى العدو. ولكن إشارة عامة إلى أن سلاح المدرعات لم يهزم تقنياً فقط، على الرغم من التدريع الهائل لدبابة الميركافا ٤، وهذا أمر يعرفه مصممو الدبابة. العدو الذي اخترع الميركافا ٤ اعتبر أنه صنع ثورة، صنع ناقلة جند مع الدبابة، وجمع قوة النار مع المناورة، والقدرة على نقل القوات مع القدرة على تدمير الهدف. وكان ذلك نظرياً يعتبر ثورياً نسبة إلى من يعتقد بهذا الاتجاه. أولاً في الجزء التقني للدبابات اعتبر العدو أن لديه الدبابة التي لا تقهر، واعتبر أن الدبابة سلاح الحسم وأعطاها أكثر من دورها، لكن العدو وقع في الخداع الذاتي، بسبب قراءته الخاطئة لحروب الاعوام ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣، خدع نفسه، وقام بتأسيس الجيش على أساس كل تلك الفرق المدرعة، وعمل تنظيماً خاصاً لقواته، لكن عموده الفقري كان القوات المدرعة، على أساس أنها سبب النصر وسره، لكن هل الدبابة هي سلاح الحسم فعلاً؟ هي سلاح الحسم إذا كانت دبابة مقابل دبابة، ولكن إذا كانت الدبابة مقابل الجندي، أو المقاتل فهل يكون ذلك لمصلحة الجندي أم لمصلحة الدبابة؟ **يكفي ألا تواجه الدبابة بدبابة لكي يسقط دورها أصلاً. تبقى قوة نار، آلة تدمير تمشي، ولكن تبقى لها علاجات.** والعدو يعلم أنه عاجز عن إضافة اي تدريعات عليها لن تكون محدودة تقنياً.

حتى لو افترضنا أن العدو نجح في الوصول إلى نظام ما، إلا أن هناك عقولاً تدرس وتخطط بشكل دائم من أجل مواجهة هذا الجزء التقني.

أما في الجزء التكتيكي لدور الدبابة، هل هي سلاح الحسم بمعنى انها تنقل المعركة إلى عمق مناطق العدو؟

أعطت حرب تموز العدو درساً مفاده أن الدبابة تستطيع أن تتوغل وبسرعة إلى عمق مناطق العدو ولكن قبل شروق الشمس تنسحب وبسرعة كما حصل في مرجعيون. **فمعركة الدبابات في مرجعيون هي درس لكل سلاح المدرعات في العالم، دخلت التاريخ العسكري في قتال المدرعات**، في السرعة بالتوغل في الميدان القتالي، في هذه الساحة تحديداً. معركة مرجعيون، كما اعترف قائد فرقة «عمود النار» وقال حرفياً «أنا مسؤول عن الهزيمة، ليست إخفاقات الجيش وعدم تحضير الفرق .. قال أنا جهزت ودربت الاحتياط وطلبت الإذن بدخول المعركة، كنت جاهزاً للقتال وليست المشكلة عدم جهوزية قواتي للقتال، كنت جاهزاً للقتال ودخلت وانهزمت وأنا أتحمل المسؤولية». إذاً في معركة مرجعيون عرف العدو أن تكتيك استخدام المدرعات بالخرق السريع يعني أيضاً الهزيمة السريعة.

أما في ما يتعلق بالمناورة، فهذا مفهوم مرتبط بالعقيدة التي بني عليها جيش العدو. جيش العدو هو جيش المناورة، بنيت قوات العدو على أساس المناورة على أجنحة العدو وفي عمق العدو. هو جيش المناورة بكل معنى الكلمة. الجيش الذي أطاح بحرب الأيام الستة وحقق ما حقق في سيناء وفي الضفة الغربية وفي القدس وفي الجولان، هذا الجيش هو نفسه الذي علق وتجمد وكان على امتداد ٣٣ يوماً عاجزًا عن المناورة.

ومفهوم المناورة ليس مفهوماً عابراً.

لقد نشب جدل واسع في الماضي حول ما إذا كانت القوات الأميركية كافية لمهاجمة العراق واحتلاله أم غير كافية؟ اعتبر قادة الجيش الأميركي ومنظروه أن مفهوم الحرب الحديثة والقائمة على أساس المناورة ونقل الجهد هو أمر كاف. ومع أن مساحة العراق الهائلة، دخلت أربع فرق في المعركة. وكان لديهم فرقتان في جبهة الشمال التي لم تفتح، وتحقق ما تحقق بواسطة المناورة. وقد أعلن قائد المنطقة الشمالية (الإسرائيلي) في حينه بني غانز أن لدى إسرائيل فرقاً مشابهة للفرق الاميركية الست التي هاجمت العراق وبالتالي لديها القدرة على الحسم. بني غانز يشغل حالياً منصب قائد القوة البرية في جيش العدو وهو أحد أهم وأكبر المسؤولين. **جنّد العدو، وليس بالصدفة، أربع فرق. الجيش الاميركي تمكن بأربع فرق من أن يصل إلى بغداد**، ويطيح بجيش العراق المؤلف من نحو خمسمئة الف جندي نظامي، ويحتل هذه المساحات الهائلة، يناور فيها وينتصر. ولكن، كيف نفهم جيش

العدو الذي يعد الأول في العالم في مجال المناورة، والمحترف أكثر من الجيش الاميركي، المبدع في مفهوم المناورة؟ كانت أربع فرق إسرائيلية تناور في نهاية الحرب وتسعى وتحاول ولا تستطيع أن تتغلب في ميدان يصل عمقه إلى ثلاثين أو خمسة وثلاثين كيلومتراً؟ كيف تتعطل قدرة المناورة في الميدان؟

المسألة ترتبط بمفهوم المناورة. أجابت المقاومة على شيء، وحددت وأطاحت وأثبتت وغيرت في مفهوم المناورة وهو المفهوم الاساسي القائم في الحرب الحديثة، مناورة القوات، الأعداد القليلة من القوات التي تناور العدو. ليست المشكلة بكثرة القوات ولا بقلة القوات. لا يتسع حجم الميدان المحدود جنوبي الليطاني لاربع الفرق.حتى لما صار هناك استخدام مكثف للقوات، شكلت تلك الكثافة مشكلة عند العدو. لا المناورة أفادت ولا كثرة القوات أفادت العدو. على كل حال، واضح في العلم العسكري أن كثافة القوات تعني كثافة أهداف.

□ عرف أن المقاومين استخدموا أسلحة ذات تقنية عالية، وهناك من اعتبر أن هذه الأسلحة التي قدمت إلى الحزب هي التي مكنته من الانتصار؟

○ إذا وزعنا أسباب النصر بين أسباب تكنولوجية ومعنوية وغيرها، نقول إن تأثير التكنولوجيا هو تأثير محدود جداً، لا يمكن أن يصل إلى مستوى التأثير الفعلي والجوهري في مسار الحرب. التأثير الأكبر كان للاستخدام الذكي للأسلحة القديمة والحديثة. قاتلنا هذا العدو بالأسلحة التقليدية وبعض الأسلحة الحديثة، ولكن أسلحة العدو الحديثة كانت متفوقة على أسلحتنا الحديثة. كان هناك عدد غير محدد من القنابل الذكية التي أرسلتها أميركا، وأحدث الطائرات في العالم، وأحدث التدريع في العالم. هل يمكن لبعض الأسلحة ذات التقنية الحديثة أن تهزم هذا التعداد الهائل؟! هذا كلام تافه وسخيف لا يعول عليه في الوزن العسكري، وحتى العدو لم يعطه أهمية. وهذه لجنة فينوغراد، وغيرها من اللجان، لم ترجع سبب الهزيمة إلى تكنولوجيات وإنما إلى طبيعة قتال المقاومة، إلى العقيدة القتالية للمقاومة. عندما يتواجه المقاتل مع الجندي الإسرائيلي أين تكون تكنولوجيا؟ هناك سلاح كلاشينكوف تحديداً مقابل سلاح ثان، جندي مقابل جندي، ما دخل التكنولوجيا؟

عندما بدأ الاستخدام المكثف للمشاة كان هناك استخدام محدود للمدرعات، وحتى مواجهة المدرعات لم تكن كلها بالأسلحة الحديثة. بعض الدبابات دمرت ببعض الأسلحة التي يعتبرها العدو حديثة، أما البعض الآخر فتم تدميره بالعبوات والألغام والأسلحة التقليدية جداً. هذه الدبابات الحديثة هي قاصرة عن مواجهة أسلحة المقاومة التقليدية والعبوات العادية.

هل الأسلحة الحديثة هي التي عطلت سلاح الجو؟ هل الأسلحة الحديثة عطلت مشاة العدو؟ ما الذي عطل طيران العدو ومشاة العدو ومناورة العدو؟ ما الذي جعل العدو عاجزاً عن احتلال عيتا الشعب أو بنت جبيل أو اي قرية من القرى؟ ما الذي جعل العدو عاجزاً عن تأمين محور لكي يؤمن قواته لوجستياً فأجبر على إسقاط المؤن والدعم اللوجستي من الجو في عمق لا يتجاوز خمسة أو ستة او سبعة كيلومترات؟

ثم ان الأسلحة ليست مصنوعة بطريقة تمنع أن تستخدمها قوات المقاومة أو تشكيلات المقاومة أو غيرها. تستطيع المقاومة أن تستخدم كل أنواع الأسلحة. أما تطويعها فهو الإبداع في تكتيك استخدامها وهذا شيء يرجع إلى ذكاء المقاومة وقوتها وكفاءتها، ويرجع إلى تفوق قيادة ومقاتلي المقاومة. الوزن الأكبر في النصر يذهب إلى إبداع قيادات المقاومة، وإبداع النظرية القتالية عند المقاومة. هزمنا العدو في النظرية القتالية أولاً، ثم ثانياً أو عاشراً نحن هزمنا أسلحة العدو .

□ هل ما زال «حزب الله» في مرحلة تدعيم قدراته الدفاعية وماذا عن القدرة عن الهجوم وإمكانية استخدامها قبل أن يعيد العدو تجهيز نفسه؟

○ العدو يعلم إذا كنا في مرحلة تدعيم أو لسنا في مرحلة تدعيم. لا شك في أن كل قوة عسكرية مهددة، أو أمامها عدو مثل هذا العدو تكون في حالة يقظة دائمة. ربما المقاومة دعمت نفسها منذ سنة ٢٠٠٠ او من قبل ذلك، ربما لم يضف أي جديد إلى قدرات المقاومة منذ سنة ٢٠٠٠ وربما هناك إضافات. لن نخدم العدو بأي جواب، لكن المقاومة كانت دائماً جاهزة، وقدرتها لم تتشكل المقاومة بعد انسحاب ٢٠٠٠. هزم العدو في حرب ٢٠٠٠ مادياً وفي العقيدة القتالية وفي الاستراتيجيات وفي النظرية الأمنية. انسحاب الألفين كان انهزاماً للنظرية الأمنية للعدو. كان عجزاً وفشلاً، ولكن طالت مدة استيعاب العدو لهذا الدرس. يتميز بعض قادة العدو بالذكاء ولكن هناك جانباً غير مفهوم لدينا: لماذا لم يستطع العدو استيعاب دروس العام ٢٠٠٠؟ ولماذا انتظر هزيمة سنة ٢٠٠٦ حتى يفهم ماذا حصل في سنة ٢٠٠٠؟ هذا أمر غير مفهوم، علماً أن هناك نخباً بين ضباط العدو بين الذين قاتلوا والذين لم يقاتلوا، وبين الذين كانوا في الحكم والذين لم يكونوا في الحكم. كانت قدرات المقاومة دائماً جاهزة، ومن لديه عدو من هذا النوع فلا بد أن يكون في حالة الجهوزية الدائمة.

أما في موضوع تدعيم الدفاع، فلكل حرب دروس وعبر وكل حرب هي تأسيس لحرب قادمة، وليس هناك أحد يخوض حرباً بنفس أساليب الحرب المنتهية. كل فئة تحاول أن تطور أساليبها، وقد لا تكون المقاومة بحاجة إلى أي تطوير، وربما لا تكون بحاجة إلى تطوير أساسي وجوهري في أساليبها، وربما تكون قد طوّرت في أساليبها؟ يجب أن يترك السؤال نفسه وتجهيل الجواب عنه علامة استفهام عند العدو.

مفهوم الهجوم والدفاع أيضاً هو بحث تخصصي يحتاج إلى مقدمات من أجل شرحه، المهاجم مدافع والمدافع مهاجم. المهاجم هو يهاجم في المرحلة الأولى وبعد أن يحقق الأهداف أو يصل إلى أهدافه يتحول إلى مدافع. والمدافع هو من يدافع في المرحلة الأولى من هجوم العدو وبعد ذلك يتحول إلى مهاجم.

أما السؤال عن الحرب الاستباقية، بمعنى أنه إذا كان العدو يخطط للحرب لماذا لا نبادر إلى الاستباق ومهاجمته؟ إن الحرب الاستباقية هي نظرية في كل الحالات وبحثها مرتبط بالأبعاد الاستراتيجية للمقاومة، **الاستراتيجية العسكرية للمقاومة قائمة على أساس رد عدوان والدفاع**. نحن لم نغير من استراتيجيتنا ولم نقر خوض معركة هجومية من أجل تحرير فلسطين. هذا بحث آخر، لا يرتبط بحرب تموز. استراتيجية المقاومة قائمة على الدفاع ضد هجوم العدو. عندما نتحدث عن المقاومة نكون نتحدث عن استراتيجية دفاعية. حرب العصابات هي حرب دفاعية تخاض بتكتيكات هجومية، لكن تكتيكات هجومية على قوات العدو المعتدية، المهاجمة المحتلة.

□ ماذا لو كان هناك جيش نظامي في مواجهة العدو؟

○ نحن نعتقد أن الجيش السوري والجيش المصري والجيش الأردني وأي جيش عربي قادر على مواجهة جيش العدو، حتى بأسلوب الحرب النظامية والكلاسيكية. ليس تكوين الجيوش النظامي مانعاً من مواجهة إسرائيل ومحاربتها وهذا بحث مهم جداً، وهي رسالة إلى ضباط الجيوش العربية التي قاتلت في السابق بأن المقاومة لم تكن بعيدة في حرب تموز عن شكل القتال المشابه للجيوش النظامية، لم تكن بعيدة في بعض أعمالها القتالية. ولا يحتاج الامر إلى إلغاء بنية الجيوش العربية وتحويلها إلى مقاومات أو أن تخوض حرب عصابات او غيرها. الامر لا يحتاج إلى ذلك مطلقاً وإنما يحتاج إلى استخلاص العبر والدرس من انسحاب سنة ٢٠٠٠، ومن حرب المقاومة من سنة ١٩٨٢ إلى سنة ٢٠٠٠، ومن حرب تموز.

□ القصف داخل فلسطين المحتلة: منذ متى هذه القدرة، ولماذا استخدمت مقننة؟ وما قوة الحزب الفعلية هنا؟

○ هذه القوة موجودة منذ بداية نشأة المقاومة، كانت دائماً موجودة. إذا كان المقصود بالتقنين هو عدد الصواريخ الذي كان يتم إطلاقه، ففي خلال مسار العمليات العسكرية هناك فعل ورد فعل. ووتيرة الصراع والمواجهات تتطلب حجماً ومقداراً معيناً في الرد، لذلك سبب التقنين هو ضرورة اللجوء الى الرد المناسب، أي ان ما كان يحدد عدد الصواريخ في الرد هو ضرورة التقيد بالرد المناسب. صحيح أن المقاومة فوجئت بانتهاء المعركة بعد ٣٣ يوماً، وكان ذلك أحد أبرز أوجه المفاجأة للمقاومة. وكان قد تم تأجيل استخدام الكثير من القدرات بسبب احتمالات تطور الحرب، إلا أنه كان لدى المقاومة قدرة للاستمرار في الحرب لفترات طويلة جداً، ولم يكن السبب في التقنين هو احتمال أن تطول الحرب ولكن تناسب الرد، فلدى المقاومة القدرة على التصعيد ولمدة طويلة جداً. دائماً كان عندنا الرد المناسب. وحتى خلال الحرب، لو كان لدى العدو النية للتصعيد أكثر، لكان جوابنا عليه أكبر.

□ كيف تمت حماية قيادات الحزب خلال الحرب، ولا سيما أن الأسلحة المستخدمة كانت هائلة الحجم والفعالية؟

○ أحد أوجه فشل العدو وإخفاقه هو عجزه عن النيل من قيادات المقاومة، علماً أن كل مجاهد لا يقل وزنه المعنوي والمادي عن وزن أي قائد في المقاومة، وليس عندنا أن حياة القائد أهم من حياة المقاتل، ففي عرفنا كلهم يتساوون، والجميع لدينا مقدس. وقد فشل العدو من النيل من القياديين وحتى من المقاومين. فليخجل قادة العدو وضباطه وكل استراتيجييه من عدد الغارات الجوية وعدد القذائف التي استخدمت مقارنة بهذا الحجم المحدود جداً من تضحيات المقاومة (عشرات الشهداء) ومن تضحيات المدنيين. لو لم يكن إلا هذا الفشل، لكان كافياً للاطاحة بكل ضباط العدو وليس فقط بحالوتس.

□ ماذا عن التعتيم الذي مارسه الإسرائيليون على خسائرهم في بعض القواعد الجوية والبحرية والبرية؟

○ أقدر وأتفهم الرقابة العسكرية الإسرائيلية، وما أعلن هو فقط ما أجبرت على السماح بإعلانه، وأنا أتفهم أسباب التعتيم على ما لم يعلن بسبب عمق وخطورة ما حصل في حرب تموز سواء بالإنجازات في مجال قصف بعض الأماكن أو بالإنجازات المرتبطة بفشل الاستخبارات أو القوة البحرية أو الاستقالات التي حصلت عند قادة الفرق أو رئيس الاركان أو قائد منطقة شمالية او ما إلى ذلك. مسألة التعتيم هي مرتبطة بموضوع الرقابة. في عالم الإنجازات، تصبح هناك قيمة لإصابة هدف لم يصب طيلة حرب، وللموقع الذي أطلقت منه صاروخاً وأصبت هدفاً قيمة. لكن الأهم من ذلك وقيمته أكبر هو ان المقاومة استمرت لمدة ٣٣ يوماً برماية العدو وكان العدو عاجزاً عن تعطيل الرماية من أي بقعة، من أي مكان في جنوبي النهر أو شمالي النهر أو اي مكان آخر، هذا هو الاهم. الاهم هو عقم العدو وعجزه عن منع إطلاق الصواريخ، هذا هو الأصل والأساس. وفي الايام الأخيرة من الحرب، كانت طلقات الصواريخ الأخيرة تنطلق من مناطق حدودية تقع عند الشريط الشائك.

□ ماذا عن إصابة جنود العدو في قواعدهم العسكرية البعيدة عن الحدود؟

○ الحرب هي عالم الخطر، هي عبارة عن صراع مادي عنيف، صراع عدائي، عبارة عن صراع فيه القتل وسفك الدم ومن الامر البديهي أن يستخدم كل طرف من طرفي الصراع كل إمكاناته لهزيمة العدو، ومن الطبيعي أن يكون كل مكان فيه جندي من جنود العدو مكاناً غير آمن. إن أحد أوجه فشل العدو هو عجزه عن حماية جبهته الداخلية، وكما كان العدو يستهدف العمق، تم استهداف عمقه. كان التناسب في الرد لدى المقاومة هو ان الضرب في العمق يساوي الضرب في العمق. واستخدام البحر يعني ضرب البحر، واستخدام الجو يعني ضرب الجو، واستخدام البر يعني ضرب البر، يعني كان هناك تناسب كامل في الرد لذلك استمرت الحرب ٣٣ يوماً.

استمرت الحرب ٣٣ يوماً لأن العدو كان عاجزاً عن الحسم.

(هنادي سلمان، «السفير»، ٢٠٠٧/٨/١٤)

عندما راحت إسرائيل تردد: النهر.. النهر.. النهر.. من دبابة الراهب.. إلى يوم الميركافا في سهل الخيام



دبابتان إسرائيليتان من نوع «ميركافا» تحترقان في سهل الخيام

الخيام:

بعد ساعة تقريباً على نجاح عملية الأسر، خرجت من موقع «الراهب» الإسرائيلي دبابة ميركافا تتجه صوب «عيتا الشعب».

تأخرت تلك الدبابة المتحمسة. غالب ورفاقه كانوا ينتظرونها وغيرها قبل ذلك الوقت بكثير. تأخر الإسرائيليون في التحرك لمحاولة إفشال العملية. أخذوا وقتهم في ذاك الصباح المربك. تأخرت الدبابة عن موعدها إذاً. **غير أنها استقبلت كما يليق بها. بعدما قطعت أربعين متراً من الأراضي اللبنانية، انفجرت «النسفية»، أي العبوة، فاحرقتها بمن فيها: طاقمها المؤلف من أربعة جنود.**

ضحكت ملامح الشاب الموجود في قرية بعيدة. قبل ساعة صرخ فرحاً وهو يعرف أن العملية تمت بنجاح. والآن سقطت الدبابة في الفخ الذي أعدّه لها المسؤول عن «تطويق رد الفعل بعد العملية».

«النسفية» واحدة من أخريات نُصبت قبل أيام معدودة من ١٢ تموز. خلال التحضير للعملية، كان على غالب أن يضع ذهنه العسكري عند الجهة الأخرى للحدود. يفكر في ضابط إسرائيلي ما، تلقى لتوه أمراً باللحاق بالمخربين الذين أسروا جنوداً من جيش الدفاع لإفشال العملية وإعادة الجنود. ما هي الخطط الجاهزة لدى هذا الضابط للتحرك، وما هي القرارات المحتملة التي سيرتجلها في تلك اللحظة؟

بناء على ما فكر فيه الضابط المتخيل، وبناء على معطيات الشاب كمسؤول في المقاومة، قرر غالب النقاط التي ينبغي زرعها بالعبوات وحرّك شبابه نحوها. نامت الخلايا في نقاطها، وانتظرت. الدبابة الإسرائيلية التي أرسلت وحيدة في ذاك الصباح، «انتحرت» على بعد أربعين متراً من الحدود. ظلت دولتها طوال يومين تحاول استعادتها، ولم تنجح بعدما تلقت الضربة تلو الاخرى وهي تحاول سحبها. هكذا ظلت حتى آخر الحرب في مكانها بعدما أخذت أشلاء الجنود منها.

اليوم، يعرض مدفع تلك الدبابة في معرض غنائم المقاومة في الضاحية الجنوبية. تلك الدبابة كانت خبراً جميلاً بالنسبة الى غالب، وكانت فال نحس على الجيش الإسرائيلي. غالب كان في الدائرة الضيقة للضالعين في تفاصيل عملية الأسر، والمخططين لاحتواء رد الفعل الأولى عليها. وفقه ربه وأدى المطلوب منه. مهمته لن تتوقف عند هذا الحد بالطبع. بدأت الحرب. بقي غالب في القرية التي كان فيها، يقوم بعمله في سلاح الهندسة، أي العبوات التي آذت المهاجمين كثيراً. غالباً ما كانت أول ما يستقبل المدرعات الإسرائيلية ويعطبها. وهذا السلاح الموجّه عن بعد يفرض بقاء رجاله معه لتفجيره في اللحظة المناسبة. شبان يعملون مع غالب منذ أكثر من أربعة أعوام. رفاق سلاح له هو ليس مجرد مسؤول عنهم، بل صديقهم والمستمع اليهم في تفاصيل حياتهم اليومية. يحرص دائماً على سلامتهم هو الذي ربما يرسلهم أحياناً في مهمات خطيرة لا تصل فيها نسبة إمكانية عودتهم أحياء الى العشرة في المئة. يتوجس حين ينقطع اتصاله بهم، ويفرح حين يعاودون الاتصال. كما حصل مع «الاخ» الذي ذهب في اليوم الثامن من الحرب حاملاً «الأغراض» من صديقين إلى بنت جبيل إلى عيتا الشعب حيث صعد إحدى الهضاب وزرع «الاغراض» وعاد أدراجه. ثم ذهب في مشوار آخر وكاد يُكشف على عدوه ويؤسر غير انه عاد سالما وغانماً.

في الحرب الضارية، كان خبر استشهاد مقاوم يثير خليطاً من مشاعر. يقع قاسياً على من تشارك معه غالب خبزاً وملحاً وأياماً. «عليك أن تفكر في أمور كثيرة. تغبط الشهيد على فوزه، وتحزن لفراقه، وتبحث في كيفية تغطية الفراغ الذي خلّفه». هي أيام قاسية بالطبع. بدأت ترتفع وتيرتها على غالب ومجموعته شيئاً فشيئاً. ضاقت دائرة الخطر مع حلول اليوم الخامس عشر. صار موقع غالب ورفاقه مهدداً. أخذت الغارات تقترب من البيت الذي هو فيه. قصفت المقاتلات على التوالي ثلاثة بيوت على الخط نفسه، وأتى دور هذا البيت. بلّغ قيادته واهتمت بسحب عدد من الشبان معه حفاظاً على حياتهم، وبقي هو ومعه شابان آخران لضرورات مهماته. في عصر يوم لاحق، شاهد غالب نشرة الساعة الرابعة وتمدد لقيلولة قصيرة. استيقظ على صراخ: «يا حاج يا حاج». قام على عاصفة من التراب والغبار. أغارت المقاتلة على البيت. لم يسمع غالب صوت الصاروخ لانه وقع قريباً جداً. انسحب الشبان الثلاثة. نجوا وفقدوا الاتصال لفترة قصيرة بقيادتهم... ثم عادوا واتصلوا بها. لاحقاً، أرسلت القيادة شاباً يدعى «ثائر» ليسحب غالب من نقطته. في طريقهما، حاول ثائر الاتصال بعائلته عبر الاجهزة التي بحوزة غالب. لم يوفق في إيجاد زوجته وأولاده في ستة أماكن مختلفة اتصل بها. غالب فعل. اطمأن الى عائلته وحكى مع أطفاله. في ما تبقى من الحرب، تابع المقاوم عمله في نقطة أقل خطراً، «لكن، وبما أنك في «حزب اللــه»، فأنت دائماً في خطر»، يقول ضاحكاً.

بعد انتهاء الحرب بأيام، ذهب الى زوجته وأولاده. كان عليه أن يفرح كثيراً بهم ويفرحوا به. لذا، خبّأ حزناً على ذكرى قاسية. ثائر لم يسمع صوت زوجته وأطفاله في ذاك اليوم، واستشهد بعد يومين فقط على سحب غالب من نقطته الى نقطة أخرى.

«كنا نستمع الى أخبار تهد جبالاً أحياناً، وكنا نظل واقفين. هذه مسيرتنا وهذه حياتنا. ونحن نسند بعضنا بعضاً. وأخبارنا كانت أحياناً سعيدة جداً. **قبل أيام من بدء الحرب، دخل شابان إلى كمينهما في نقطة تحت السلك الشائك تقريباً في عيتا الشعب. كان خروجهما مع انطلاق الحرب خطراً. لاحقاً، صار من المؤكد أنهما لن يخرجا إلا شهيدين. كان طعامهما يكفي لخمسة أيام فقط. بعد أسبوع من نهاية الحرب، أُخرجا من النقطة. كانا نحيلين كخيطين، وفخورين بأنهما صمدا أكثر من شهر تحت الحدود، يقننان الماء والطعام حتى اللحظة الأخيرة، ويخرجان إلى نور الشمس، والى خبر الانتصار».**

الدبابة الأولى كانت فألاً سيئاً. واسرائيل استمرت في زجّ دباباتها في الحرب. تحترق اثنتان هنا. ثلاث هناك. ضربات متتالية حيث يجرّب جيشها حط رحال جنوده أو مدرعاته. في الايام الأخيرة، كانت أهداف إسرائيل قد تساقطت، الهدف تلو الآخر. لم يعد لديها ما تفعله. حينها راحت تردد كالمخبولة: **النهر.. النهر... النهر...**

الوصول الى نهر الليطاني بات بمثابة الإنجاز الأخير لهذه الحرب. ولم تكن الدولة تناور. الليطاني يبعد عنها سبعة كيلومترات فقط. لكن يداً لإسرائيلي لم تلمس ماءه، ولم تؤخذ صورة لدباباتها إلى جواره. فقد فتحت أبواب الجحيم على دباباتها عند سهل الخيام، ثم كرّت السبحة في وادي الحجير.

كان الجيش المعادي قد تخلى عن محاولاته دخول البلدات الكبرى بعد الذي واجهه حيث جرّب.

هكذا، لم يحاول مع بلدة الخيام مثلاً، مع أنها تقع على مرتفع يبلغ ٧٠٠ متر. الخيام، رأس الحربة الكاشف على جميع القرى المحيطة به، شرقاً تشرف على مزارع شبعا وإصبع الجليل والمستعمرات الإسرائيلية ومرتفعات الجولان وتؤمن الرؤية والرماية لكل هذه النقاط. وغرباً تشرف على مرجعيون وبرج الملوك والقليعة وقلعة الشقيف ومرتفعات النبطية. وجنوباً ترى الخيام قرية كفركلا ومستوطنة المطلة وكل ما يحيط بالاخيرة. وشمالاً تنظر الى ابل السقي ومداخل البقاع الغربي.

لم يحاول الجيش الإسرائيلي دخولها. لكنه لم يتعب من قصفها على امتداد الحرب. من ألف إلى ألفي قذيفة يومياً، وثمانمئة غارة على بيوتها وعلى محيط البلدة. «علاء» ورفاقه من مجموعات المقاومة في البلدة تناقلوا قول أحد الضباط الإسرائيليين إن الطيور لم تعد تطير في الخيام، أي أنها نفقت.

القصف العنيف قتل مقاوماً. البقية الباقية ظلت في نقاطها تنتظر. وحين يكون القصف على هذه الدرجة من الحدة، يختلف التعاطي معه الى درجة أن الصاروخ حين يسقط على بعد عشرة أمتار، يقول الواحد إن الغارة بعيدة، وهو يكاد لا يرى شيئاً في الغبار وقد صفعه الحصى.

استمروا في «حياتهم بشكل عادي» تحت ذلك الوابل من الجنون. لم يفقدوا أياً من المواد الأساسية. كانت الخيام قد فرغت من أهلها الذين وصّوا المقاومين ببيوتهم ومتاجرهم وأراضيهم: تأكلون من حيث شئتم. هكذا كان.

ومن ليس في كمينه، ولا عمل لديه، يجد ما يكفي من الوقت



دبابة إسرائيلية في عيتا الشعب



دبابة إسرائيلية مدمرة معروضة في معرض «بيت العنكبوت»

للجلوس مع كباية الشاي.. في الانتظار.

ظن الإسرائيليون أن الخيام خلت من الأحياء، إلى أن طلع عليهم فجر الخميس العاشر من آب.

طيلة الليالي الثلاث التي سبقت صار صوت الغارات متصلاً كدويّ واحد هائل. أما القصف المدفعي، فمطر غزير. في تلك الليالي أحرقت اسرائيل الخيام. وقال الضابط قوله عن الطير.

أسفل البلدة لجهة الجنوب، يمتد سهلا الميري والخيام، وهما معبران رئيسيان إلى المنطقة وصولاً الى النهر. كان الإسرائيليون قد حشدوا في مستوطنة المطلة ثلاث سرايا مدرعة بالإضافة الى سرية رابعة على سبيل الاحتياط عند أطراف المطلة. في ليل العاشر من آب، بدأ التحرك. سرية مشت من صوب كفركلا في الطريق الى مرجعيون، وسريتان نزلتا في سهل الخيام. بعد وقت قصير صار هدير الدبابات وصوت الرصاص مسموعاً لدى علاء ورفيقيه الكامنين في نقطة مشرفة من البلدة. **عند الفجر، كانت نحو خمسين دبابة تسير في صف منتظم، كصف النمل، في السهل. أتى أمر إطلاق النار.**

قرر أحد الشبان أن يستهدف دبابة تحيط بها دبابتان أخريان. شك في أن فيها ضابطاً كبيراً. انفجر الصاروخ في هدفه، وافتُتح المهرجان. الرامي يوزع نيرانه على الدبابات ورفيقاه يساعدانه. الدبابات انتشرت قتالياً في السهل وأدارت مدافعها عالياً وراحت تقصف. تدخّل الطيران أيضاً وأغار على محيط وجود المقاومين، لكنه لم يصبهم. في مثل تلك الدقائق، لا يعير المقاتل انتباهاً إلا إلى هدفه. والثلاثة استمروا يرمون. علاء أخذ «القبضة» من رفيقه واصطاد دبابة اختبأت خلف جذع شجرة. **حين أصابها ورأى النار تلتهمها، أحس بذاك الشعور الذي لا يمكن يوصف.** الثلاثة كانوا يكبرون ويهللون والدبابات أسفل نظرهم في جنون تام، تبعثرت تماماً كما يتبعثر صف نمل يلاعبه إصبع طفل صغير. سقطت واحدة في خندق ولم تعد قادرة على الخروج منه. البقية الباقية من الدبابات زمجرت تتخبط يميناً ويساراً هاربة صوب المطلة في قلب غطاء دخاني غطى السهل كله. بقيت الدبابة العالقة في مكانها، ومعها بقيت دبابة للحماية.

في اليوم الثاني قُصفت الدبابتان. **كانت الحصيلة تسع دبابات وثلاث جرافات. هي المعركة التي أطلق عليها اسم «يوم الميركافا». بعد يوم، وقعت مذبحة وادي الحجير التي جعلت إسرائيل تردد ثانية كالمخبولة: اللعنة على النهر. اللعنة على النهر. اللعنة...**

كانت الحرب قد انتهت.

في مكان آخر، في اليوم نفسه، كانت السرية التي صعدت من تل النحاس قد مرت في قريتي برج الملوك والقليعة وصولاً الى مرجعيون.

حين وصلت الدبابات الى ساحة مرجعيون، خرج مقاومون من كمائنهم وأحرقوا اثنتين. السرية التي كانت ماضية في طريقها صوب بلاط، توقفت في مرجعيون. ودخل الجنود خلف ضابطهم الى الثكنة حيث شربوا الشاي.

علاء ورفاقه أمضوا ليلة ضحكوا فيها حتى ارتووا. «أنا أصبت تلك الدبابة. لا. أنا الذي أصبتها...» خلال ذلك الوقت، كانت إسرائيل ترمي كل ما استطاعت من حمم على البلدة التي بلا طيور. أما علاء فكان يكافئ ذاته بنفس نرجيلة لن يتذوق أطيب منه في حياته.

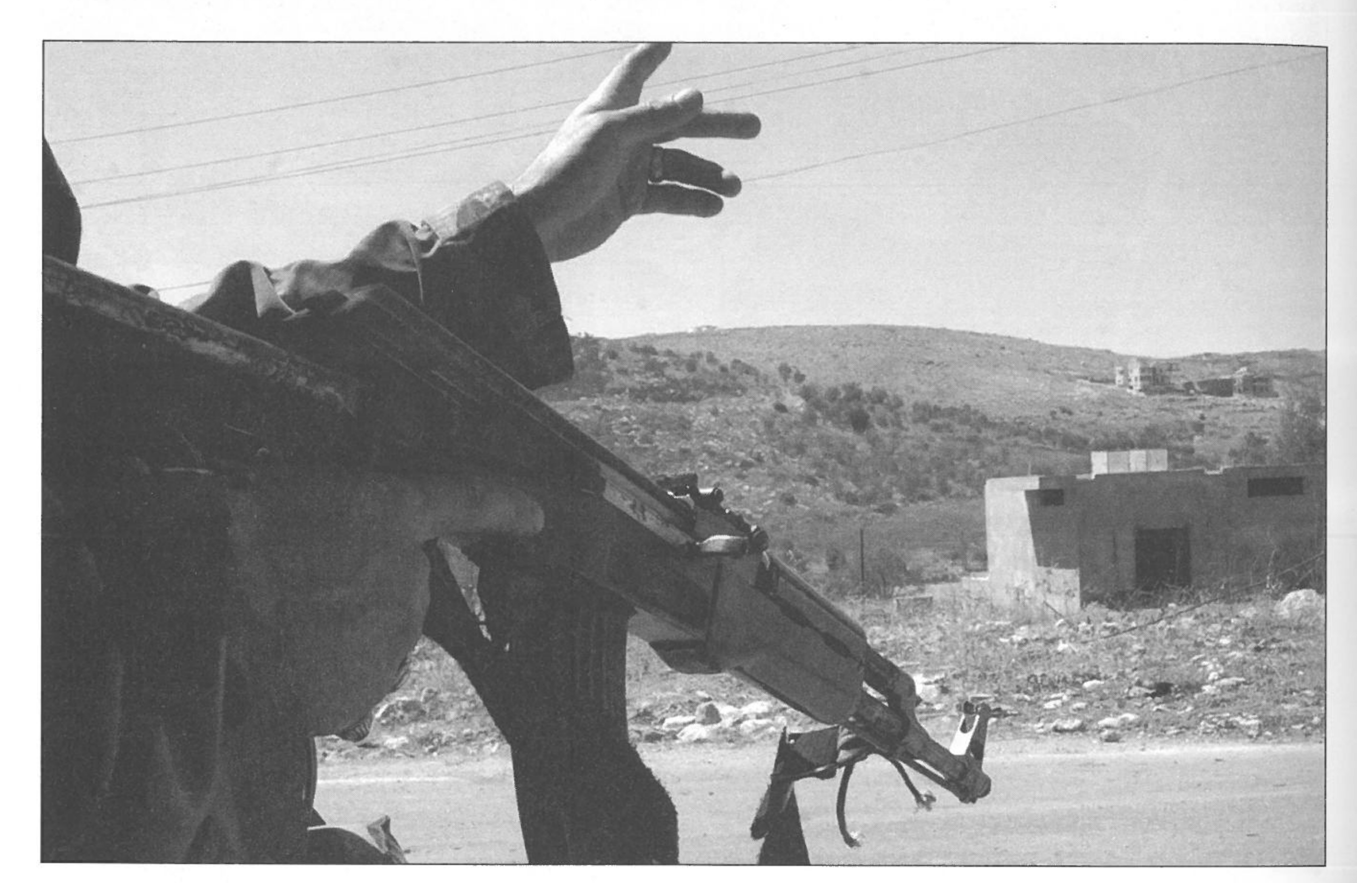
هل تكرر القول بأن اسرائيل قتلت الطيور في الخيام؟

حسناً. لدى علاء قصة مغايرة: في منتصف الحرب، ذهب ورفاقه لإرسال غرض الى وجهته. في طريق العودة، مروا بمحطة بنزين مقصوفة. كان في داخلها قفص ملقى على الأرض، وفي داخله طير الكناري ما زال حياً. جمع علاء بكفيه حبّ الطعام المبعثر على الأرض. أخذ الحب والقفص وعاد الى الخيام. أعطى الطير لمجموعة من المقاومين. اهتمت به. وفي المقابل، لم يتوقف طير الكناري طيلة أيام الحرب عن الغناء للمقاومين.

لم تنل إسرائيل من طيور الخيام.

(جهاد بزي، «السفير»، ٢٠٠٧/٨/١٤)

مواجهات الميدان برواية المقاومين أنفسهم



احد عناصر المقاومة الاسلامية في عيترون خلال الحرب الاسرائيلية على لبنان

لقد أربكت استراتيجية «حزب اللـه» إسرائيل، وأسقطت عقيدتها العسكرية، فهؤلاء المقاومون عاشوا ثلاثة وثلاثين يوماً على الجبهة الامامية يتناولون الشوكولا والكاجو ليتزودوا بالطاقة اللازمة، ومن نوى منهم الصيام ليوم واحد، وجد نفسه مستمراً فيه لليوم الثالث. لقد كان يمر الموت من أمامهم وهم يضحكون. لم يكونوا ينتظرون فقط تقدم العدو بل أحياناً كثيرة كانوا يفاجئونه بهجوم صاعق ومدمر؛ وهذا ما حصل مع قوات نخبة النخبة في «لواء غولاني»، حيث كانت المواجهات تدور على بعد عشرين متراً أو أقل.

وينقل المقاومون وقائع كثيرة جداً تدل على جُبن وارتباك الجيش الإسرائيلي، وبخاصة الاحتياط منه. فيروي **جواد**: أنه عندما كان يُصاب الجندي الإسرائيلي على أرض المعركة، تدب النخوة في أصدقائه الجنود فيسارعون إلى نجدته ونقله خارج المعركة؛ هروباً من من المقاومين، فكان يكفي أن يُصاب أي جندي بشكل طفيف حتى ينسحب أحياناً من دون سلاحه، وكثيراً من الأوقات من دون حذائه أيضاً. يتابع جواد: أما بالنسبة لنا فالأمر مغاير تماماً، فـ«مهدي» الذي أصيب على الجبهة بيده اليسرى تابع القتال بيد واحدة ثم اصيب بقدمه، وبقي هناك حتى استشهد. هذا مما حدث في عيتا الشعب.. ولكلٍ من هؤلاء المقاومين رواية لا تنسى..

أما مثلث بنت جبيل ـ مارون الراس ـ عيناتا، فإنه مثلث وقف عنده التاريخ، ولن يمضي بسهولة كما مضى منه الجنود الصهاينة مهرولين تاركين عويلهم يروي حكاية تلك اللحظات. **مارون الراس رفعت راس الامة بامتياز**، الملاحم فيها كانت تتكرر في كل ساعة، على أيدي مقاومين لا يتجاوز عديدهم عدد أصابع اليد الواحدة أحياناً، فكانت المعركة الشرسة التي أوقعت اثني عشر جندياً قتيلاً من وحدة في لواء غولاني. لقد اخترق المقاومون هذه الوحدة وشتّتوها إلى مجموعتين، بحيث اعتقدت أن كل واحدة منها تواجه مجموعة من المقاومين. نعم، في مارون الراس كانت لحظات الرعب التي ما زال حتى اليوم يرويها الجنود الصهاينة. ففي أحد كروم هذه القرية مثلاً، ردم الصهاينة قطعاً متناثرة لدبابة ميركافا مدمرة، مع بعض



أسلحة وأعتدة لجيش الاحتلال الإسرائيلي غنمها «حزب اللـه» خلال الاشتباكات عند المستعمرة الإسرائيلية أفيفيم ـ بلدة مارون الراس اللبنانية.

الذخائر، وأرض المعركة ما تزال تشهد على بقايا هزائمهم.

أما في **بنت جبيل**، فكانت «الأرض الملعونّة» كما سماها الصهاينة، حيث شهد فيها «جنود النخبة» ما لم تنجح سينما هوليوود في فبركته، حيث كانت دبابات الميركافا تسلية المقاومين، فالضربة الأولى كانت تأتي في مقدمة القافلة والثانية في نهايتها، أما ما بين المقدمة والنهاية كان صلب الموضوع بالفعل، بحيث كان يختار المقاوم الهدف الأول والثاني والثالث... في هذه المدينة المباركة.. في بنت جبيل عاصمة المقاومة والتحرير شهادات ميدان لمقاومين:

فهذا حسين وهو أحد أبطال المواجهات الملحمية المباشرة يقول: كان أحد ضباط العدو ينذرنا بالاستسلام عبر مكبرات للصوت، قائلاً «ما نريده منكم هو إلقاء السلاح والمشي أمامنا، لديكم ثلاث ساعات فقط وإلاّ سترون مشهداً لن تنسوه إذا بقيتم أحياء». وبالفعل بعد مرور الوقت الذي حدّده الضابط الصهيوني كانت الصواريخ تنهمر من كل حدب وصوب، وفي إحدى المرات استمر قصف الطائرات ثلاثة أيام متواصلة دون توقف. فالتصميم الإسرائيلي على إبادة المقاومة كان كبيراً جداً، إلاّ أن المفاجآت كانت دائماً حاضرة، وحاضرة جداً.

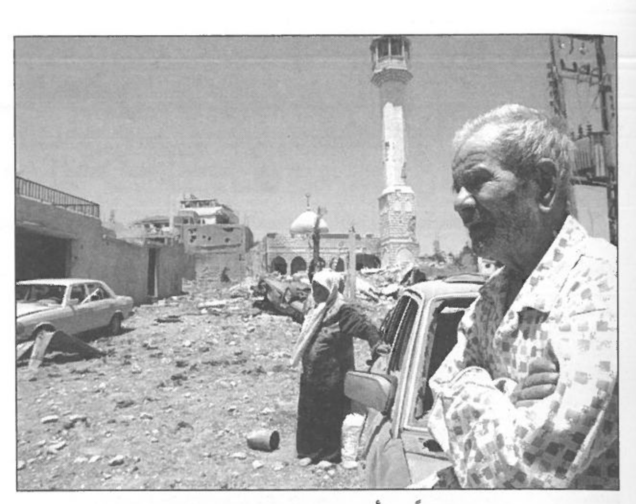
يتابع حسين: دارت المعركة وجهاً لوجه ومن بيت لآخر، وأحياناً داخل البيت الواحد من غرفة لغرفة، واستمرت سبع ساعات دون أي توقف، استشهد ثلاثة مقاومين، وقتل للصهاينة ستة عشر جندياً وجرح ما يربو على الخمسين، وما بقي من فلولهم فرّ منسحباً بالطوافات تحت غطاء جويّ كثيف من نيران طوافات أخرى.

كان هذا على تخوم **تلة مسعود**، التلة المشرفة على مدينة بنت جبيل. أما في مدرسة الإشراق الواقعة على مثلث بنت جبيل ـ عيناتا ـ صف الهوا، فكانت حكاية أخرى جرت أحداثها في ٢٧ يوليو/تموز ٢٠٠٦، يقول أبو أحمد: حاول الصهاينة أن يحتلوا مدرسة الإشراق عبر قوات الكوماندوس ولم يفلحوا. كنا متواجدين حولها تقدم العدو فاصطدمنا معه وجهاً لوجه. ففرت المجموعة المهاجمة متكبدة أكثر من عشرين إصابة بين قتيل وجريح. وبعد أربع ساعات حاول العدو التقدم عبر كرم زيتون مجاور، لكن رجال اللـه كانوا بانتظاره.

وهنا وقعت ملحمة أخرى من ملاحم العزّ، وخلاصتها في الرعب قد سيطر على الجنود الصهاينة، حتى اعتقدوا أننا منهم، وبدأوا ينادون علينا من خلف أشجار الزيتون «إيغوز إيغوز» لانهم تفاجأوا بثباتنا في المنطقة بعد انتهاء المعركة الأولى.

ودارت معركة شرسة من الساعة الثالثة فجراً إلى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، أسفرت عن قتل تسعة جنود صهاينة وجرح أكثر من ثلاثين، والعتاد الذي غنمه المقاومون شاهد على فداحة خسائرهم.

وعلى أطراف **بنت جبيل** قصة ميدان من نوع آخر ستخلد التاريخ التي وقعت فيه، وخلاصتها: **مصطفى**، الذي خرج من منزله للصهاينة وحيداً فريداً، واشتبك معهم لست ساعات متتالية، ساعة يرمي برشاشه وأخرى بقذائفه الصاروخية، وعندما يقترب منه العدو، كان يلقي عليهم القنابل اليدوية.. هذا المجاهد مصطفى كان سرية عسكرية بما تعنيه الكلمة؛ فقد قتل لوحده اثني عشر صهيونياً. بعد أن هدأت المعركة قليلاً أخذ مصطفى نفساً عميقاً ليلاحظ في الأثناء أن بعض عناصر العدو قد اختبأوا وراء حائط، فتتبعهم واشتبك معهم، وحيداً أيضاً، إلا أنه أصيب إصابة مباشرة، فزحف لشجرة تين مجاورة، واتخذ منها ساتراً، وعاود هجومه من جديد، وعلى جزع شجرة التين



محمد حسين بزي مذهولاً بما أحدثه العدوان في بنت جبيل



مسن وزوجته ينزحان سيراً على الأقدام من عيترون

لفظ مصطفى أخر أنفاسه، وقضى شهيداً، وحيداً كما أراد.

مصطفى هذا، كان قبل أسبوع من استشهاده قد أصاب طائرة أباتشي في سماء بنت جبيل، لتسقط الطائرة في فلسطين المحتلة، ويعترف العدو بذلك.

وفي السادس عشر من رجب، قصة ميدان لشهيد حيّ، حيث كان مجاهدان من المقاومة الإسلامية في أحد المنازل على تخوم بنت جبيل، وقد بدأت القذائف تنهال على المنزل، ما استدعى انسحابهما إلى منزل آخر.

وما أن دخلا حتى سقطت قذيفة على سلالم المنزل؛ فاستشهد أحدهما وجرح الآخر. انسحب المقاوم الجريح وبدأت دبابة الميركافا تلاحقه بالقذائف..تصوروا قذائف الميركافا تطارد شخصاً واحداً! عندها احتمى المقاوم بحائط شبه مهدوم، فقام الطيران الصهيوني بثلاث غارات وهمية، حتى يبرز من مكانه، لكنه بقي خلف الحائط ينزف، وبعد أن سنحت له فرصة انسحب إلى قبو مجاور وبقي هناك لمدة ثلاثة أيام دون طعام وشراب. وبالمصادفة جاء أحد المقاومين ليجده على آخر رمق، فسحبه إلى مكان آمن، وبعدها عاش شاهداً على هذه المقاومة وذلك العدوان.

هذا نذرٌ قليلٌ من ملاحم الميدان، وفي منطقة واحدة فقط، أما لو أردنا التحدث عما جرى في بلدة **الخيام** مثلاً، أو **مركبا والعديسة والناقورة** وكل قرى المواجهة؛ ومجزرة دبابات الميركافا في **وادي السلوقي**، فإننا قد نحتاج لمجلدات ومجلدات، وأقول لكم بصدق وشفافية أن الذي جرى في محاور المواجهات مع العدو لا يقل أهميةً وصخباً وثباتاً عن الذي بينتَه في ما تقدم.

اليوم ها هم رجال اللـه.. عاد بعضهم إلى حياته المدنية الطبيعية. فالمقاومون هم أطباء، ومهندسون، وجامعيون، وطلاب معاهد رسم وتكنولوجيا وموسيقى، والكثير ممن استشهدوا حائزون على شهادات عالية. فمنهم من كان يحمل الدكتوراه، ومنهم من يحمل إجازة في الصيدلة، ومنهم المحامي، ومنهم الفلاح، والكادح إلى ربه كدحاً، وكلهم في المقاومة كانوا سواء.

المقاومة ليست مجرد مقاومة عسكرية، إن اليد التي كانت تضغط على الزناد هي يد الإيمان والثقافة والعمل والكرامة والشرف والإباء والعزّة. هي يد الوعد الصادق في وجه كل من يحاول تدنيس الارض، وتدمير الحضارة ومصادرة الفكر، وتغيير المعالم... والقيم.

إننا نعيش اليوم على إصرار النهوض، وبناء الحجر، نحن نعيش اليوم الأفراح التي تقام في منزل الشهيد، حيث نقدم الحلوى الى عروسه التي لم تزف إليه. نحن نعيش اليوم في انتظار مولود لم يكتب له مشاهدة والده البطل. نعيش اليوم وسط طفل يرسم ملامح أب يستريح بين أزهار الجنّة، وبكاء متواضع لأم تفتخر بعشق فلّذة كبدها للشهادة... وكلنا ننتظر!

نعم لقد تحققت المفاجآت وتمخض النصر، من رحم الإيمان والعزيمة، لكن الأعداء ما زالوا يتربصون بلبنان والمنطقة، فالأميركيون لن يقبلوا بهذه الهزيمة، والإسرائيليون يدرسون حلولاً للصواريخ المضادة للدبابات وللكاتيوشا ولتحركات المقاومة الميدانية، وليس هناك أوضح مما قاله أولمرت: «يجب أن نضمن أن الأمور ستكون في المرة القادمة أفضل بكثير!»

ونرد عليه بقول ربنا القدير:

(بسم اللـه الرحمن الرحيم
(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنّم للكافرين حصيرا)

سيداتي... سادتي... ألا تعتقدون معي أنه يجب علينا التوقف أمام واقع عايشناه جميعاً ولامسناه زماناً ومكاناً، ألا وهو: أن هذه المقاومة ومنذ انطلاقتها في العام ١٩٨٢ لم تهزم في أي معركة مع العدو، لم تهزم قط؛وإلى الآن، من حقنا أن نتأمل؛ وقد يكون من واجبنا أيضاً.

(محمد حسين بزي، «موقع بنت جبيل»، ١١/ ١/ ٢٠٠٧)

معركة وادي الحجير
أو «الحرب الكبرى داخل الحرب الكبرى»

قلَبَ وادي الحجير السحر على الساحر.. وتحولت المعركة التي ظن الإسرائيلي أنها ستحقق له إنجازاً معنوياً يعوض عبره عجزه وإخفاق عدوانه في القضاء على المقاومة إلى رمز لانكساره. لم يسعفه قرار التقدم البري عبر الحجير في الساعات الستين الأخيرة للحرب، في تحقيق حلمه وهدفه بالوصول إلى نهر الليطاني، بل ألحق به المقاومون هزيمة صعبة لن تنساها أجيال المحتلين في السنوات القليلة المقبلة.

بعد عدوان تموز ٢٠٠٦ لم يعد وادي الحجير ما كان عليه قبله. فتحت المنطقة بوابة التاريخ وتربعت بين ملاحمه. يرويها الجندي الإسرائيلي المهزوم ليؤكد إخفاق قياداته، ويذكرها المقاوم وأهله والصامدون ليثبتوا للعالم أنه يمكن للعين أن تقاوم المخرز وان أسطورة الجيش الذي لا يقهر مجرد وهم مغلف بالعتاد والعديد. أسطورة فضحتها شهادة أحد الضباط الإسرائيليين وهو يروي كيف **«بلع جندي لسانه وتوقف قلبه» نتيجة الخوف بعدما زنرهم رجال المقاومة «ب٢٧٠ درجة من النيران».**

اليوم بعد عام على العدوان، يحلو لبعض أهالي قرى الغندورية وفرون الواقعة ما بين وادي الحجير ونهر الليطاني أن يفاخروا ببعض مقتنياتهم الحديدية. لن تفهم مغزى «تحفهم» تلك إلى أن تراها: قطع من جنازير دبابات «ميركافا ٤» التي مزقّها المقاومون إرباً في ما أسماه الإسرائيليون «مجزرة وادي الحجير».

هناك، في الوادي الذي تحول إلى مقبرة للميركافا وطواقمها وللواء «ناحال» للمشاة وعناصر الفرقة ١٦٢ وغيرهم من جنود النخبة، ترك الغزاة بقايا آلياتهم وخرج الجنوبيون صبيحة الرابع عشر من آب يلملمونها بفخر وعزة. هي تلك «الحرب الكبرى ضمن الحرب الكبرى» كما أطلق عليها أحد الجنود الغزاة في شهادة نشرتها صحيفة هآرتس.

في معركة وادي الحجير اعترف الغزاة بمقتل ٣٣ جندياً بينهم ضباط وقادة سرايا وفرق ومدرعات وبوقوع مئات الجرحى والمصابين.. وبتدمير ما يقارب خمسين دبابة ميركافا عدا عن الجرافات العسكرية «د ٩».

ومع نتائج معركة وادي الحجير أمكن لقائد الفرقة ١٦٢ في الجيش الإسرائيلي العميد غاي تسور أن ينام قرير العين. كان الرجل قد نصح، في نقاش «مهني» قائد المنطقة الشمالية أودي

وانقلب السحر على الساحر

آدم بعدم سلوك طريق الوادي والاستعاضة عنه بطريق التفافية، ولكن القرار كان قد اتخذ. آلت معركة الحجير إلى هزيمة قاسية ودفع آدم ثمن الإخفاق: استقالته من مهمته القيادية.

وفي خضم العدوان وقلب معركة وادي الحجير وإنزال الجنود الإسرائيليين في الغندورية وفرون على أشده والمخاطر تحيط بمن بقي من الاهالي في منازلهم وأراضيهم، جاء صراخ الجنود الإسرائيليين العالقين في جحيم وادي الحجير ليبرّد قلوب سكان الغندورية، كما يقول الحاج أبو إبراهيم الذي لم يرغب بترك بلدته: **«مع صراخ العدو واستغاثات جنوده التي وصلت منازلنا عرفنا أن المقاومين مسيطرون على الإسرائيلي وأن الإنزال شدة وبتمرق».**

ليست معركة وادي الحجير هي تلك التي شهدها الوادي الذي ينحدر من الطيبة بعد رب تلاتين ثم يعود ويرتفع نحو الغندورية بنحو مئة متر من حيث الارتفاع فقط. تمتد منطقة معركة وادي الحجير التي تعرف بـ«محور التقدم الواحد والضروري بالمعنى العسكري» من بلدة عديسة على الحدود مع الجليل الفلسطيني

المحتل والمقابل لسهل رب تلاتين المفتوح على هونين المحتلة مروراً ببلدة الطيبة فالقنطرة وعدشيت القصير ووادي البراك وصولاً إلى الحجير ثم صعوداً نحو الغندورية وفرون. وعليه لا تقتصر معركة وادي الحجير على تلك المواجهات التي حصلت في قلب الوادي، بل تبدأ من كمين تلة العويضة في عديسة ومواجهات مدخل رب تلاتين وسهلها وكمين مشروع الطيبة يليه كمين القنطرة ومواجهات عدشيت القصير ووادي البراك وانتهاء بوادي الحجير ثم الصعود نحو الغندورية وفرون لملاقاة جنود الإنزال الإسرائيلي في تينك البلدتين. جاء إنزال الغندورية الذي أفرغ ١٢٠٠ جندي إسرائيلي في الطويري، في صلب وأساس معركة وادي الحجير كخطوة اعتقدها الإسرائيلي ضرورية لإنهاء مقاومة «حزب الله» في طريق تقدمه نحو نهر الليطاني.

في ما يلي تفاصيل المعركة كما يرويها قائد المنطقة في المقاومة **الحاج جهاد لـ«السفير»**، مع تقديم جغرافي للمنطقة وأهميتها في الحرب:

يقع **وادي الحجير** في القطاع الأوسط في جنوبي لبنان وتضم منطقته قرى الطيبة، عدشيت القصير، دير سريان والقنطرة للجهة الشرقية للوادي. وتتصل من الغرب بقريتي فرون والغندورية ويحدها من الشمال نهر الليطاني بمسافة ٢ كيلومتر، فيما تتربع عديسة ورب تلاتين على حدها الجنوبي مع الجليل الفلسطيني المحتل. تسمى هذه القرى بالتعبير العسكري بـ«محور التقدم الواحد»، فمن يسيطر على وادي الحجير عليه أن يمسك بهذه القرى وتلالها مجتمعة. ولوادي الحجير أهمية استراتيجية في الصراع مع إسرائيل نظراً لقربه من الليطاني، فهو المنطقة الثانية الاقرب للحدود مع فلسطين المحتلة، وفي منطقته المحيطة مرتفعات استراتيجية عدة منها تلة العويضة في عديسة وتلة العقبة في رب تلاتين ومرتفع مشروع المياه في الطيبة وجبل الوردة في مركبا. تشكل هذه التلال هدفاً مباشراً للإسرائيليين الذين يسعون لاحتلالها ظناً منهم أنهم سيتمكنون من السيطرة على مسار وادي الحجير وبالتالي تأمين تقدمهم. وللمنطقة التي تقع قراها في قضاء مرجعيون أهمية أخرى كونها خط الحد بين قضاء بنت جبيل وعلى تخوم قضاء صور لناحية الغندورية.

ومن الناحية العسكرية اللوجيستية فقد كانت المقاومة «بجهوزية تامة تحسباً لأي طارئ قد يجرؤ عليه الإسرائيلي»، شأنها في ذلك شأن المناطق الأخرى، كما يروي الحاج جهاد، وهو القائد الميداني لمجموعات المقاومة في «حزب الله» في منطقة وادي الحجير .

مع تنفيذ عملية الأسر في ١٢ تموز ٢٠٠٦، رفع المقاومون من مستوى جهوزيتهم «ضمن تخطيط دفاعي مسبق عن القرى والجنوب». انطلقت شرارة معركة وادي الحجير في اليوم السادس عشر للعدوان. بدأ الإسرائيلي بالتسلل ليلاً عن طريق عديسة، وقبل التسلل عمد إلى ما يعرف عسكرياً بالنار التمهيدية التي يقصف عبرها القرى. يومها كانت بلدة الطيبة هدفه في طريقه إلى وادي الحجير. وللوصول إلى الطيبة كان أمام الإسرائيلي خطان: عبر رب تلاتين أو من خارج عديسة وصولا إلى الطيبة من جهة، أو إلى رب تلاتين عبر مركبا أو هونين المحتلة (وهي من القرى السبع)، ومنها إلى الطيبة. عمد الإسرائيليون إلى تسيير الخطين: الاول عبر كفركلا وصولاً إلى تلة العويضة في عديسة لتغطية وتأمين محور التقدم الرئيسي (وهو الخط الثاني) الذي بدأ من هونين المحتلة مروراً بالطريق الفاصلة ما بين رب تلاتين وبين عديسة باتجاه الطيبة. وبدأ الإسرائيليون بمحور التغطية قبل المحور الرئيسي. فيما كانت النار التمهيدية تلهب خراج عديسة وتلة العويضة، انتظر المقاومون في تحصيناتهم في تلة العويضة. مشط الإسرائيليون التلة ومحيطها ومسار رتلهم العسكري واستأنفوا الخط الأول: «محور التغطية» ظناً منهم أنهم «نظفوا» المنطقة.

في العويضة خرج المقاومون وضربوا «رأس السهم»، أي مقدمة الرتل العسكري المتقدم. دمروا دبابتي ميركافا ٤ وعطلوا تقدم الرتل وبالتالي وضعوه تحت نيرانهم. ومع النيران والمواجهات المباشرة، فتح المقاومون أسلحة القصف المنحني وهو عبارة عن رمايات مدفعية بالإضافة إلى النيران المباشرة.

تألفت مجموعة مقاومي تلة العويضة من عدة مقاومين في مواجهة أربع دبابات «ميركافا ٤» وجرافتي «د ٩» العسكريتين وآليتي «هامر»، وكلها آليات مصفحة ومخصصة للدخول إلى لبنان.

لدى توقف الرتل المستهدف في تلة العويضة، علق جزء منه ما بين كفركلا وعديسة. ومن موقعها البعيد عن المكان، استهدفت مجموعات في المقاومة الرتل وقامت بتدمير أربع دبابات ميركافا ٤ بصواريخ «كورنيت» التي استعملت في هذه الواقعة للمرة الأولى في مقاومة العدوان. وفي العويضة، أكمل المقاومون مهمتهم وواجهوا الإسرائيليين العالقين فيها بالأسلحة المباشرة من رشاشات قريبة وأسلحة منحنية (هاون) وغيرها.

كان كمين تلة العويضة كميناً محكماً لم يتوقعه الإسرائيلي الذي كان مهد بالنار لتقدمه ممشطاً التلة شبراً بشبر ومحيط مسلكه بقطر لا يقل عن كيلومتر، وقامت مقاتلاته بتدمير جزء كبير من المنازل المشرفة على المنطقة فيما احتلت ثلاث طائرات استطلاعية قبة السماء ولكنها بقيت عاجزة عن كشف المقاومين الكامنين.

اعترف الإسرائيليون بحصيلة مواجهات العويضة التي وقعت عند الرابعة من بعد ظهر اليوم السابع عشر للعدوان باثنتي عشرة إصابة ما بين قتيل وجريح، واعتبرت تلك المعركة مجرد بداية لمجزرة وادي الحجير.

و«بحمد الله لم يسقط حتى جريح واحد للمقاومة في

معركة وادي الحجير
أو «الحرب الكبرى داخل الحرب الكبرى»

قلَبَ وادي الحجير السحر على الساحر.. وتحولت المعركة التي ظن الإسرائيلي أنها ستحقق له إنجازاً معنوياً يعوض عبره عجزه وإخفاق عدوانه في القضاء على المقاومة إلى رمز لانكساره. لم يسعفه قرار التقدم البري عبر الحجير في الساعات الستين الأخيرة للحرب، في تحقيق حلمه وهدفه بالوصول إلى نهر الليطاني، بل ألحق به المقاومون هزيمة صعبة لن تنساها أجيال المحتلين في السنوات القليلة المقبلة.

بعد عدوان تموز ٢٠٠٦ لم يعد وادي الحجير ما كان عليه قبله. فتحت المنطقة بوابة التاريخ وتربعت بين ملاحمه. يرويها الجندي الإسرائيلي المهزوم ليؤكد إخفاق قياداته، ويذكرها المقاوم وأهله والصامدون ليثبتوا للعالم أنه يمكن للعين أن تقاوم المخرز وان أسطورة الجيش الذي لا يقهر مجرد وهم مغلف بالعتاد والعديد. أسطورة فضحتها شهادة أحد الضباط الإسرائيليين وهو يروي كيف **«بلع جندي لسانه وتوقف قلبه» نتيجة الخوف بعدما زنرهم رجال المقاومة «ب٢٧٠ درجة من النيران».**

اليوم بعد عام على العدوان، يحلو لبعض أهالي قرى الغندورية وفرون الواقعة ما بين وادي الحجير ونهر الليطاني أن يفاخروا ببعض مقتنياتهم الحديدية. لن تفهم مغزى «تحفهم» تلك إلى أن تراها: قطع من جنازير دبابات «ميركافا ٤» التي مزقّها المقاومون إرباً في ما أسماه الإسرائيليون «مجزرة وادي الحجير».

هناك، في الوادي الذي تحول إلى مقبرة للميركافا وطواقمها وللواء «ناحال» للمشاة وعناصر الفرقة ١٦٢ وغيرهم من جنود النخبة، ترك الغزاة بقايا آلياتهم وخرج الجنوبيون صبيحة الرابع عشر من آب يلملمونها بفخر وعزة. هي تلك «الحرب الكبرى ضمن الحرب الكبرى» كما أطلق عليها أحد الجنود الغزاة في شهادة نشرتها صحيفة **هآرتس**.

في معركة وادي الحجير اعترف الغزاة بمقتل ٣٣ جندياً بينهم ضباط وقادة سرايا وفرق ومدرعات وبوقوع مئات الجرحى والمصابين.. وبتدمير ما يقارب خمسين دبابة ميركافا عدا عن الجرافات العسكرية «د ٩».

ومع نتائج معركة وادي الحجير أمكن لقائد الفرقة ١٦٢ في الجيش الإسرائيلي العميد غاي تسور أن ينام قرير العين. كان الرجل قد نصح، في نقاش «مهني» قائد المنطقة الشمالية أودي آدم بعدم سلوك طريق الوادي والاستعاضة عنه بطريق التفافية، ولكن القرار كان قد اتخذ. آلت معركة الحجير إلى هزيمة قاسية ودفع آدم ثمن الإخفاق: استقالته من مهمته القيادية.

وانقلب السحر على الساحر

وفي خضم العدوان وقلب معركة وادي الحجير وإنزال الجنود الإسرائيليين في الغندورية وفرون على أشده والمخاطر تحيط بمن بقي من الاهالي في منازلهم وأراضيهم، جاء صراخ الجنود الإسرائيليين العالقين في جحيم وادي الحجير ليبرّد قلوب سكان الغندورية، كما يقول الحاج أبو إبراهيم الذي لم يرغب بترك بلدته: «**مع صراخ العدو واستغاثات جنوده التي وصلت منازلنا عرفنا أن المقاومين مسيطرون على الإسرائيلي وأن الإنزال شدة وبتمرق**».

ليست معركة وادي الحجير هي تلك التي شهدها الوادي الذي ينحدر من الطيبة بعد رب تلاتين ثم يعود ويرتفع نحو الغندورية بنحو مئة متر من حيث الارتفاع فقط. تمتد منطقة معركة وادي الحجير التي تعرف بـ«محور التقدم الواحد والضروري بالمعنى العسكري» من بلدة عديسة على الحدود مع الجليل الفلسطيني المحتل والمقابل لسهل رب تلاتين المفتوح على هونين المحتلة مروراً ببلدة الطيبة فالقنطرة وعدشيت القصير ووادي البراك وصولاً إلى الحجير ثم صعوداً نحو الغندورية وفرون. وعليه لا تقتصر معركة وادي الحجير على تلك المواجهات التي حصلت في قلب الوادي، بل تبدأ من كمين تلة العويضة في عديسة ومواجهات مدخل رب تلاتين وسهلها وكمين مشروع الطيبة يليه كمين القنطرة ومواجهات عدشيت القصير ووادي البراك وانتهاء بوادي الحجير ثم الصعود نحو الغندورية وفرون لملاقاة جنود الإنزال الإسرائيلي في تينك البلدتين. جاء إنزال الغندورية الذي أفرغ ١٢٠٠ جندي إسرائيلي في الطويري، في صلب وأساس معركة وادي الحجير كخطوة اعتقدها الإسرائيلي ضرورية لإنهاء مقاومة «حزب الله» في طريق تقدمه نحو نهر الليطاني.

في ما يلي تفاصيل المعركة كما يرويها قائد المنطقة في المقاومة **الحاج جهاد لـ«السفير»**، مع تقديم جغرافي للمنطقة وأهميتها في الحرب:

يقع **وادي الحجير** في القطاع الأوسط في جنوبي لبنان وتضم منطقته قرى الطيبة، عدشيت القصير، دير سريان والقنطرة للجهة الشرقية للوادي. وتتصل من الغرب بقريتي فرون والغندورية ويحدها من الشمال نهر الليطاني بمسافة ٢ كيلومتر، فيما تتربع عديسة ورب تلاتين على حدها الجنوبي مع الجليل الفلسطيني المحتل. تسمى هذه القرى بالتعبير العسكري بـ«محور التقدم الواحد»، فمن يسيطر على وادي الحجير عليه أن يمسك بهذه القرى وتلالها مجتمعة. ولوادي الحجير اهمية استراتيجية في الصراع مع إسرائيل نظراً لقربه من الليطاني، فهو المنطقة الثانية الاقرب للحدود مع فلسطين المحتلة، وفي منطقته المحيطة مرتفعات استراتيجية عدة منها تلة العويضة في عديسة وتلة العقبة في رب تلاتين ومرتفع مشروع المياه في الطيبة وجبل الوردة في مركبا. تشكل هذه التلال هدفاً مباشراً للإسرائيليين الذين يسعون لاحتلالها ظناً منهم أنهم سيتمكنون من السيطرة على مسار وادي الحجير وبالتالي تأمين تقدمهم. وللمنطقة التي تقع قراها في قضاء مرجعيون أهمية أخرى كونها خط الحد بين قضاء بنت جبيل وعلى تخوم قضاء صور لناحية الغندورية.

ومن الناحية العسكرية اللوجيستية فقد كانت المقاومة «بجهوزية تامة تحسباً لأي طارئ قد يجرؤ عليه الإسرائيلي»، شأنها في ذلك شأن المناطق الاخرى، كما يروي الحاج جهاد، وهو القائد الميداني لمجموعات المقاومة في «حزب الله» في منطقة وادي الحجير .

مع تنفيذ عملية الأسر في ١٢ تموز ٢٠٠٦، رفع المقاومون من مستوى جهوزيتهم «ضمن تخطيط دفاعي مسبق عن القرى والجنوب». انطلقت شرارة معركة وادي الحجير في اليوم السادس عشر للعدوان. بدأ الإسرائيلي بالتسلل ليلاً عن طريق عديسة، وقبل التسلل عمد إلى ما يعرف عسكرياً بالنار التمهيدية التي يقصف عبرها القرى. يومها كانت بلدة الطيبة هدفه في طريقه إلى وادي الحجير. وللوصول إلى الطيبة كان أمام الإسرائيلي خطان: عبر رب تلاتين أو من خارج عديسة وصولاً إلى الطيبة من جهة، أو إلى رب تلاتين عبر مركبا أو هونين المحتلة (وهي من القرى السبع)، ومنها إلى الطيبة. عمد الإسرائيليون إلى تسيير الخطين: الاول عبر كفركلا وصولاً إلى تلة العويضة في عديسة لتغطية وتأمين محور التقدم الرئيسي (وهو الخط الثاني) الذي بدأ من هونين المحتلة مروراً بالطريق الفاصلة ما بين رب تلاتين وبين عديسة باتجاه الطيبة. وبدأ الإسرائيليون بمحور التغطية قبل المحور الرئيسي. فيما كانت النار التمهيدية تلهب خراج عديسة وتلة العويضة، انتظر المقاومون في تحصيناتهم في تلة العويضة. مشط الإسرائيليون التلة ومحيطها ومسار رتلهم العسكري واستأنفوا الخط الأول: «محور التغطية» ظناً منهم أنهم «نظفوا» المنطقة.

في العويضة خرج المقاومون وضربوا «رأس السهم»، أي مقدمة الرتل العسكري المتقدم. دمروا دبابتي ميركافا ٤ وعطلوا تقدم الرتل وبالتالي وضعوه تحت نيرانهم. ومع النيران والمواجهات المباشرة، فتح المقاومون أسلحة القصف المنحني وهو عبارة عن رمايات مدفعية بالإضافة إلى النيران المباشرة.

تآلفت مجموعة مقاومي تلة العويضة من عدة مقاومين في مواجهة أربع دبابات «ميركافا ٤» وجرافتي «د ٩» العسكريتين وآليتي «هامر»، وكلها آليات مصفحة ومخصصة للدخول إلى لبنان.

لدى توقف الرتل المستهدف في تلة العويضة، علق جزء منه ما بين كفركلا وعديسة. ومن موقعها البعيد عن المكان، استهدفت مجموعات في المقاومة الرتل وقامت بتدمير أربع دبابات ميركافا ٤ بصواريخ «كورنيت» التي استعملت في هذه الواقعة للمرة الأولى في مقاومة العدوان. وفي العويضة، أكمل المقاومون مهمتهم وواجهوا الإسرائيليين العالقين فيها بالأسلحة المباشرة من رشاشات قريبة وأسلحة منحنية (هاون) وغيرها.

كان كمين تلة العويضة كميناً محكماً لم يتوقعه الإسرائيلي الذي كان مهد بالنار لتقدمه ممشطاً التلة شبراً بشبر ومحيط مسلكه بقطر لا يقل عن كيلومتر، وقامت مقاتلاته بتدمير جزء كبير من المنازل المشرفة على المنطقة فيما احتلت ثلاث طائرات استطلاعية قبة السماء ولكنها بقيت عاجزة عن كشف المقاومين الكامنين.

اعترف الإسرائيليون بحصيلة مواجهات العويضة التي وقعت عند الرابعة من بعد ظهر اليوم السابع عشر للعدوان باثنتي عشرة إصابة ما بين قتيل وجريح، واعتبرت تلك المعركة مجرد بداية لمجزرة وادي الحجير.

و«بحمد الله لم يسقط حتى جريح واحد للمقاومة في

العويضة»، بل عمد عناصرها منفذو الكمين بعد الانتهاء من مهمتهم إلى التمركز في مواقع مختلفة تمكنهم من مساندة إخوانهم في قلب عديسة وفي مناطق أخرى.

وفيما كانت مواجهات العويضة دائرة، كانت مجموعة استخباراتية قد سبقت الرتل العسكري إلى مشروع الطيبة للكشف على المنطقة. ومع وصول عناصرها إلى مشروع الطيبة، قام رجال المقاومة بمهاجمتهم، فبمجرد تمركز رجال الاستخبارات في ثلاثة منازل في الطيبة، انقض المقاومون عليهم وأوقعوهم بين قتيل وجريح. بعد تأخير قواته وإعاقة تقدمه لمدة ٣٦ ساعة إثر كمين العويضة، استأنف الجيش الإسرائيلي محاولة تقدمه على خطي عديسة ومحور هونين رب ثلاثين وسط نيران مقاومة كثيفة من كل الجهات وتسجيل تدخل مروحي وإسعافي متكرر لسحب الإصابات في مرات عدة. كان واضحاً أن الإسرائيليين يريدون الوصول إلى الليطاني بأي ثمن لحسابات داخلية.

مع التقاء الرتلين العسكريين (محور التقدم الأساسي ومحور التغطية) في سهل رب ثلاثين، اعتبر الإسرائيلي أنه أصبح في مأمن من النيران المقاومة في تقدمه نحو الطيبة فوادي الحجير وصولاً إلى الليطاني، هدفه الأساسي. وبعكس اعتقاد الإسرائيلي، كان وصول الرتلين العسكريين إلى سهل رب ثلاثين تكتيكاً عسكرياً ولوجيستياً بالنسبة للمقاومين الذين كانوا يسيطرون على الموقع بطريقة تضع الآليات الإسرائيلية وجنودهم تحت مرمى النيران المقاومة. ولكن، وقبل الحديث عن ملحمة المقاومين، لا بد من توضيح حجم القوات الإسرائيلية التي كانت موجودة على الأرض: كان هناك فرقة مؤللة من اللواء المدرع الثاني ٤٠١ ولواء المشاة الخاص ناحال ولواء المشاة الأول بالإضافة إلى كتيبة غولاني وكتيبة المظليين وكتيبة أخرى من جفعاتي وكتيبة هندسة وكتيبة استخبارات وكلها كانت في هذا الموقع من القطاع الأوسط **وقد قاتلت في مركبا وحولا وبليدا ومحيبيب وميس الجبل مروراً بعديسة ورب ثلاثين والطيبة فالقنطرة وصولاً إلى وادي الحجير.** وتعرف هذه المجموعة بـ«الفرقة ١٦٢ الفولاذية».

أما المقاومون الذين كانوا يسيطرون على موقع هذه الفرقة مع آلياتها وجنودها، فقد قاموا بضرب دبابتي ميركافا ٤ بأسلحة آلية ورشاشة وبالصواريخ، ولم يستعملوا صواريخ كورنيت نظراً لقرب مسافة المواجهة.

وفتحت مجموعات مقاومة أخرى اشتباكاً ثانياً عند مدخل بلدة رب ثلاثين لمنع الغزاة من دخول البلدة. وكان محورا التقدم (التغطية والرئيسي) قد اتحدا.

وفي تفاصيل مواجهة رب ثلاثين أن المقاومين استدرجوا الغزاة إلى كمين عند مدخل القرية، وبالتحديد إلى نقطة جعلتهم تحت مرمى النيران المقاومة من كل الجهات، وحصلت

جنود إسرائيليون يساعدون جندياً أصيب خلال مواجهة مع المقاومة الإسلامية في بنت جبيل

مواجهات بين حوالى ١٥ مقاوماً وبين الجنود الإسرائيليين، من دون تحصينات وبين المنازل. وكان لافتاً بالنسبة للمقاومين تفوقهم العالي في المواجهات المباشرة إلى أن تمكنوا من طرد الغزاة خارج البلدة. ولاحظ المقاومون أن عناصر لواء المشاة كانوا ينسحبون عند أول اشتباك مباشر ويتقهقرون إلى الخلف. عجز الطيران المروحي عن التدخل مباشرة في مواجهات رب ثلاثين لأن اضطراره للتحليق على علو منخفض يضعه تحت مرمى النيران المقاومة التي كانت مزودة بصواريخ تطال المروحيات. وتسبب الكمين بإرباك تدخل على أثره الطيران الحربي (غير المروحي) وقام بقصف منزل كانت قوة إسرائيلية قد تحصنت داخله، فقتل ثمانية جنود وجرح أربعة آخرون.

وأسفرت المواجهة عن استشهاد المقاوم يامن سويدان، وهو شاب لم ينه عامه الثلاثين.

بعد مواجهة رب ثلاثين، انكفأ الإسرائيليون نحو الأراضي التي تحيط بالقرى لعجزهم عن دخولها والسيطرة عليها، وعمدوا إلى السير نحو الطيبة عبر أطراف القرى. **في مشروع الطيبة، كان المقاومون قد جهزوا كمائن الأسلحة المضادة للدروع وعلى رأسها صواريخ كورنيت.** ويصف الحاج جهاد كمائن الطيبة، ورب ثلاثين، وتلال العقبة وكساف والحيسبات وهي نقاط تموضع الدبابات والمدرعات بأنها «الكمين» الرئيسي لمعركة

وادي الحجير.

وصل الإسرائيليون إلى المنطقة التي تمتد على مساحة كيلومترين، وكان المقاومون يحاصرونهم من كل الجهات. مع اكتمال ضرورات الكمين، انهالت النيران المقاومة على الغزاة من كل الجهات. بداية، استهدفت الصواريخ، وبتكتيك عسكري ميداني، الجرافات العسكرية. دمرت ١٢ جرافة حربية وهي تسير عادة على رأس السهم العسكري (أي الرتل)، وتتبع سلاح الهندسة، وتقوم بإنشاء سواتر ترابية تحمي الدبابات والجنود بالإضافة إلى جرفها كل ما يعيق تقدم الرتل وكل ما يشتبه بتشكيله خطراً على الغزاة.

مع تدمير الجرافات، نجح المقاومون في منع الإسرائيليين من حماية دباباتهم وجنودهم بالسواتر، وأضحت المدرعات مكشوفة. في مشروع الطيبة، دمر المقاومون ثلاثين دبابة ميركافا ٤ (من بينها ١٦ دبابة في يوم واحد) بصواريخ كورنيت وبأسلحة مواكبة أخرى، ما أدى إلى تأخير محور تقدم الغزاة نحو الحجير ثمانية أيام. وكان الإسرائيليون ينكفئون نحو سهل عديسة رب ثلاثين بعيداً عن مرمى نيران الكمين المحكم.

ويسجل الحاج جهاد ملاحظة عن تركهم دباباتهم المضروبة والمصابة من دون التجرؤ على إصلاحها.

مع تدمير الدبابات، بدأ المشاة يهربون ويتقهقرون فيما رجال المقاومة يرمونهم بأسلحة أخرى. وقد أطلقوا على الموقعة **«موقعة جهنم»** في شهاداتهم، و«كانوا محقين»، وفق الحاج جهاد، «إذ لم تعد الدبابات حصناً لهم وعندما كانوا يفرون منها كنا لهم بالمرصاد». **وكان مشهد الطيران الإسعافي الكثيف وسيارات الإسعاف العسكرية المجنزرة والمصفحة تنقل القتلى والجرحى يثلج قلب المقاومين ويثبت لهم حجم إنجازاتهم.**

أدت اشتباكات مشروع الطيبة إلى إصابة أحد المقاومين بجراح صعبة وكان في موقع «حساس جداً» بالمفهوم العسكري، وخصوصاً أنه يقع في منطقة يسيطر عليها الغزاة. ولإنقاذ المقاوم الجريح، قصد مقاومان مكانه فكشفتهما طائرة من نوع «إم.كا» وقامت بقصفهما بالصواريخ فاستشهدا. بقي المقاوم الجريح يزحف بالقرب من الإسرائيليين لمدة أربعة أيام، مر بالقرب من المقاومين الشهيدين اللذين كانا في طريقهما لإنقاذه فتزود بسلاحهما (كونه قد أفرغ ذخيرته) حتى التقى بمجموعة مقاومة أخرى قامت بسحبه وإسعافه.

في مقابل شهيدي المقاومة اللذين لم يسقطا بمواجهات مباشرة بل بقصف الإم.كا، **قدر المقاومون الخسائر البشرية الإسرائيلية في الطيبة بثلاثين قتيلاً و١٥٠ جريحاً بالإضافة إلى عشرة قتلى في القنطرة وحوالى ٤٠ جريحاً.** ويؤكد الحاج جهاد انه على مدى سبعة أيام من مواجهات الطيبة «لم يتمكن العدو من كشف أماكن تموضع المقاومين».

استمرت المواجهات على الطريق وفي البلدات المؤدية إلى وادي الحجير حتى اليوم الثلاثين للعدوان، اي إلى اليوم الذي اتخذت فيه الامم المتحدة القرار ١٧٠١ والذي قضى بوقف الأعمال الحربية. مع اتخاذ القرار وطلب رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت من الرئيس الاميركي جورج بوش مهلة ثلاثة أيام إضافية قبل الشروع بتنفيذ القرار، بدأ الإسرائيليون يحشدون رتلا آخر من الدبابات ويستأنف محاولة التقدم باتجاه وادي الحجير على أمل الوصول إلى الليطاني وهي المرحلة الثانية من محور التقدم. بعد تدعيمه، تابع الرتل العسكري المضروب في مشروع الطيبة وعدشيت القصير تقدمه نحو وادي البراك فوادي الحجير. واتبع الإسرائيليون تكتيكاً قضى بإخراج سرايا جانبية على حوافي الرتل لتامينه وهو ما يعرف عسكرياً بالمجنبات. وتتركز مهمة المجنبات السرايا على رصد الكمائن ومواجهتها قبل التحامها بالرتل الرئيسي. وعلى الطريق نحو وادي الحجير، كان المقاومون قد جهزوا للمتقدمين كميناً مركباً بالمعنى العسكري، (عبارة عن عبوات مزروعة وأسلحة صاروخية ورشاشة ومنحنية..).

وفي القنطرة انفجرت العبوات على خط سير الإسرائيليين المتوقع وهو عنصر جديد أضيف إلى مواجهات الطيبة. وفي عدشيت القصير، عاد الإسرائيليون وسقطوا في كمين مركب اقتصر على أنواع مختلفة من الاسلحة ولكن من دون عبوات ناسفة.

يقول الحاج جهاد عن مواجهات القنطرة وعدشيت القصير انه «في هذه المواقع حصلت مواجهات شديدة وقاسية على العدو». استهدف المقاومون عدداً من الدبابات بالاسلحة الصاروخية وتم تفجير الشراك الناسفة (العبوات) بالرتل والمشاة مما أوقع عدداً كبيراً من القتلى والجرحى فضلاً عن تدمير الآليات.

بعد مواجهات الطيبة والقنطرة وعدشيت القصير عمد الإسرائيليون إلى التقدم ليلاً باتجاه وادي الحجير تفادياً لتعريض دباباتهم ومشاتهم للاستهداف النهاري في ضوء الشمس. هناك، في الوادي، كان المقاومون قد تحضروا لملاقاتهم... أحكم رجال المقاومة نصب الكمائن على أنواعها: بعضها قريب والآخر بعيد.. زرعوا الطرقات والأراضي بالعبوات الناسفة الكبيرة واستطاعوا تدمير ثلاث دبابات وجرافتين عسكريتين بالكمائن القريبة وثلاث دبابات بالكمائن البعيدة. **اعترف الإسرائيليون بخسارتهم فرقة مدرعات كاملة. يقول الحاج جهاد ان رجال المقاومة «أحصوا خمسين دبابة ميركافا ٤ معطوبة قام العدو بسحبها، عدا عن الجرافات.. كانت بحق مجزرة الحجير أو «وادي السلوقي» كما أسموها»..**

(سعدى علوه، «السفير»، ٦/٧/٢٠٠٧)

مقاومون تجاوزوا الحواجز الطائفية للدفاع عن الوطن «السرايا اللبنانية» شاركت في حرب تموز



مقاومون من «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي».

كشف قيادي في «المقاومة الإسلامية» لـ«السفير» أن عناصر «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» شاركوا في رد العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز الماضي، وانهم كانوا منتشرين في الخطوط الأمامية للجبهة في معظم المناطق اللبنانية. ويؤكد «نادر»، وهو أحد المسؤولين في «السرايا»، أن الذين شاركوا في «حرب تموز» هم من المخضرمين الذين التحقوا بالسرايا منذ تاسيسها في العام ١٩٩٧، وخاضوا العديد من العمليات العسكرية، وخضعوا لدورات تدريب، وأثبتوا جدارتهم ومناقبيتهم في الميدان.

وعلى الرغم من أن مقاتلي «حزب اللـه» متفوقون خبرة وتدريباً عسكرياً، إلا أن شباب «السرايا» كانوا، ومنذ اليوم الأول للحرب، في حالة جهوزية قصوى، مثلهم مثل شباب المقاومة.

ويشرح أحد قادة «السرايا» الميدانيين، أن عناصر «السرايا» كانوا موزعين أثناء الحرب في جميع المناطق وفق مهمات كانت مقررة لهم مسبقاً. فمن كان في الجنوب منهم، التحق مع شباب المقاومة، في حين التحق البعض بتشكيلات خاصة في الضاحية الجنوبية، وقد تولى البعض الاخر مهام لوجيستية وأخرى اجتماعية. ويقول القائد «كنا مستعدين للمواجهة أينما وجدت «الجبهة» ضد العدو الإسرائيلي».

ويؤكد مصطفى، وهو شاب ثلاثيني أعزب، يعمل في مجال الديكور، أنه حتى لو كان يعمل «في مجال الذهب والألماس، وطلب مني أن أفرغ وقتي كله للسرايا، لفعلت ومن دون أي مقابل». في حرب تموز، كان مصطفى وعدد من زملائه ضمن تشكيلات عسكرية قتالية انتشرت في الضاحية الجنوبية لبيروت، وكانوا على تماس يومي مع مقاتلي «المقاومة الاسلامية». يقول مصطفى «كنا نأكل ونشرب معاً، وكنا نتمنى أن يتجرأ الإسرائيلي على تنفيذ إنزال عسكري في الضاحية حتى نلقنه درساً لن ينساه في القتال». ويشرح بأنه هو وعدد من رفاقه في «السرايا» لطالما ألحوا على القيادة كي تأذن لهم بالالتحاق بخطوط المواجهة في الجنوب، ولكن الجواب كان دوماً «للضرورة أحكامها، ولسنا محشورين حتى الآن»، وظلت هذه العبارة تتردد طيلة ثلاثة وثلاثين يوماً.

يبقى في ذاكرة مصطفى مشهد لا ينساه: كيف كان الشباب، خلال التدريبات العسكرية كما أثناء حرب تموز، يصلون كل

على طريقته «ننهي الصلاة، وننسى أننا من طوائف مختلفة ونعود لإكمال المهام المطلوبة منا».

أما «أبو عرب»، وهو رجل أربعيني، متزوج وله ثمانية أولاد ويعمل موظفاً في إحدى الدوائر الحكومية، فيرفض شرح طبيعة المهام التي أوكلت إليه في حرب تموز. و«أبو عرب» هو من المقاتلين المخضرمين، تنقل بين الجبهات والمحاور العسكرية، أيام الاحتلال الإسرائيلي. يقول إن «من يسير في هذا الخط، عليه أن يكون مقتنعاً ومستعداً للدفاع عن وطنه». يتوقف الرجل الذي غزا الشيب لحيته السوداء عن الكلام قليلاً، ثم يشرح «تمنيت في حرب تموز أن أكون مع زملائي في «السرايا» عند خطوط المواجهات الامامية، في مارون الراس وبنت جبيل وعيتا الشعب وعيناثا وعيترون والخيام وكفركلا، لكن شاءت الظروف أن نتولى مهامّ من نوع آخر في الخطوط الخلفية». اختار «أبو عرب» نشيد «وطني بمقاومتي صامد» كنغمة لهاتفه الخلوي. وعندما يرن الهاتف، تظهر صورة «أبو عرب» مع السيد حسن نصر اللـه في لقطة مشتركة خلال حفل تكريمي أقامه السيد على شرف عناصر «السرايا» في العام ٢٠٠٠.

بدوره، يشرح «سامر» انه شارك في حرب تموز في المجال اللوجستي، ويرفض الإفصاح عن اي تفاصيل إضافية. ينسدل شعر سامر الطويل من تحت القبعة الرياضية التي يعتمرها، ويصل حتى كتفيه. يبتسم لدى سؤاله عن سبب انخراطه في «السرايا»، ويقول «في تلك الأيام، أي قبل العام ٢٠٠٠، كانت المشاركة في عمليات المقاومة محصورة بـ«حزب اللـه»، فاخترت الانتساب الى السرايا للدفاع عن وطني». **يرى سامر أن في كل الأحزاب والتيارات طابعاً دينياً أو سياسياً أو عقائدياً غالباً «ولكن في السرايا، لا تستطيع أن تشعر أنك تقاتل من أجل فكرة دينية أو عقائدية بل هناك منطلق وطني، وهو الأساس. في السرايا الكل سواسية ولا تمييز بين طائفة وأخرى».**

وكانت فكرة إنشاء السرايا اللبنانية قد تولدت لدى الأمين العام لـ«حزب اللـه» السيد حسن نصر اللـه لحظة تقبله التبريكات باستشهاد نجله هادي. يومها، جاءه شبان من كل الطوائف، بعضهم من لبنان وبعضهم من دول عربية وإسلامية يطلبون الانتساب رسمياً الى «المقاومة الاسلامية». ولم يكن «حزب اللـه» في وارد استقبال أي منتسبين من غير اللبنانيين. فعرض السيد فكرة «السرايا» أمام مجلس شورى «حزب اللـه» الذي شدد على وجوب إنضاج صيغة تؤمن الانخراط في صفوف المقاومة من كل الطوائف ولكن من دون أن يسمح ذلك بأي خروقات أمنية في صفوف الحزب والمقاومة. وبعد طول بحث وتدقيق، ولدت صيغة «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي». تجنب «حزب اللـه» إنشاء غرفة عمليات مشتركة، في ضوء فشل تجارب سابقة، ولا سيما أن أي «غرفة عمليات» ستبقى عنوانا شكلياً، إذ ان أياً من الأطراف المشاركة فيها لن يكشف للأطراف الأخرى عن حقيقة ما يملك وما يريد تحقيقه إدارياً ولوجستياً. بعدها، انتقلت الفكرة من أروقة القيادة إلى العلن. **وفي الثالث من شهر تشرين الثاني من العام ١٩٩٧ أعلن السيد حسن نصر اللـه في مؤتمر صحافي عقده في دار نقابة الصحافة عن ولادة «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» لكل راغب بالمشاركة في أعمال المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب اللبناني، من أي طائفة أو منطقة أو تيار سياسي كان.** وأعلن عن أرقام هاتفية للراغبين بالانخراط في السرايا. وما ان أنهى السيد مؤتمره الصحافي، حتى بدأت أرقام الهواتف تستقبل عشرات المكالمات من متصلين من جميع الطوائف والمناطق اللبنانية.

أكد نصر اللـه، حينها، أن هذا التشكيل سوف يبقى منفصلاً عن جهاز «المقاومة الإسلامية» الجاهزة لتقديم كل دعم تحتاجه «السرايا اللبنانية»، بغية القيام بأعمال عسكرية وأمنية في المناطق اللبنانية المحتلة.

ويقول قيادي في «السرايا اللبنانية» ان مبادرة «حزب اللـه» لتشكيل «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» انطلقت من جملة أسس وأبعاد لها امتدادها الواقعي والاستراتيجي، فضلاً عن دراسة الواقع اللبناني، بالإضافة إلى ضرورة استنهاض الطاقات الكامنة في الشباب الطامح إلى تحرير الأرض والإنسان عبر خلق إطار جامع ينطوي تحت لوائه لبنانيون يحملون قضية واحدة هي المشاركة في معركة تحرير أرضهم..

وتفاوتت أعمار المنتسبين الى «السرايا» بينما توزعت المهام العسكرية عليهم تبعاً لمهنهم واختصاصاتهم، مع مراعاة توفر شرطين أساسيين للانتساب، أولهما أن يكون المنتسب مؤهلاً على المستوى العقلي والنفسي والجسدي للمشاركة الميدانية في القتال. ثانيهما، أن لا تكون هناك أية شبهة علاقة أو ارتباط مع العدو الإسرائيلي وعملائه. وأخضع المنضوون في «السرايا اللبنانية» الى دورات تدريبية عسكرية شملت المناورات والاختصاصات العسكرية المختلفة التي أدت إلى تأهيل العناصر كي يصبحوا «مقاتلين» بامتياز.

وفي الرابع عشر من آذار من العام ١٩٩٨ افتتحت «السرايا اللبنانية» نشاطها العسكري بتنفيذ ثلاث عمليات استهدفت قوات الاحتلال وعملاءه، مستخدمة الأسلحة الرشاشة والصاروخية ومدافع الهاون. ومنذ ذلك التاريخ وحتى العام ٢٠٠٠ استطاعت «السرايا اللبنانية» أن تنفذ ٣٨٢ عملية عسكرية. **وفي العام ألفين، ومع إنجاز تحرير معظم الجنوب اللبناني، ظنّ كثيرون أن الحزب قام بحل «السرايا اللبنانية»، لكن مجريات «حرب تموز» أظهرت أن الصيغة لم تمت، وأن كثيرين ممن شاركوا فيها كانوا بمثابة جيش احتياطي سرعان ما نزل الى أرض المعركة..**

(جعفر العطار، «السفير»، ٢٠٠٧/٧/٣١)

لبنانيون احتضنوا لبنانيين
البقاع الغربي: رفيق درب قديم .. منذ أيام الاحتلال



موقع للقوات المشتركة في البقاع الغربي (١٩٨٢/٦/٧)

لم يعد البقاع الغربي كما عهده لبنان السياسي والاجتماعي. فالمنطقة تغيرت كثيراً بعد الانقسام الذي طال البلاد كلها وأصاب المنطقة بشكل كبير. تغيرت «الأمزجة» وانقلبت المواقف والقراءات السياسية رأساً على عقب، وتحول «الخصم» المحلي الى صديق والصديق الى خصم وجب إبعاده، سياسياً واجتماعياً، عن المنطقة.

هذا الانقسام وتصاعده بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان، ترك آثاره السلبية في حيوات أبناء المنطقة المتنوعة ديموغرافياً، مع استمرار «العداء» السياسي في أخذ مداه «الصامت» غير المعلن على الرغم من وجود قوى سياسية واجتماعية ترى في الأمر مبالغة غير واقعية.

يؤكد أكثر من مواطن في البقاع الغربي على دور المقاومة وشهدائها فـ«**نحن قدمنا شهداء وتصدينا لكل الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان، وكنا العنصر الأساس في مقاومة العدو خلال احتلاله للمنطقة، وبالتالي لا يمكن لأحد إبعاد البقاع الغربي عن صراعه مع اسرائيل أو تزوير تاريخه**».

هذا الكلام يجمع عليه حزبيون موالون ومعارضون، ويرون في المزاج الشعبي اليوم «مشهداً» سرعان ما سيأفل مع الايام.

سنة مرت على العدوان الإسرائيلي، وسنة مرت أيضاً على احتضان أهالي البقاع الغربي للنازحين من الجنوب الى منطقتهم. هذا الاحتضان الذي يجاهر البعض أنه لن يتكرر، تقابله «مجاهرة» غالبية علنية بأنه سيتكرر لو وقعت حرب إسرائيلية أخرى.

يقول رئيس بلدية الصويري ظاهر الصميلي ان الحرب الإسرائيلية الأخيرة لم تكن فقط على «حزب اللـه» وجمهوره وانما كانت تستهدف كل لبنان و«ما قمنا به من استقبال للنازحين ليس سوى عمل بسيط جداً مقارنة بعمل المقاومة». ويؤكد الصميلي انه «لا سمح اللـه» في حال وقع عدوان جديد: «سنفتح بيوتنا وقلوبنا ومدارسنا **ولن تؤثر الاختلافات السياسية في وجهات النظر في العلاقة في ما بيننا وبين أهل الجنوب والمقاومة لأنه كلنا في الأساس مقاومة واحدة ضد عدو واحد**».

ويؤكد أكثر من مواطن في البقاع الغربي على «الاختلاف» السياسي مع قوى في المعارضة، لكن في الوقت ذاته يرون في القضايا الوطنية الكبرى، كالصراع مع إسرائيل، خارج النقاش

مع كل ملاحظاتهم على «حزب اللـه» في السياسة الداخلية.

ويقول وليد من القرعون ان «اختلافنا ليس مع المقاومة التي تقاوم اسرائيل و«حزب اللـه» رأس حربتها، وانما نحن نختلف مع «حزب اللـه» في سياسته الداخلية والتي أدت الى مزيد من الانقسام وكان لها الأثر الكبير في منطقتنا».

ويذكر وليد أن البقاع الغربي احتضن آلاف العائلات الجنوبية النازحة جراء العدوان «برغم وجود الخلاف السياسي مع حزب اللـه». ويقول ان القرعون تاريخها القومي والوطني ودورها في مقاومة اسرائيل لا أحد يستطيع تجاهله والغالبية هنا مختلفة مع «حزب اللـه» وموالية لتيار المستقبل و«برغم ذلك لم نقفل أبوابنا بوجه أهلنا النازحين».

هذا النقاش الذي اتسعت مروحته بعد عدوان تموز ٢٠٠٦ في البقاع الغربي ورفع من سقف «التلاسن» نحو حدة مذهبية يحمله البعض «المحايد» لكلا الفريقين الموالي والمعارض «اذ لم يحسنا استغلال النصر الذي حققته المقاومة ضد اسرائيل، فساهم حزب اللـه ومعه تيار المستقبل على وجه الخصوص من الفريقين في تسفيه النصر الكبير وهذا ما انعكس سلباً على الشارع في البقاع الغربي الذي لم ولن يغير موقفه في قضية الصراع مع اسرائيل».

ويتابع أبو جمال، اليساري العتيق، ان ما خلفه العدوان من انقسام داخلي «يتحمل حزب اللـه وتيار المستقبل مسؤوليته الكبرى، وأنا أؤكد انه في حال وقع عدوان آخر فإن أبناء البقاع الغربي لن يهربوا من واجبهم الوطني في التصدي لإسرائيل، وفي الحد الادنى استقبال نازحين موالين لحزب اللـه».

نزح الى بلدة كفرمشكي قضاء راشيا نحو مئة وخمسين عائلة من أبناء القرى المجاورة، ولا سيما لبايا ويحمر وقليا، وحتى من مرجعيون والخيام. وقد تكفلت البلدية بتأمين المساعدات للنازحين في بداية الامر، وسارع سكان البلدة الى استقبال العديد من هذه العائلات في منازلهم، فيما استقبلت المدرسة عشرات العائلات، حيث «تقاسمنا معهم لقمة العيش وشربة المياه» كما تقول ماري، ابنة القرية.

هي لم تنس العلاقة المتينة التي نشأت بينها وبين أم أحمد موسى من لبايا، والتي تطورت بعد انتهاء الحرب الى تبادل الزيارات. الآن تجيب بحدة عما إذا كانت مستعدة لاستقبال مهجرين في حال حصول أي مكروه. تقول: أي عدوان إسرائيلي على أي منطقة هو عدوان على لبنان، ولا يجوز لنا إلا أن نكون موحدين، لأن الأوطان لا تبنى إلا بالتضامن والتكاتف، وشد أزر بعضنا البعض، خصوصاً إذا ما علمنا أن التفرقة والتناقض والتباعد في ما بيننا كشعب لبناني هو من مصلحة إسرائيل، وهو ما تسعى اليه دائماً، عملاً بمبدأ «فرّق تسد».

يؤكد نائب رئيس اتحاد بلديات البحيرة جورج الخوري أن عدد النازحين الذين هجّرتهم إسرائيل ولجأوا الى قرى وبلدات البقاع الغربي فاق العشرة آلاف نسمة، توزع منهم ما يزيد على الثمانية آلاف على المدارس، بينما القسم الاخر توزع على المنازل عند الآقارب والأصدقاء، لافتاً الى أن حوالى ٩٠ بالمئة من المساعدات قدمتها هيئة الإغاثة، فيما تولت البلديات وبعض الجمعيات التابعة لمؤسسة الحريري، وحزب اللـه، وجمعية الرؤيا وجمعيات أخرى تأمين المساعدات للنازحين عند بداية العدوان، وقبل أن ينتظم عمل هيئة الإغاثة وتوفر نقل هذه المساعدات الى المناطق.

يضيف أن الصليب الأحمر وبعض المستشفيات، وطواقم طبية من مستوصف جمعية فرسان مالطا والحزب التقدمي الاشتراكي، تولوا الإشراف الصحي على النازحين.

بدوره، يشير مسؤول العلاقات العامة في بلدية راشيا كمال الساحلي، الذي تولى مهمة الإشراف على تنظيم أمور النازحين في راشيا، إلى أن عدد النازحين الى قرى منطقة راشيا، تجاوز الستة آلاف نسمة، بعضهم من منطقة العرقوب، أما البعض الآخر فكان من قرى البقاع الغربي، ومن عديسة وكفركلا.

يقول: «في الأيام الأولى للعدوان، عملت الأطراف السياسية الموجودة في المنطقة الى جانب الأهالي بالتعاون مع البلدية على تأمين مستلزمات العيش للنازحين، لكن مع انتظام عمل هيئة الإغاثة، وتنظيم لوائح اسمية بالنازحين وعددهم، توفرت المساعدات بشكل يومي بإشراف قائمقام المنطقة»..

في بلدة كامد اللوز التي استضافت عشرات العائلات النازحة من العرقوب ومن الخيام، يقول عمر نصر الدين «إن النسيج اللبناني يستنفر ويتوحد ويتناسى الحقد والضغينة عندما تكون الحرب إسرائيلية. فهم (الاسرائيليون) أعداء الأرض والدين ولا يفهمون إلا بلغة السلاح، وحسناً فعلت المقاومة التي صمدت بوجه آلة الحرب الغادرة ودكت بصواريخها تجمعات العدو ومنشآته العسكرية، حتى ظهر الجيش الذي لا يقهر على حقيقته».

يضيف: نحن استقبلنا عائلات عدة من الخيام في بيوتنا، كيف لا وبين الخيام وكامد اللوز عشرات الزيجات والاولاد؟

لكن عمر يضيف: إذا تحدثنا بموضوعية وبواقعية، فإن الأمور تغيرت كثيراً، ولا سيما على مستوى القواعد الشعبية، خصوصاً بعد السجالات والهجمات غير المبررة بين الأطراف السياسية.

وأضاف: ليس من المستغرب أن تسمع من الكثيرين أنهم لن يفعلوا ما فعلوه من الناحية الإنسانية مع النازحين في العام الماضي، في حال حصول أية تطورات جديدة. ويعود ليستدرك: **كل هذا الكلام ناتج عن ردات فعل تأتي في غير موضعها، فالوقائع ستثبت عكس ما يقال، فالشعب اللبناني لم يقبل موقعاً ولن يقبل في المستقبل، إلا موقع المواجهة ضد العدو الإسرائيلي، وهذا الشعب حريص على التوحد أثناء الظروف الصعبة التي يمر بها لبنان..**

(شوقي الحاج، «السفير»، ٢٠٠٧/٨/١٠)

كاميرا المقاومة: السلاح الذي لا يخطئ

في موازاة المواجهة العسكرية المستمرة بين رجال المقاومة وقوات الاحتلال الإسرائيلي، تدور مواجهة من نوع آخر لا تقل حدة وأهمية، العبوة فيها شريط فيديو، والكمين فخ إعلامي، والبندقية كاميرا لا تخطئ..

هذه بعض أسلحة جهاز «الإعلام الحربي» في «المقاومة الإسلامية» الذي ما انفك يوجه صفعات مؤلمة الى جيش الاحتلال «وإعلامه» متبعاً أساليب دعائية متقنة، سمتها حس تكتيكي يقظ، أوقع العدو ولا يزال في مآزق محرجة للغاية. **ويمكن القول انها «الكاتيوشا» الإعلامية النفسية الموجهة الى عمق المجتمع الإسرائيلي، حيث الخطوط الخلفية للاحتلال، فإذا اهتزت هذه على وقع دوي الصوت والصورة، اهتز هو أيضاً.**

ومن أبرز مطلقي هذه «الكاتيوشا» مصورو العمليات الذين تربطهم بالكاميرا علاقة خاصة ترتقي الى حد «الصداقة الحميمة»، فهي بالنسبة إليهم ليست مجرد آلة.. انها شريكة في «النضال»..

ووظيفة كاميرا المقاومة لا تنحصر في الشهادة على الانتصارات وفضح أكاذيب العدو بالدليل الحي، وإنما هي أيضاً وسيلة فعالة لإعادة تقييم أداء المقاومين بعد كل عملية مصورة. ويقول احد مسؤولي المقاومة عن ذلك: الكاميرا تجعل أرض المعركة حاضرة في غرفة العمليات أمام القادة، وهذا ما تقوم به طائرات الاستطلاع من دون طيار بشكل مباشر مع فارق يتمثل في انها تبحث عن الهدف في مساحات واسعة، وغالباً من دون جدوى، بينما كاميرا المقاومة مثبتة مسبقاً في مكان محدد تنتظر الهدف الآتي الى حتفه.

أبو مهدي، هلال، حسين، أبو الفضل.. مقاومون سلاحهم الكاميرا، أكبرهم يبلغ الـ٢٩ من العمر وأصغرهم يبلغ الـ١٩، شارك بعضهم في تصوير عملية بئر كلاب الأخيرة وشاركوا جميعاً في تصوير عمليات مختلفة.

«السفير» التقتهم في حوار حول تجربتهم وعلاقتهم بالكاميرا:

□ **لمن يتبع مصورو عمليات المقاومة؟**

○ نحن جزء من جهاز «الإعلام الحربي» التابع لـ«المقاومة الإسلامية»، ونؤدي مهامنا وفقاً لتوجيهات غرفة العمليات المركزية.

□ **ما هي طبيعة التدريبات التي يتلقاها المصور؟**

○ المقاوم المصور يخضع بداية الأمر لتدريبات كاملة شبيهة بتلك التي يتلقاها أفراد الوحدات الخاصة، ثم يخضع لدورة متخصصة ذات طابع اكاديمي نظري، تليها تجارب عملانية



عملية تدمير موقع بيت ياحون

من خلال المشاركة التصويرية في المناورات التي تنفذ قبل العمليات، ثم القيام بتصوير عمليات محدودة الى ان يصبح «الخريج» قادراً على تصوير عمليات نوعية كالكمائن واقتحام المواقع.

□ **كيف تنظَّم عملية التصوير وسط معمعة المواجهة؟**

○ يضم «الإعلام الحربي» في صفوفه «مخرجين» يتولّون إخراج العمليات من حيث التصوير وتوزيع الكاميرات وتنظيم الأدوار، وعادة يجري التنسيق الكامل بين قائد العملية والمخرج الذي يكلف بالإشراف على تصويرها.

□ **هل يشارك أكثر من مصور في عملية واحدة؟**

○ خلال عملية اقتحام موقع بئر كلاب الاخيرة استُعين بثلاثة مصورين، اثنان للتصوير خارج الموقع وواحد للتصوير داخله، وفي بعض الأحيان يصل عدد المصوّرين في أرض المعركة الى أكثر من ذلك كما حصل ذات مرة حين جرى تنفيذ عملية واسعة النطاق شملت مواقع عدة في الوقت ذاته.

□ **في مشاهد عملية بئر كلاب، ظهر أحد العملاء اللحديين قريباً جداً.**

○ كان الأخ حسين بعيداً حوالى ١٥ متراً فقط عن العميل اللحدي الذي ظهر في الصورة حاملاً إبريق الشاي.

□ **الم يتخوّف المصور من انكشاف أمره؟**

○ لقد موّه شكله بالأرض التي تموضع فيها.

□ **علمنا بأن أحد المصورين أصيب أثناء اقتحام موقع بئر كلاب.. كيف حصل ذلك؟**

○ حين بدأ هجوم المقاومين تقدم الأخ حسين بسرعة فتعثر بالأرض الصخرية وكسر رجله، ولكنه ظل

يزحف وأكمل التصوير.

□ **إلى أي حد تشعرون أحياناً في خضم المعركة بأنكم بحاجة الى استعمال السلاح للمشاركة في القتال؟**

○ إننا ندرك أهمية الصورة في عمل المقاومة، لذا لا بد في النهاية من ان نتقيد بمسار الخطة، فهناك مقاومون مهمتهم قتل الجنود الصهاينة او عملائهم، ولنا مهمتنا التي تفتك بالمجتمع الإسرائيلي بمجمله عبر الصورة، وهنا نشعر بالتعويض الكبير عن عدم المشاركة المباشرة في قتل الأعداء الذين يكونون بمتناولنا لأننا نقتل في المقابل معنويات المجتمع الإسرائيلي.

□ **ما هي نوعية الكاميرات التي تستخدمونها؟**

○ ان الكاميرات التي بحوزتنا هي كاميرات عادية موجودة في السوق، وهي مزودة بـ«زوم» رقمي يتيح التقاط الصورة بوضوح ضمن مسافات محددة.

□ **هل من تكتيك معيّن تعتمدونه في التصوير الحربي؟**

○ لقد تعلمنا خلال الدورات التدريبية ان المصور المقاوم كالصياد، عليه ان يعرف كيف يختار طريدته ويصيبها برغم المخاطر والصعوبات التي يواجهها، ولذا نحن نستخدم أساليب متعددة أثناء التصوير ونتجنب العشوائية والارتجالية في العمل.

□ **هل فقدتم زملاء لكم في المواجهات؟**

○ استُشهد لجهاز «الإعلام الحربي» ثلاثة شهداء في المواجهات هم بهجت دكروب (عملية ضد بئر كلاب في تموز ٩٣) أحمد حيدر أو «باقر» (عدوان تموز ٩٣) ومصطفى مزنر (عملية الدبشة قبل حوالى عام) كما أُصيب العديد من الجرحى.

□ **هل حدث مرة أن تعطلت إحدى الكاميرات أثناء تصوير عملية ما؟**

○ نعم.. يحدث ذلك أحياناً، ولكننا لا نوفر جهداً أثناء العمليات لتجنب اي عطل وأحياناً نوفق وأحياناً لا، وهذا ما دفعنا الى زيادة عدد الكاميرات المستخدمة في التصوير خلال العمليات.

□ **كيف تصفون علاقتكم بالكاميرا؟**

○ إننا ندلل الكاميرا ونهتم بها كثيراً ونتعامل معها بعناية شديدة، فنحرص على رعايتها لئلا تصاب بأعطال كأن نحضنها او نلفها بقماش في الطقس البارد، والأخ الذي كسر رجله في مستهل عملية بئر كلاب الأخيرة، حرص على حماية الكاميرا التي كانت معه، وتجنب ان ترتطم بالأرض حتى لا تصاب بأذى.

□ **أي نوع من العمليات تفضلون تصويره أكثر؟**

○ نفضل تصوير العمليات التي تنفذ عن قرب وتسمح بأكبر قدر من الوضوح والدقة، ولا سيما تلك التي يتعالى فيها صراخ العدو فتسجله الكاميرا، وتلك التي تتضمن حركة كثيفة مثل اقتحام المواقع، وزرع رايات المقاومة وما يرافقها من شعور بالعزة والانتصار.

□ **هل تشعرون بتوتر أو شد عصبي، حين تقومون بمهام صعبة؟**

○ بالعكس تماماً.. نشعر بفخر واعتزاز لأننا نساهم في صناعة وتسجيل لحظة تاريخية، وفي إحدى المرات لم يتردد الأخ ابو مهدي في التقاط صور فوتوغرافية لعملاء لحديين هي في غاية الوضوح والدقة، الأمر الذي يعكس حالة من التركيز وهدوء الأعصاب.

□ **هل تستفيد المقاومة من صور المواجهات الميدانية لتبيان الثغرات المحتملة وتحسين ادائها؟**

○ ان شريط الفيديو المصور أثناء العمليات يعتبر وثيقة حية لتقييم عمليات المقاومة وأداء المجاهدين من خلال عرض طرق الاقتحام والتمشيط والتفجير والانسحاب وكيفية وقوع الإصابات في صفوف المقاومين، إذا حصل ذلك، وهذا بالطبع مكّن ويمكن «المقاومة الإسلامية» من تحسين أدائها بصورة كبيرة لأن كاميرا المجاهدين جعلت أرض المعركة حاضرة بكل تفاصيلها في غرفة عمليات المقاومة وأمام قادتها العسكريين.

□ **بالعودة الى «أرشيفكم» هناك تساؤل رافق عملية مركبا الشهيرة ضد وحدة «ايغوز» وهو: لماذا لم يحاول المصور إصابة الهليكوبتر الإسرائيلية التي عمدت إلى إخلاء مصابي العدو، خصوصاً انها كانت في متناول الرماية؟**

○ ربما كان بإمكان المصور ان يصيبها، ولكن على حساب التصوير، فاما ان يتابع المصور مهمته حتى النهاية واما ان يحاول إسقاط الهليكوبتر، وفي هذه الحال كان سيعرض نفسه والفيلم الذي بحوزته الى خطر شديد في حال انكشافه.. فجرى اعتماد الخيار الأول لأن الفيلم حول العملية شوه سمعة وحدة «ايغوز» وشكل نقطة تحول داخل مجتمع العدو.

□ **هل تعتقدون ان صور العمليات تأخذ حقها على شاشات التلفزة بمعزل عن «المنار»؟**

○ نتمنى على بعض المحطات التلفزيونية ان تبدي اهتماماً أكبر بقضية مواجهة الاحتلال، وأن تعرض بشكل أفضل الأفلام التي نصوّر بواسطتها جهاد المقاومين وما يبذلونه لتحرير المنطقة المحتلة، ولأننا نخاطر ونضحي ونواجه الصعوبات ليكون لنا دور نحن أيضاً في هذا الجهاد، كما نتمنى توحيد التعبيرات والمصطلحات في التعاطي مع أخبار المقاومة، بحيث يجب ان يستخدم كل الإعلام تعبير قوات الاحتلال وليس الجيش الإسرائيلي، وميليشيا العميل لحد وليس جيش لبنان الجنوبي، والأهم تعبير الشهيد وليس القتيل لدى الحديث عن خسائر المقاومة.

(عماد مرمل، «السفير»، ١٠/٣/١٩٩٨)

فيلم من إخراج حسن نصر اللـه!
تقرير إسرائيلي عن أثر تصوير عمليات المقاومة في معنويات الجيش

«العمليات التصويرية» التي تقوم بها وحدات من «المقاومة الإسلامية» تكون مهمتها فقط اتخاذ مواقع قتالية، لكن بهدف تصوير ما هو مقرّر من عمليات نوعية تنفذها مجموعات المقاومة، إما من خلال تغطية كاملة لهجوم مباشر على مواقع ثابتة، أو بتفجير عبوات ناسفة أو إطلاق صواريخ على دوريات معادية متحركة.

وقد بدا أن «حزب اللـه» الذي طوّر هذه التقنية التي بدأ العمل بها مع قوى أخرى كانت تقوم بأعمال المقاومة سابقاً نجح في رسم صورة جديدة عن طبيعة المواجهة بين الجنود الإسرائيليين وبين المقاومين. **وقد أثار الفيلم الخاص بعملية اقتحام تلة الدبشة نقاشاً وذعراً في الأوساط السياسية والعسكرية الإسرائيلية، بعدما كذّبت كاميرا المقاومة زعم إسرائيل بأن المقاومين لم يصلوا إلى سائر الموقع المذكور.**

في ما يأتي تقرير منقول عن مجلة «**بمحنيه**» الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي، تحت عنوان «**من إخراج نصر اللـه**». والمقصود فيلم من إخراج أمين عام «حزب اللـه» السيد حسن نصر اللـه. هنا نص ترجمته:

جرت العادة، في اللغة الصحافية، على القول بأن الإعلام يشبه المرآة، فمن جهة يمكن استخدامها كتعبير عن الواقع، ومن جهة أخرى يمكن أيضاً توجيهها نحو الشمس وإبهار عيون كل العالم.

و«حزب اللـه»، على ما يبدو يعرف هذه المقولة، وهو يجيد استخدام الإعلام كوسيلة لتحقيق أهدافه، ولست بحاجة لأن تكون نابغة تسويق مثل «بيل غيتس» (صاحب شركة ميكروسوفت لإنتاج برامج الكومبيوتر/المترجم) كي تعلم أن شريطاً قصيراً واحداً يمكنه أن يؤثر أضعاف المرات أكثر من عشرات المقالات الافتتاحية في صحيفة **هآرتس**.

ويوضح العقيد «ي»، ضابط استخبارات الجبهة الشمالية «أن جزءاً من قوة إسناد العمليات يتمثل بوحدة التصوير، فإذا كان في الخلية شخص مكلّف بوضع العبوة الناسفة، وشخص آخر مسؤول عن إطلاق النيران، فإن في أغلب الأحوال هناك أيضاً شخص مسؤول عن تصوير العملية».

ويقولون في الجيش الإسرائيلي انه في أغلب الحالات، فإن المصور يبقى خارج الحزام الامني، على مسافة تمكّنه من


المقاومة الاسلامية تفجر موقع الدبشة الإسرائيلي (٨/٢/٢٠٠٠)

التصوير. ويقول العقيد «ي» إن جهاز الدعاية والحرب النفسية هو جزء من مبادئ حرب العصابات، وتجسّد فكرة المحافظة على الصلة مع السكان المحليين. و«حزب اللـه» يريد ان يظهر بمظهر المدافع عن السكان وفي العمليات النوعية، من قبيل عمليات العبوات الناسفة وإطلاق الصواريخ، يهتم «حزب اللـه» بتصوير العملية، بغية إظهار أن إصاباته موضعية وموجهة فقط ضد قوات الجيشين الإسرائيلي والجنوبي، وليس ضد السكان. وفي العام والنصف العام الاخيرين ازداد عدد العمليات التي تمّ تصويرها».

ويقول ميخائيل سيسار الذي عمل في الماضي ناطقاً بلسان وزارة الدفاع ومؤلف كتاب **المستنقع اللبناني** إنه «في المجتمع الشرقي يهتمون قبل تركيب المياه الجارية بتركيب هوائي التلفزيون. حيث يُنظر إلى جهاز التلفزيون وكأنه جهاز سحري لا يبث سوى الحقيقة. وليس هناك اي استخدام لملكة النقد».

□ ما هو مدى تأثير دعاية «حزب اللـه» على الجمهور الإسرائيلي؟

○ لا ريب في أن لهذه الدعاية تأثيراً على الجمهور الإسرائيلي، ولكن من الجلي أن تأثيرها أكبر على الطرف الاخر، وهي موجهة لاغراض داخلية.

ويقول «نحمان شاي» المدير العام للقناة التلفزيونية الثانية والناطق السابق بلسان الجيش الإسرائيلي: «إن استخدام الإعلام بهدف خلق رأي عام مناصر او معاد ليس بالامر الجديد. وقد تعلّم العرب فعل ذلك (وبصورة ناجحة) في زمن الانتفاضة، والآن في إرهاب «حماس» و«حزب اللـه». إن استخدام الإعلام هو ذراع نضالي آخر للإرهاب».

وفي الجيش الإسرائيلي يبذلون الجهد كي يروا ضمن السياقات المناسبة هذه الإضافة الإخراجية التصويرية لـ«حزب اللـه». ويقول العميد «بيني ليدور» قائد فرقة في الشمال، وإلى وقت غير بعيد كان رئيس أركان قيادة الجبهة الشمالية، «ينبغي أن نعي المبالغات» و«من المهم عدم الوقوع في حالة فزع جراء هذه الأفلام، وإنما استخلاص الدروس منها». ويضيف العقيد «ي» ضابط الاستخبارات في الجبهة الشمالية «بداهة إنهم يحرصون على التصوير من الزوايا التي تخدم أهداف الدعاية».

□ كيف أثّر الشريط الذي يبدو فيه سبعون انتحارياً محتملاً من «حزب اللـه» وهم يقسمون على العمل ضد إسرائيل، على الجنود الإسرائيليين المجهزين للذهاب إلى خط الجبهة في لبنان؟

○ يقول «ميخائيل سيسار»: «إن صورة احتلال موقع تلة الدبشة يترك بالتأكيد أثراً على جندي طوال حياته كانوا يقولون له إن الجيش الإسرائيلي لا يترك مواقعه، وأن الجيش الإسرائيلي لا يُقهر. وحتى إذا لم يعترف الجنود بذلك فمن المؤكد أن هذا سوف يؤثر على المعنويات. **إن هذا يشبه بعوضة صغيرة تتسلل إلى الدماغ ولا تتوقف عن اللسع**».

ولكن وبرغم كل ذلك، فإن الجيش الإسرائيلي، على ما يبدو، لا ينعزل عن الإعلام الذي في الطرف الثاني في طرفه وبالعكس فإنه يسلّم بالواقع. ويقول العقيد «ي» «لقد فهموا في الجيش الإسرائيلي أنه بدلاً من محاربة الإعلام يجدر بهم مسايرته. فإذا ما واجه الجيش الإعلام، فإنه سيخسر، لأن التقارير ستغدو كئيبة وستنشغل في التفاصيل الإثارية للحرب. أما إذا ذهب الجيش مع الإعلام، فإن بوسعه استغلاله لنقل معلومات دقيقة، موثوقة وفي وقت حدوثها. إن الرغبة في الإخفاء يمكن أن تتسبب بأضرار، لأن الثرثرة سوف تزداد آنذاك، والمعلومات المعطاة ستكون غير موثوقة».

«وينبغي على الجيش أن يوفر مادة جديرة بالبث وليس تصريحات وأقوالاً تافهة»، حسبما يقول «نحمان شاي». ويضيف ميخائيل سيسار: «جاء في مجلة **تايم**: ان «عملية عناقيد الغضب»، هي طبعة ثانوية عن حرب الخليج، حيث الجنرالات يعقدون مؤتمرات صحافية كل مساء الأمر الذي بدا كجزء من الأمركة التي تمر بها إسرائيل، إن الإعلام يحتل


كاريكاتور من صحيفة معاريف الاسرائيلية (١٧/٧/٢٠٠٦).

مكانة مركزية متزايدة، بسبب أن الجيش الإسرائيلي غير قادر على عدم مسايرة العصر».

□ هل أن استخدام الجيش الإسرائيلي للإعلام غير كاف، وأنه كان من الأجدى أن يعرض الأفلام التي يصورها على شاشة التلفزيون؟

○ «ثمة مجال لعرض مزيد من التدريبات والعمليات التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي على شاشة التلفزيون»، حسب رأي «ليدور»، «فهذا الموضوع الدعائي يشوبه نقص كبير».

ولدى العقيد «ي» تفسير ذلك: «صحيح أن قسماً من عمليات الجيش الإسرائيلي يتم توثيقه، ولكن بسبب السرية والأمن الميداني لا يعرضونها في الإعلام، وبين الفينة والأخرى يقومون باستخدامها، كما حدث مثلاً أثناء «عناقيد الغضب»، وبرغم ذلك فإن سياستنا الدعائية هي أقل جودة بكثير بالمقارنة معهم. إنهم ينجحون جداً دعائياً ونفسياً فهذا جزء من عقيدتهم القتالية».

ويعتقد «نحمان شاي»، الرجل الذي أخذ على عاتقه قبل خمسة أعوام مهمة الدعاية أثناء حرب الخليج، أن إسرائيل تحديداً توجد في وضع معقول تماماً، وهو يقول: «ان الجيش الإسرائيلي يعرف كيف يستخدم الإعلام، وقد قام بذلك أثناء حرب الخليج، وقبلها وبعدها، ويمكن تقليص أضرار دعاية «حزب اللـه» فقط عن طريق القيام بحملة دعائية موازية، واسعة وجدية».

(ترجمة حلمي موسى، «السفير»، ٢١/٩/١٩٩٦)

السفير
تصدر غداً
لمتابعة وقائع حرب التدمير الإسرائيلية على لبنان، تصدر «السفير» استثنائياً يوم غد الأحد.

الناشر
طلال سلمان

السفير
يومية سياسية عربية

٢٠ صفحة
١٠٠٠ ليرة

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

AS-SAFIR Arabic political daily - July 15, 2006 N° 10444, The 33rd year

السبت ١٥ تموز ٢٠٠٦ - الموافق ١٩ جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ - العدد ١٠٤٤٤ - السنة الثالثة والثلاثون

المقاومة تدمّر البارجة الإسرائيلية التي دكّت الضاحية وأطراف بيروت

نصر الله: تصفية الحساب ستمتد إلى ما بعد بعد حيفا

الحكم يتماسك في مواجهة الضغوط الدولية والعربية ويباشر خطة للإغاثة



دخان يتصاعد بعد القصف الإسرائيلي على حي السلم في الضاحية أمس (مصطفى جمال الدين)

على الطريق
٢٠٠٦/٧/١٥

هي حرب على الوطن فلنواجهها متحدين

مجلس الأمن في بيان صحافي يشيد بوفد أنان: رفض وقف النار وتحميل حزب الله المسؤولية

حول الناس والعدوان

عزمي بشارة

(التتمة ص ١٦)

إسرائيل تحدّد ثلاثة شروط لوقف النار: الحرب أسبوعان ... ولا أوهام بالحسم

كتب حلمي موسى:

إعلان هام

«السفير» كما صدرت في ٢٠٠٦/٧/١٥.

نهاد المشنوق يكتب:
السمع السياسي السعودي: خطأ الطريق...
5

الناشر
طلال سلمان

السفير
يومية سياسية عربية

٢٠ صفحة
١٠٠٠ ليرة

AS-SAFIR Arabic political daily - July 24, 2006 N° 10453, The 33rd year

الاثنين ٢٤ تموز ٢٠٠٦ - الموافق ٢٨ جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ - العدد ١٠٤٥٣ - السنة الثالثة والثلاثون

الأمم المتحدة: المساعدات بعد وقف النار ... والغارات تتوسّع جنوباً وبقاعاً وضاحية

نصر الله لـ«السفير»: شكراً لشعب لبنان الوفي

«الأولوية لوقف العدوان وللحكومة تولي التفاوض والقناة الألمانية صالحة»

الحرب الإسرائيلية على لبنان
تموز ٢٠٠٦

على الطريق
٢٠٠٦/٧/٢٤

لبنان كإعلان ترويجي عن «الشرق الأوسط الجديد»!

إيغلاند يتحدث إلى الصحافيين أثناء تفقده أضرار الضاحية (أ ب)

ركام مجمع الزهراء في صيدا بعد تعرضه للقصف الإسرائيلي (أ ب)

(التتمة ص ١٤)

أولمرت يريد قوة أوروبية تنتشر بين لبنان وسوريا

إسرائيل تكثّف حشودها ... للالتزام بالمهلة الأميركية





آثار الدمار الذي أحدثه صاروخ أطلقه حزب الله وسقط في عكا أمس (أ ف ب)

كتب حلمي موسى:

(التتمة ص ١٤)

الفيصل يقترح أفكاراً لوقف النار وبوش يحيل المبادرة إلى رايس

«السفير» كما صدرت في ٢٠٠٦/٧/٢٤.

نهاد المشنوق يكتب:
السمع السياسي السعودي: مملكة الصبر .. 5

الناشر
طلال سلمان

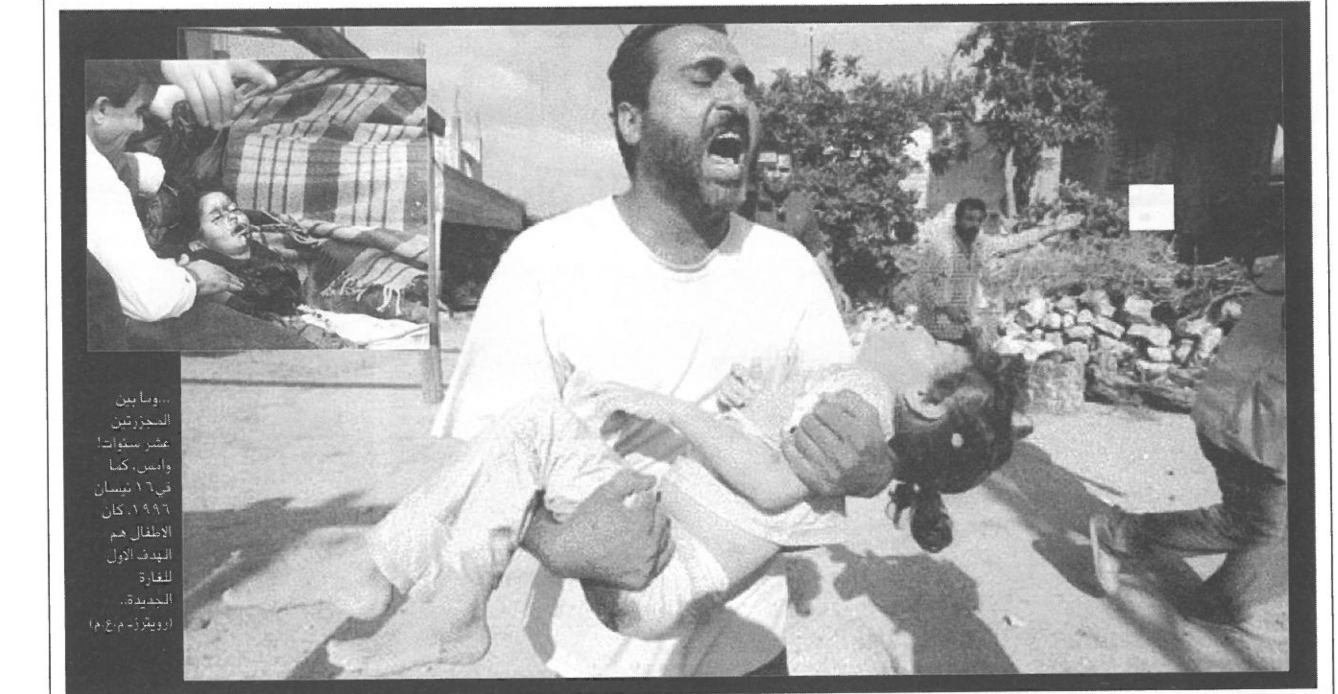
السفير

يومية سياسية عربية

٢٠ صفحة
١٠٠٠ ليرة

AS-SAFIR Arabic political daily - July 31, 2006 N° 10460, The 33rd year

الإثنين ٣١ تموز ٢٠٠٦ ـ الموافق ٦ رجب ١٤٢٧ هـ ـ العدد ١٠٤٦٠ ـ السنة الثالثة والثلاثون



...وما بين المجزرتين عشر سنوات! وامس، كما في ١٦ نيسان ١٩٩٦، كان الاطفال هم الهدف الاول للغارة الجديدة..
(رويترز ـ م.ع.م)

قانا: .. وسلام على أطفالك يوم يبعثون

اعتقدوا أن جدران الملجأ وسقفه المحمي بثلاث طبقات، قد يؤمن لهم «تهريب» بضع ساعات من النوم. لكن الليل انقضى والصبح أتى بمجزرة جديدة، لتصبح قانا مرة ثانية، هي العنوان والصورة والحكاية والمفترق.

بعد عشر سنوات وبضعة أشهر على المذبحة الاولى، التي ذهب ضحيتها ١٠٥ من الأبرياء الذين احتموا بعلم الامم المتحدة في قانا، جاء موعد قانا مع المجزرة الثانية، التي ذهب ضحيتها اكثر من خمسين شهيداً وجريحاً معظمهم من الاطفال الذين ولدوا بين «المجزرتين»، لتصبح قانا اعتباراً من الثلاثين من تموز ٢٠٠٦ علامة فارقة في تاريخ الوجدان العربي والدولي، بدليل ما احدثته من بداية انقلاب في المعركة الدبلوماسية والسياسية والاعلامية لمصلحة جرح لبنان المفتوح، لولا الوصمة السوداء التي ظللت وما تزال الموقف الاميركي الذي لم يتعد حدود «إبداء الحزن» والدعوة الى «ضبط النفس» برغم هول الجريمة وفداحتها، من دون أن يصل الى حد الطلب الصريح لوقف النار... وبرغم أن رايس كانت شاهداً عليها.

وإذا كانت الظروف اللبنانية والعربية والدولية قد تبدلت بين «المجزرتين»، فإن تضحيات المقاومة ودماء «أهلها» كانت القاسم المشترك الذي استدرج اصطفافاً وطنياً اندرج كل الخطاب السياسي والرسمي اللبناني تحته، كما ساهم في تعبئة رأي عام عربي وعالمي بدا غاضباً من حكوماته قبل إسرائيل، مما ادى تلقائياً الى رفع جزئي لسقف الخطاب الرسمي العربي ولو ان بعضه ظل «خجولاً» كالموقف الرسمي المصري الذي اعتبر فعلة اسرائيل في قانا عملاً «غير مسؤول».

وحركت المجزرة الجديدة المناخ الدولي، فانعقد مجلس الامن، على وجه السرعة، مساء امس، بمبادرة من أمينه العام كوفي انان، بناء على طلب لبنان، فيما كانت واشنطن تضغط

(التتمة ص ١٧)

إسرائيل تعلّق غاراتها الجوية ٢٤ ساعة لإفراغ الجنوب

أعلن المتحدث باسم الخارجية الاميركية ادم اريلي، أمس، أن إسرائيل علقت غاراتها الجوية على الجنوب لمدة ٢٤ ساعة من اجل تنظيم «ممر امن» للبنانيين الذي يرغبون بمغادرة المنطقة، ولمدة ٤٨ ساعة للتحقيق في مجزرة قانا.

وقال اريلي، اثر محادثات أجرتها وزيرة الخارجية الاميركية كوندوليسا رايس مع مسؤولين إسرائيليين في القدس المحتلة، «وافقت إسرائيل على تعليق العمليات الجوية في جنوب لبنان لمدة ٤٨ ساعة للتحقيق في واقعة قانا المأسوية»، مضيفاً أن إسرائيل يمكن أن تنسق مع الأمم المتحدة لتنظيم «ممر آمن» لمدة ٢٤ ساعة للمدنيين الذين يرغبون بمغادرة المنطقة.

(التتمة ص ١٧)

كفرنا بالقيم الزائفة

سليم الحص

أيها الرئيس الفريد لأعظم دولة في العالم،
أنت مجرم سفاح. أنت رمز الإرهاب في العصر الحديث.
... ماذا تفعلون اليوم ببلدي؟ أطلقتم ربيبكم، الوحش الإسرائيلي ضده، فعاث في شعبه قتلاً وتشريداً وتعذيباً، وفي بنيته تدميراً وتخريباً.
أمام عسفكم وريائكم وازدواج المعايير في توجهاتكم، فإننا نجيز لأنفسنا القول: لكم قيمكم ولنا قيمنا، لكم عربداتكم ولنا ثوابتنا.

(ص ١٥)

بوش استدعى رايس وأمهل إسرائيل أسبوعين
أولمرت: لا وقف للنار قبل تحقيق الأهداف السياسية

كتب حلمي موسى:

استجمعت إسرائيل والإدارة الأميركية كل وقاحتهما الدبلوماسية، وأعلنتا امس أن مجزرة قانا لا تكفي لإعلان وقف فوري لإطلاق النار. وفيما امتنعت إسرائيل عن الإعتذار واكتفت بإبداء الأسف على «إصابة مدنيين»، شن ممثلوها أعنف حملة دعائية للإيحاء بأن حزب الله هو المذنب في المجزرة.

وبدا أمس أن الجهد الدبلوماسي الأميركي لاستغلال الحرب الإسرائيلية من أجل ترتيب نظام جديد في لبنان، اصطدم بمجزرة قانا. وارتبك هذا الجهد بتجنب وزيرة الخارجية الأميركية كوندليسا رايس الوصول إلى بيروت، بعدما أوضحت الحكومة اللبنانية أنها ليست في وارد التفاوض قبل إعلان وقف النار.

وعبرت رايس عن هذا الارتباك عندما أعلنت في مؤتمرها الصحافي في القدس المحتلة أن الوقت حان لإعلان وقف إطلاق النار. وعادت رايس وصححت الانطباع المتولد عن موقفها الجديد فقالت إن هناك حاجة لوقف نار يضمن الاستقرار.

وأشارت مصادر إسرائيلية إلى أنه ظهرت، بعد مجزرة قانا، خلافات شديدة في الموقف من وقف إطلاق النار داخل الإدارة الأميركية.

ففي الوقت الذي تشددت فيه رايس مع الحكومة الإسرائيلية وأبلغتها أن كل ما هو متوفر من وقت لها للعمل العسكري لن يتعدى ٤٨-٧٢ ساعة، طالب رئيس الحكومة الإسرائيلية بمهلة عشر أيام إلى أسبوعين.

ويبدو أن الخلاف انتقل الى البيت الأبيض، حيث أبدى الرئيس الأميركي جورج بوش تفهمه للموقف الإسرائيلي مطالباً بمنح رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أولمرت مهلة أكبر من تلك التي تحدثت عنها رايس. وقالت المصادر الإسرائيلية إن بوش طلب من رايس إنهاء زيارتها والعودة اليوم إلى واشنطن لتوحيد الموقف الأميركي. ويقع هذا الخلاف على أرضية الغضب الأميركي تجاه إسرائيل من أمرين: مجزرة قانا وعدم نجاح الجيش الإسرائيلي حتى الآن في ترسيخ إنجازات

«السفير» كما صدرت في ٢٠٠٦/٧/٣١.

قضية بواخر المحروقات للكهرباء تراوح مكانها 6
سلامة: الوضع النقدي مرتاح والتحويلات محدودة 7
صريفا: ثلاثون شهيداً ما زالوا تحت الركام 9
٥٠ عائلة برعاية اتحاد المقعدين 9
مخيم البص ملآن بحياة نازحي الجنوب 10
إنهم يفرغون الضاحية الجنوبية رحلة نزوح جديدة 10

الناشر
طلال سلمان

السفير

يومية سياسية عربية

٢٠ صفحة
١٠٠٠ ليرة

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

AS-SAFIR Arabic political daily - August 11, 2006 N° 10471, The 33rd year

الجمعة 11 آب 2006 ـ الموافق 17 رجب 1427 هـ ـ العدد 10471 ـ السنة الثالثة والثلاثون

الحرب الإسرائيلية على لبنان
تموز 2006

قصف هوائي الإذاعة في بيروت وعمشيت وإنذارات لاستكمال إخلاء الضاحية

يوم الميركافا ...

الجيش الإسرائيلي يتخذ من القوة الأمنية في مرجعيون «دروعاً بشرية»



رضيعان وحقائب قرب برج البراجنة في رحلة النزوح من حي السلم.. إلى المجهول (عباس سلمان)

دبابتان إسرائيليتان تحترقان بعد إصابتهما بصواريخ المقاومة قرب مرجعيون أمس (رويترز)

... وفي ختام الشهر الاول على الحرب الاسرائيلية المفتوحة ضد لبنان، أظهر لبنان حكومة ومجلساً نيابياً وشعباً، مناعة سياسية، اذا حافظت على ثباتها في الايام المقبلة، فإنها ستشكل أكبر عنصر استثمار سياسي للصمود الميداني للمقاومة، وبالتالي تفتح الباب أمام تحقيق انتصارات سياسية ودبلوماسية توازي تضحيات اللبنانيين، على المستوى الوطني كله، إلا اذا نجحت الضغوط الدولية وخاصة الاميركية في محاولة استدراج اللبنانيين الى فتنة داخلية، على قاعدة تخييرهم بين القبول بمطالب اسرائيل المتبناة بقرار دولي (هو في جوهره أميركي) أو إنهيارهم وكأنهم المسؤولون عن تدمير بلدهم وأخذه الى الفتنة الداخلية.

وقد أظهرت مشاورات الساعات الاخيرة بين رئيسي المجلس النيابي نبيه بري والحكومة فؤاد السنيورة بالتواصل مع قيادة «حزب الله»، والنائبين سعد الحريري ووليد جنبلاط، وجود مستوى من التفاهم السياسي ولو بحده الادنى، باتجاه عدم الانزلاق في السياسة الى ما عجز الاسرائيليون عن أخذه في الميدان.

وعززت وقائع اليوم الثلاثين، هذا الانطباع، بعدما ترجمت المقاومة تعهد الامين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله بتحويل الجنوب الى «مقبرة للغزاة الصهاينة». وبدا أن تل أبيب التي «صدقت» للحظة التسريبات الاعلامية حول بدء تنفيذ قرار توسيع هجومها البري على لبنان، مع «الدخول السهل» لجنودها ودباباتها، فجر يوم الخميس الماضي، الى سهل الخيام ومرجعيون، قد عادت وصدقت أن قراراً من هذا النوع ما زال «مؤجلاً»، في ظل المفاجأة الجديدة التي انتظرت الاسرائيليين، امس، في منطقة القطاع الشرقي.

وحسب مصادر «المقاومة الاسلامية»، فإن اليوم الثلاثين كان «يوم الميركافا» في سهل الخيام، وفي التفاصيل، أن الاسرائيليين توغلوا بسهولة اعتباراً من منتصف ليل الاربعاء الخميس الماضي، الى سهل الخيام، وصولاً الى بركة الدردارة، وفي الوقت نفسه، تقدمت مدرعاتهم من «بوابة فاطمة» باتجاه برج الملوك، القليعة، مرجعيون، حيث قرروا على وجه السرعة إقامة تجمع للآليات بين المدرسة والمستشفى في البلدة، وبادر عدد من الجنود الى أخذ وضعية الاسترخاء، قبل أن تنهمر عليهم من كل الاتجاهات القذائف المضادة للدروع، حيث شوهدت سبع دبابات «ميركافا» تحترق في آن واحد.

وبعد ذلك، جرت ملاحقة الاسرائيليين، بينما كانوا يولولون، وبلغت حماسة بعض رجال المقاومة حد القيام بحملة تمشيط في الشوارع

(التتمة ص 15)

مجلس الأمن: لبنان يرفض «الإذعان» ... ولا قرار اليوم

أجواء التفاؤل التي ظللت التحركات الدبلوماسية في نيويورك نهار امس، سرعان ما تبددت مساء مع الإعلان عن عدم التوصل الى اتفاق، ورفض لبنان اقتراح الانسحاب المتزامن الذي تعرضه فرنسا، مع تمسك اسرائيل بشرط، لا يبدو ممكناً في ظل التطورات الميدانية، والمتعلق بإبعاد «حزب الله» الى ما بعد الليطاني. واستبعدت واشنطن التصويت على قرار اليوم، بعدما كانت أشارت أطراف أساسية الى هذا الاحتمال الذي عززه الإعلان عن توجه وزيرتي خارجية أميركا وبريطانيا الى نيويورك.

وأعلن سفير روسيا لدى الأمم المتحدة فيتالي تشوركين أن المحادثات في الأمم المتحدة حول صيغة القرار قد فشلت وأن روسيا ستقدم مشروعها الخاص الذي يدعو إلى وقف إطلاق نار إنساني.

وأكد تشوركين عزمه على وضع هذا النص بالحبر «الأزرق» أي بصيغته النهائية ليعرض على التصويت اليوم.

وعقد الوفد العربي مساء لقاء مع المندوبين الفرنسي جان مارك دو لا سابليير والأميركي جون بولتون، سرعان ما انضم إليه مسؤولون لبنانيون. وبدا دو لا سابليير عقب اللقاء مكتئباً، غير أنه قال إنه لا يزال متفائلاً لكن بحذر، وأعلن بولتون عدم التوصل الى اتفاق، في حين رفض وزير الخارجية اللبنانية بالوكالة طارق متري الاقتراح

(التتمة ص 15)

مـآزق إسـرائيلية

عزمي بشارة

خرج الوزراء من جلسة الحكومة الإسرائيلية المصغرة يوم 9 آب أغسطس بوجوه مكفهرة. لقد صوتوا دون اقتناع مع توسيع الحرب في لبنان براً. وكانت غالبيتهم ضد توسيع العمليات في بداية الجلسة. لقد فرض الجيش ووزير الأمن ومكالمة رايس الهاتفية مع أولمرت في منتصف الجلسة الماراتونية هذا القرار. يريدون انتصاراً لقوة الردع الإسرائيلية فلغيابه آثار إقليمية غير محصورة، وتريد أميركا انتصاراً سياسياً. هرب الوزراء إلى الأمام. وسيكون دماراً. (ملاحظة هامشية: بعد هذا القرار سوف نبدأ بالسماع عن حركة معارضة حقيقية للحرب في إسرائيل).

الولايات المتحدة صاحبة المشروع السياسي للمنطقة حالياً ترفض وقف الحرب قبل تحقيق إنجاز فعلي، مادي ومعنوي، وباختصار سياسي ضد المقاومة وما تمثله في لبنان وخارجه. فهي تخشى أن تبقى بعد الحرب إزاء تيار إقليمي مقاوم أشد بأساً وأكثر صلابة وشعبية. ولذلك عندما لاحت فرصة للتوقف بعد موافقة المقاومة على نشر الجيش اللبناني في الجنوب

(التتمة ص 15)

«اشتباكات» داخل الحكومة والجيش تمنع ليفني من السفر إلى نيويورك

أولمرت للعسكر: «حوتسبانيم»!

كتب حلمي موسى:

الجيش وأضعف عزيمة المستوى ... بين ما يقال في العلن وما يقال في ... تسيبي ليفني التي كان من المقرر ... عندما ردت على تقديرات الجيش ... البرية. فقد أشارت تقديرات

«السفير» كما صدرت في ٢٠٠٦/٨/١١.

عودة الجيش إلى الجنوب بعد فراق

لمدة تتجاوز ثلاثين عاماً غاب الجيش، كحضور «رسمي»، عن الجنوب اللبناني. ينهي «عسكر لبنان»، خلال الصيف، العام الأول على عودته إلى الأرض المنتصرة، والجريحة.

تقلبت كثيراً صورة الجنود اللبنانيين في عيون الجنوبيين، طوال الأعوام التي سبقت انقسام وتقهقر الجيش النظامي إلى خارج القرى والبلدات الجنوبية في منتصف السبعينيات. لم تتماسك، على مدى تلك الفترة الطويلة، رؤية جامعة لحامي استقلالنا (على ما يقول النشيد المعروف) في تلك العيون. حتى في «العين الواحدة»، لم تستقر صورة واحدة.

تباينت علاقات المؤسسة العسكرية بأهالي الجنوب، على إيقاع طلعات وسقطات عنيفة، هادرة، تغيّرت وتموّجت بألوان التحولات السياسية والأمنية العميقة التي عصفت بالبلاد، خلال مرحلة ذات دلالات كبرى في تاريخ المنطقة .

بين الأداء السياسي والعسكري الذي صبغ تولّي فؤاد شهاب، حكومة انتقالية، قبل توليه رئاسة الجمهورية، ثم انقلاب هذه السياسة جذرياً بعد الرئاسة الشهابية للجمهورية... وبين أحداث نهر البارد، المستمرة حتى اللحظة، والرامية بظلالها ولو من بعيد على نبض الشارع الجنوبي إزاء العسكر اللبناني الرابض في زواياه ووسط بلداته وعلى حدوده مع العدو الإسرائيلي... تبدو مهمة الإحاطة بالمزاج الجنوبي الراهن في ما يتعلق بالجيش مليئة بالتحدي، على طريقة تركيب «بازل» من آلاف القطع.

وفي الوقت نفسه، يسوقك التجوال، في بعض القرى الجنوبية اليوم، إلى انطباعات عدة ومختلفة، وأحياناً بسيطة: من تعاطف الأهالي مع الجيش وشهدائه في نهر البارد، إلى محبة من القلب وتشكيك من العقل بقدرة هذا الجيش على حماية الجنوب فعلاً بالمقارنة مع «حزب الله»، إلى الاحتفاء بعودته ممثلاً للشرعية والدولة بعدما سادت «الميليشيات» طوال أعوام مصيرية.

نبدأ...

انبعاث من رماد

من بيروت إلى الجنوب تتوالى اللوحات الإعلانية المثبتة على جانبي الطريق. ملصق جديد ضخم يقول «رمادي حياة للبنان»، وفي وسطه رسم لجناحين رمادين وارفين، يمثلان طائر الفينيق الشهير المنبعث دوماً حياً من رماده، وينبثقان عن **دائرة شعار الجيش ذي الكلمات الثلاث «شرف، تضحية، وفاء».**

تكسر السلسلة الترويجية العسكرية «إعلانات» تخبر المار بسيارته عن عدد جسور المشاة التي تمول إيران بناءها من بعد حرب تموز، وأخرى تعده بأن الصورة الغائمة لموقع الانفجار الذي استهدف الرئيس الشهيد الرفيق الحريري ستتضح الآن، وقد أقرت المحكمة الدولية تحت البند السابع.

تعود إلى المزاج العسكري العالي مع ملصق «تجاري» كبير، موقّع من قبل «أبو مرعي جروب»، يظهر جندياً مموهاً، بكامل عتاده، ويصوّب على هدف غير مرئي: «اللـه معك... كلنا معك».

«شحنة» أولية من «المفارقات»، التي لا يسبر «فذلكتها» سوى المتابع الحثيث لعقد السياسة اللبنانية الداخلية.

في **أرنون** «الشيعية»، يدل المختار علي غزال، إلى الموقع الشهير الذي شغله الجيش اللبناني (١٩٦٠١٩٧٥) تحت **قلعة الشقيف** المطلة من تلّتها على القرية.

يشير بيده إلى ما تبقى من الدشم الحجرية المميزة والمتينة، والمغروس نصفها في الأرض: «عندما ضرب الطيران الإسرائيلي، في أوائل السبعينيات، خلّف حفراً بعمق أربعة أمتار ولم ينل من هذه الدشم التي اختبأ العسكر خلفها فلم يمت منهم أحد»، مضيفاً أن الموقع كان يضم أيضاً مدفعية ومضاداً للطيران.

بحسب غزال، فإن أرنون (حوالى أربعة آلاف نسمة)، ذات التاريخ «الأسعدي»، قدمت حوالى عشرين منتسباً إلى الجيش ومنهم ١٥ متقاعداً: «**طبعاً نحب الجيش، لا أحد يحمي البلد غير الدولة، تماماً كما أنه لا أحد يقاتل الاحتلال كما المقاومة**».

المعادلة هنا تقول بحماية الجيش لـ«يوميات» القرية، فيما تعود الحماية الأصل، أي من المعتدي الإسرائيلي، إلى المقاومة.

في الربيع الماضي، كان الحاجز الموجود الآن في ساحة أرنون يضم نحو عشرين عسكرياً، وملالتين. لكن الأخيرتين سُحبتا مؤخراً، وأرسل جزء كبير من الجنود إلى نهر البارد.

مقابل الحاجز نفسه تجلس مجموعة من الشبان على «سطيحة» محل مقفل وقت الظهيرة. يتحادثون ويدخنون. يعرض أحدهم العلبة الصغيرة ذات العلامة الإيرانية: «سيجارة؟». هو محمد رمال (٢٣ عاماً) الذي أنهى المرحلة التعليمية المتوسطة ويعمل الآن «في العمار»: «نعرف الكثير من الجنود الذين يأتون إلى هنا، بعضهم من محيط النبطية، وكنا في الأصل أصحاباً نلعب وإياهم البيلياردو، بل نحن من بنى لهم هذا «الغريت»، (الغرفة الصغيرة المعهودة على الحواجز)».

يتضح، بعد دردشة متحفظة، أن محمد منضو ضمن «حزب اللـه» منذ عام ١٩٩٧: «**قبل فترة قررت التطوع في الجيش لكنهم رفضوني لأني وحيد أهلي. لم أكن أنوي ترك الحزب**



قافلة للجيش اللبناني اثناء مرورها بين الزهراني وصور للانتشار في الجنوب (٢٠٠٦/٨/١٨).

طبعاً، لكني فكرت في تأمين مستقبلي. الجيش أسهل. فربما أتمكن، مع بعض المساعدة، من البقاء قرب أهلي، ويمكنني أن أضع البارودة وأذهب إلى قيلولة بعد الظهر في البيت. انضباط الحزب أقوى بكثير، ولا أحد يعرف أين يصبح، لكن المدخول والتقديمات أفضل من الجيش بكثير».

ثم يستدرك محمد: «المهم أني غيّرت رأيي، ومنيح أنهم رفضوني في الجيش، فأنا في رأسي ثلاث كلمات لا غير: إيمان، جهاد، شهادة. أفضل الآن أن أموت بعزّة، لا تسأليني عن قصدي، افهميها أنت كما تريدين». أما مهدي عطية (١٩ عاماً ويدرس الرسم المعماري في مهنية النبطية) فيفهم إيجابية وجود الجيش في صلاحية إيقاف أي سيارة مشتبه بها، «بينما الحزب، ولو أنه لاقط المنطقة، لا يستطيع أن يفعل ذلك لأنه ليس الدولة».

كفرتبنيت قريبة. نتوقف للسؤال عن مختارها، ليتبين أننا نتحدث إليه، وقد لفتته لوحة الإيجار الخضراء على السيارة، فربط لاحقاً بينها وبين تعالي الإحساس بالأمن الذاتي في المنطقة بسبب سلسلة السيارات المفخخة في لبنان: «أتتنا مؤخراً مجموعة تقول إنها تعمل مع جمعية إيطالية غير حكومية، وتسعى إلى مساعدة الأهالي بعد حرب تموز، لكنهم جالوا على المنازل وكانت أسئلتهم من نوع: أين شباب البيت؟ مسافرون؟ إلى أين؟... بلّغنا عنهم. يعني، بلا مؤاخذة، أنتم توقفتم عندي، ولو لم تفعلوا لكنت أوقفتكم أنا».

يقول المختار حسن فقيه إن الجيش كان موجوداً في كفرتبنيت (الشيعية) قبل التحرير، بحاجزي جيش ومخابرات، وأن هناك من كفرتبنيت حوالى ثلاثمئة منتسب إلى الجيش وقوى الأمن، مع غالبية في الجيش.

بعد التحرير، صارت هناك نقطة واحدة معززة للجيش. خلال حرب تموز، انتقلوا إلى موقع يبعد حوالى خمسين متراً عن موقعهم الأول، «وكان تموينهم يصلهم من قيادتهم، وكلما مر عناصر حزب اللـه بالجنود سألوهم إذا كانوا بحاجة إلى شيء، العلاقات طيبة... دائماً».

وكما هم دائماً أبناء المؤسسة العسكرية، ما زال الحاج ابراهيم شرف الدين (كفرتبنيت) ابن «التنشئة الوطنية» التي «خضعت وزملائي لها، منذ أن انتسبت إلى الجيش عام ١٩٥٨ وحتى تقاعدي عام ١٩٨٠، بل وحتى اليوم، لا نسأل عن الأديان، وننام إلى جانب بعضنا البعض باطمئنان».

ما زال بعض التاريخ طازجاً في ذهن الحاج: «كنت سائقاً في الجيش، جلت في صور والبياضة والقطاع الأوسط وبيت ياحون وبنت جبيل... أنا مرتاح لأني ظللت أخدم في الجنوب بالرغم من كل شيء، ولو لم أحصل على ترقية... عام ١٩٧٥ كان مركزي في ثكنة النبطية، أنقل أولاد العسكريين الى المدارس بالبوسطة، وحكماً، لأني مسلم، صرت تابعاً للجيش العربي. أذكر أني عام



آليات للجيش اللبناني تنتشر في بلدة مروحين (٣/١٠/٢٠٠٦).

١٩٧٦ دخلت عند قائد الفوج، المقدم فرح، وقلت له أن المجندين المسيحيين يهربون من الثكنات خائفين، ماذا نفعل؟ يجب أن تكون ثكنتنا نموذجية، فقال لي هذه شغلة أكبر مني ومنك، لا نستطيع أن نفعل شيئاً. عندما سقطت العيشية (قضاء جزين)، تطوعت مع ٢٥ جندياً لحراسة دير النبطية، وشجعنا قائد الثكنة».

نستزيد ذاكرة الحاج ابراهيم: «بعد قيام الثورة الفلسطينية (أواخر الستينات) صارت الناس ترمينا بالحجارة، وتبصق علينا. لكن من معه ليرة ذهب لا يستبدلها بربع نحاس. كانت الفكرة أن الجيش ضد القضية الفلسطينية. نحن كلنا مع القضية، لكن قضيتنا أولاً، بلدنا أولاً».

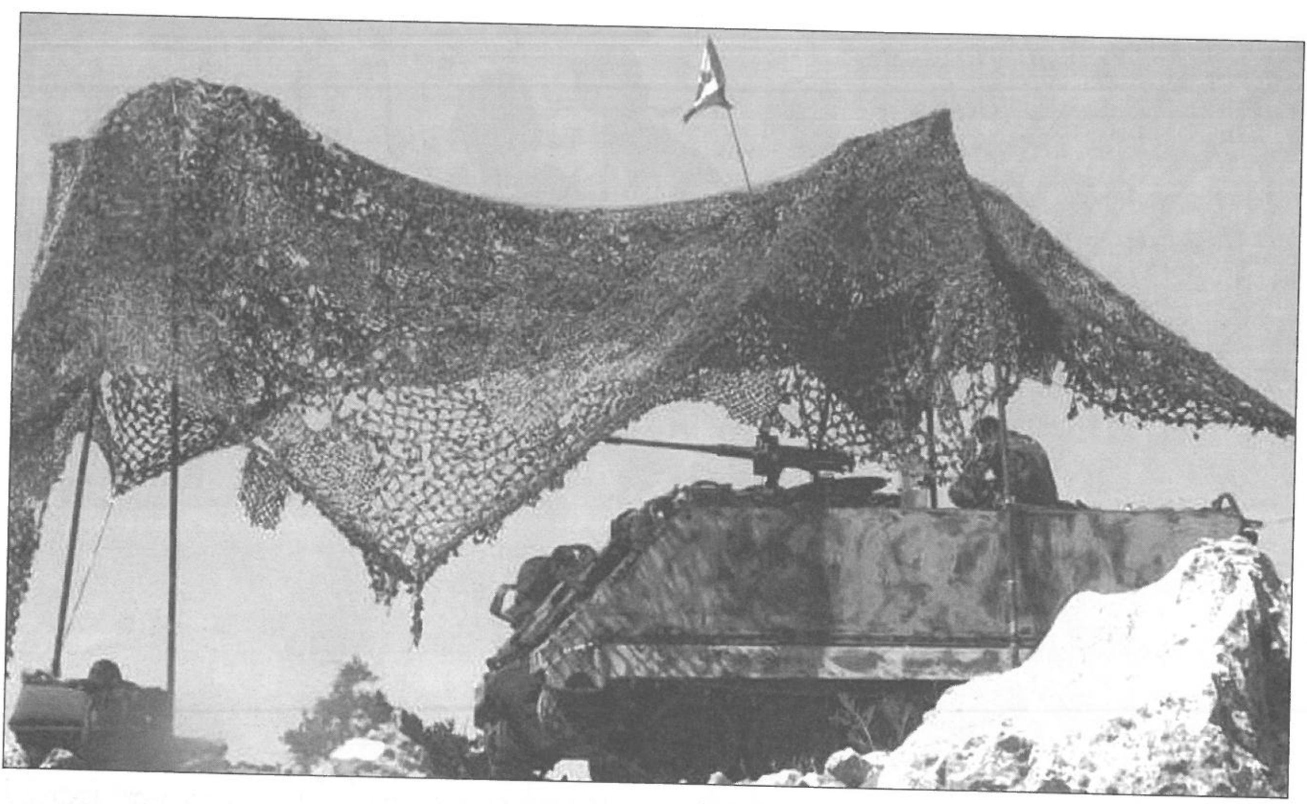
غير أن المقام الأول، بالنسبة إلى ابن الحاج شرف الدين، هو الارتياح إلى من يحميه: «أنا لا أرتاح سوى إلى المقاومة، ولا سيما في ما يخص الأمن وبعد الكاتيوشا المجهولة التي انطلقت فجأة من العديسة باتجاه الإسرائيليين. عندما تعرف قوى الأمن طائفتك... لا أعرف... أنا لا آمن لهم. عقيدة الجيش قوية، هذا صحيح، لكن أحداً لا يقدر على ضبط الوضع مثل المقاومة».

تحضر السامع فوراً تلك اللوحة على أحد طرقات الجنوب: **السيد حسن نصر اللــه في وقفته الخطابية المعهودة، يشير بيده إلى أعلى. اللوحة مركّبة على خلفية قاذفة صواريخ، والشعار: «رهن إشارتك».**

قفزة إلى **كوكبا**، حيث كلام الأهالي لا يحيد عن حفاوة عارمة بـ«عودة الدولة»، وإن كان عديد الجيش «غير كاف لمحاربة إسرائيل، لكن مجرد وجوده يحمل دلالة معنوية بالنسبة إلينا».

في هذه القرية المسيحية القرميدية المنمنمة، تغري بالإصغاء حكايات جندي متقاعد آخر. كان المؤهل أول، فندي عطا اللــه، عام١٩٦٧، ضمن قطاع الهندسة، وتمركز في الهرماس، على طريق مرجعيون حاصبيا: «كانت الأوامر بتلغيم الطريق منعاً لتقدم القوات الإسرائيلية، لم يأتوا صوبنا، لكننا رأينا العسكر السوري قادماً من الأحراش إثر سقوط الجولان، صرنا نحولهم على المصنع. ثم جاء الفدائيون الفلسطينيون، واتفاق القاهرة. كانت أوامرنا ألا نسمح لهم باجتياز النهر (الحاصباني). جاءنا ضابط منهم، قال يريد شاياً، رفضت. قال نحن عرب مثلكم، فقلت أنا لست عبد الناصر لأعملك وحدة عربية هون، قال معي ترخيص. وهكذا أتوا خمس أو ست مرات، كانوا يتناولون الغداء عندنا، وفي الليل يخرجون لتنفيذ عمليات ضد إسرائيل».

يذكر عطا اللــه جيداً قائد الجبهة الذي وصل إليه من الهبارية. يذكر لقبه: «أبو الشعر»، الذي أصر على المرور، لكن «إذا ما في أوامر فلن تمر مهما حصل». عاود إصراره، «وكان مستقوياً، فكذبت وقلت إن المركز ملغّم، وإني سأفجره به وبنفسي إذا حاول المرور عنوة. علمت في ما بعد أن بعض أهالي



موقع للجيش اللبناني في شبعا (١٨/٩/٢٠٠٦).

الهبارية كانوا قد تراهنوا، على مبلغ من المال، بأن فندي عطا اللــه سيوقف أبو الشعر. ربحوا الرهان، لكن ما طلعلي شي!»، ويزفر قهقهة. عام١٩٧٦، التحق عطا اللــه بوزارة الدفاع في بيروت. كان الجيش قد رحل عن المنطقة. عادت «كتيبة كوكبا» في الثمانينات، لكنها لم تصمد أمام قصف سعد حداد لها من مرجعيون. «عندما رحل الجيش، رحلت الدولة»، يخلص عطا اللــه، فيما يداعب حفيده ميشال (٨ أعوام).

كان ميشال قد ركّب في أرض الدار ثكنة خشبية كاملة، وسيّجها بألعابه من الجنود. نسأله عن «الشورت» المرقّط الذي يرتديه، فيقول إنه هدية عيد ميلاده، ويكمل لعبته. وإذ تنتبه الجدّة، أغنيس، إلى الكاميرا تصور حفيدها، تحثّه على زيادة الجنود الصغار لصورة أحلى: «ضع معهم غرندايزر».

أما الجدّ عطا اللــه، فقد تذكّر أخيراً بيتين من القصيدة التي نشرتها له مجلة **الجندي**، وفاز عنها آنذاك بجائزة قدرها ٢٥ ليرة، عندما «كان الفدائيون وهجمت علينا إسرائيل»: «عدونا ع حدودنا لما انتشر/ فكّر بضم جنوبنا قلنا فشر/ قالوا المدرعة بتحرق حريق/ تاري بتحرق زرع ما بتحرق بشر!». تطلق العائلة هيصة فرحة.

لو كان لبلدة **الخيام** وجه، لقال من يراه إنه مصفر، متعب. الدمار الذي خلفته الحرب الأخيرة ما زال تقطيبة مغبرّة. ٨٥ في المئة من البلدة، ذات الخمسة عشر ألف ناخب، شيعية، والبقية تنويعات طوائف مسيحية. قبل حرب تموز، كانت هناك حواجز طيارة للجيش، وقد باتت الآن ثابتة. أما التواجد الفعلي الوحيد للدولة في المنطقة، فكان في ثكنة مرجعيون، حيث مكثت قوى الأمن الداخلي، لا الجيش. **لذلك، لم تنل قضية «شاي مرجعيون» من معزّة العسكر في النفوس هنا، لأن الفصل واضح بينهم وبين الدرك.** غير أن الفصل بين قلوب ترقّ على الجنود وبين الإيمان بـ«خبطة قدمهم هدارة» يبقى متداخلاً.

تعتبر هلا وهبي أن «الجيش حرام، معترين، يحرقون القلب، لا يضايقون أحداً ويحترمون الكل... نراهم يطلعون أوتوستوب عندما يذهبون في مأذونية لأن إيجار الطريق يكسر رواتبهم».

أما أحد الجالسين في دكان المختار أحمد حسان فيقول إن «**أبناء المقاومة موجودون في كل بيت، وهذا ليس سراً... المقاومة أقوى من الجيش، لكن الجيش هو المعنويات وهو الداعم أصلاً للمقاومة. ماذا تغيّر بعد انتشار الجيش؟ لا شيء**».

يشرح المختار حسان القصد: «يعني المقاوم في الحرب مقاوم، تنتهي الحرب، ويعود مدنياً إلى مصلحته أو وظيفته. إذا حصل شيء، لا أحد يقدر على منع المقاومة. لكن ما تغيّر هو أن الوضع لم يعد على طريقة، اللي بيروح يروح واللي بيجي يجي. مثلاً، في الخيام الآن حوالى ستمئة عامل سوري، ومع محيط البلدة يقارب العدد الألف، أي أنهم زادوا بعد الحرب، يأتون للعمل



الجيش اللبناني يزيل خروقات إسرائيلية في سهل الخيام (٢٦/١٠/٢٠٠٦).

في الزراعة والعمار. صاروا ملزمين بتسجيل أسمائهم لدى مخابرات الجيش للحصول على تصاريح مرقّمة أو تحديد شخص يكفلهم، يعني تنظيم وسهولة تعقّب إذا ما دعت الحاجة».

خارج دكان المختار ثلّة من العمال السوريين في استراحة الغداء. الاقتراب للتكلم معهم يجعل الأرض تنشق عن رجل يسأل من نكون، ويصر على رؤية بطاقة الجريدة. لباسه مدني، فمن هو؟ «أمن عام»، يجيب. لكن لا شيء في هيئته يدل على «الأمن العام». «اليقظة» أيضاً في كل بيت وزقاق.

في **القليعة** المارونية، جارة الخيام، يبدو لمن يجول بين الأهالي أن كل بيت قد أخرج إما مهاجراً أو عسكرياً. كان تعداد القرية بحدود خمسة آلاف مقيم، ومنذ عام ٢٠٠١، تقلّص إلى أقل من النصف، ووجهة الراحلين أوروبا في المقام الأول، «بالإضافة إلى بضع عائلات في إسرائيل»، بحسب المختار شفيق ونا، الذي يضيف أن واقع الهجرة ازداد حدّة بعد حرب تموز، إذ بلغ سعر الفيزا، المهدة لتقديم طلب لجوء، أربعة آلاف دولار في السوق السوداء.

يقول المختار ونا إن مداخيل أهل القليعة، «تتكل تاريخياً على أبنائها المنتسبين إلى الجيش، بالإضافة إلى أقلية من معلمي المدارس في الطيبة وحولا وزوطر (قبل عام ١٩٧٥). في السنوات الخمس الأخيرة مرّقوا حوالى ثلاثين أستاذاً توزعوا على القرى المحيطة، قبل أن يتوقف التعاقد مع الدولة، والزراعة عندنا مشلولة كما هو الحال في معظم لبنان. كنا، قبل الحرب الأهلية، الخزان البشري الثاني للجيش وقوى الأمن، من بعد عكار، أي حوالى ستمئة شخص. لكن من بعد تقاعد معظم هؤلاء او وفاتهم، ليس من القرية، ومنذ عام ٢٠٠٢، أكثر من عشرين عسكرياً، بالإضافة إلى ١٥ دركياً على أساس التعاقد».

يعتبر ونا أن «اتفاق الطائف أوجد الحلول للجميع إلا لنا». يشرح أنه سُرّح من الجيش وقوى الأمن، ما بين العامين ٢٠٠٢ و٢٠٠٥، أكثر من مئة شخص من القليعة، لأنهم «عملاء». يخبر أن شخصاً تم تسريحه «لأنه عندما كان في العاشرة من عمره ذهب في رحلة ترفيهية إلى إسرائيل! لجأنا إلى الكثير من المسؤولين، ودائماً يقولون لنا إن الوضع السياسي لا يسمح بفعل شيء، وأنا أتحدث عن معظم الأحزاب والمرجعيات الروحية، حتى المسيحية منها. أذكر أننا مرة شكّلنا وفداً وقصدنا الرئيس نبيه بري، كان ذلك عام ١٩٩٨ أو ١٩٩٩، وقال لنا «كل من يقول لكم عملاء فهو عميل، لأنه لولاكم لما بقي جنوب». حاولوا أن يخدمونا بوظائف لكن ما عم تظبط. يا عمي أنا أرضى بمحاكمتي، لكن هل كانت هناك دولة في ال ٧٥ و٧٦، وصار معنا هيك؟».

يصادق الكلام مع أهالي القليعة على ما يورده مختارها: «لا شك أن وجود الجيش الآن مريح نفسياً، نرى سيارة درك أو جيش أو حتى سيارة مؤسسة كهرباء لبنان، فنشعر أننا في دولة لا دويلات. لكننا عملياً لا نستفيد». الجميع هنا يناشد الطبقة السياسية: «إما سووا لنا أوضاعنا، كما فعلتم لبعضكم البعض، أو سيجونا بشريط! لكن هذا الوضع لم يعد يحتمل».

أنت الآن على الشريط الحدودي بالضبط، في **كفركلا**، قرب بوابة فاطمة الشهيرة. إلى يسارك «كشك» كبير بلافتة «مركز التبرعات لدعم المقاومة الإسلامية»، وإلى اليمين يتمركز الجيش اللبناني. أنت تنظر إلى فلسطين المحتلة، وخلفك محل بيع ثياب يملكه حسن برو الذي يرى أن «وجود الجيش هنا، مدعّماً بقوات اليونيفل، لم يغير كثيراً من جو الاستنفار والتوتر، خصوصاً بعد الخرق الأمني بانطلاقة صاروخ الكاتيوشا من الجنوب مؤخراً، علماً أن هذا النوع من الخروقات كان يحصل أحياناً حتى على أيام حزب الله، وتصعب السيطرة عليه».

لكن زوجته تصر: «لا أعرف، أنا كنت أشعر بالأمان أكثر على أيام الحزب». يكمل برو: «لا أخفيك، دائماً نشعر أن الكلمة الأعلى لـ«اليونيفيل»، المراكز الحساسة لهم. أيام «حزب الله»، كان عناصر «حزب الله» مدنيون، بلا ظهور مسلح، لكنهم كانوا معروفين، والإسرائيلي لا يجرؤ على الاقتراب. هلق بيزنخوا على الجيش، ومرة سحبوا السلاح، لذلك جاء «اليونيفيل» إلى هنا. والطريف أن جنود «اليونيفيل» كانوا في البداية يديرون وجوههم باتجاه الشريط، لكن منذ أن تكاثرت الأخبار عن إمكانية استهدافهم، صارت ظهورهم للشريط نفسه! القصة معقّدة».

القصة بسيطة بالنسبة إلى محمد فياض ومحمد حاوي ونايف موسى الذين يمضون فترة بعد ظهر هادئة على شرفة منزل مواجه أيضاً لبوابة فاطمة. لهم أبناء موزعون بين الجيش والدرك. يتفق فياض وحاوي على أن «الوضع الأمني قبل انتشار الجيش، وقبل حرب تموز، كان عادياً. فأمن المنطقة أصلاً مرهون بالكبار. لكن خفّ كثيراً الآن احتمال صدام أو إشكاليات تستدعي الرد».

وماذا عما كان يقال عن أن انتشار الجيش على الحدود سيكون لحماية أمن إسرائيل؟ «هذه أشياء سياسية وقرارات كبيرة لا نريد أن ندخل فيها كي لا نفسّر خطأ. المهم أننا كنا من الأول نتمنى أن يأتي الجيش إلى هنا، فيصبح أولادنا إلى جانبنا». يضيف موسى: «**الجيش هو الوطن**»..

يوم وصولنا إلى **شبعا** كان التالي ليوم حدوث «الإشكال» بين شبان من أنصار تياري الموالاة والمعارضة في مقهى للنراجيل. البلدة السنّية، الذائبة جدران محلاتها ومنازلها بصور الرئيس الشهيد رفيق الحريري، تبدو كالواقفة على ساق واحدة.

فعالياتها مجتمعة ومنكبّة على عقد الصلح بعدما «شدّت» القوى الأمنية عدداً من المتعاركين. من يدري ما كان ليحصل لولا تواجد الدولة الآن وهنا؟ سؤال يرد على ألسنة الكثيرين. «في كل قرية تحدث تصادمات، حزبية أو عائلية أو شخصية. لكن هذا الإشكال ليس حزبياً كما ورد في الإعلام. شباب متحمسون وحزازيات بسيطة، والأمر انتهى سريعاً بالقبلات المتبادلة»، بحسب المهندس درويش السعدي الذي يضيف أن وجود القوى الأمنية «خفف الاحتقان بلا شك، وإلا ربما كانت الامور تأزمت أكثر شوي». **يحكى كثيراً في شبعا عن الاستقبال المميز للجيش اللبناني الذي عاد إليها بعد عقود طويلة: «من أيام فتح لاند، خرج الجيش ولم يعد»، يقول السعدي، «ويوم أعاد انتشاره هنا أقيمت الاحتفالات وذبحت الخرفان»**... «منذ السبعينيات ونحن محرومون من الدولة وأجهزتها، الوجود الفلسطيني في الماضي، والاحتلال الإسرائيلي... كانت مراحل عصيبة»، يقول الحاج محمد، «الجيش هو الأمن، الجيش هو الوطن، الجيش هو الذي يحمينا في نهر البارد وفي كل مكان».... «عندما انقسم الجيش في الحرب الأهلية، رأى الكل أين وصل البلد، لا عاقل ينظر إلى الوراء»، يتابع السعدي، «الناس تعلّمت من التجارب السابقة، والجميع مقتنع بجيش متماسك». مفردات من نوع «قريتنا البعيدة» و«المحرومة» تتردد مراراً في شبعا، تماماً كما «الجيش للكل»، حتى لو كان إشكال «الحزازيات البسيطة» الأخير قد اتخذ طابعاً سياسياً طائفياً. «عام ٢٠٠٠ كان «حزب الله» هنا»، يقول دليلنا إلى حدود شبعا مع فلسطين المحتلة. نحن خلف الخط الأزرق مباشرة، والسهم الذي يشير إلى مزارع شبعا على مرمى حجر. هنا «عملوا ملعب رياضة»، ليكتشفوا طبيعة الأرض ويهيئوها لإحدى عمليات الأسر الشهيرة. على رأس التلة العالية والأخيرة في لبنان، من حيث نقف، مركز لكتيبة هندية عاملة ضمن «اليونيفيل». يمر بنا جيب للجيش، مستفسراً عن وجودنا وكاميرا التصوير. لا يكاد يبتعد لأمتار إلا ونسمع تبادل الصيحات بينه وبين الجنود الهنود في الأعالي. لقد قلقوا من منظرنا، وشددوا على الجنود اللبنانيين الا يسمحوا لنا بالتصوير. «صار الجيش أكثر تشدداً من بعد أحداث نهر البارد وصواريخ الكاتيوشا، الهنود عم يعيطوا عليهم»، يشرح الدليل. ويكمل السرد: «هنا أيضاً سقط الشهيد الأول مع «فتح»، الأخضر العربي». صورة الأخ كمال شاتيلا تصل إلى هذه الأصقاع أيضاً؟ اللافتة الموقعة من قبل «هيئة أبناء العرقوب» تقول إن «تدويل المزارع احتلال مقنع».

طريق الخروج تمر بما يعرف بـ«حي السنديانة». حاجز للجيش. تفتيش وسؤال عن البطاقات. هذا جيش لبناني، على الأرض اللبنانية، يحميها.

(رشا الأطرش، «السفير»، ٢٠٠٧/٧/١٨)

يعيش في الخيمة بالقرب مما كان بيته وشجره

يكاد المنظر يكون سريالياً: تنتصب خيمتان زرقاوان وشادر وسط الدمار والخراب. داخلهما عائلة مؤلفة من أب وأم وطفلين لا يتجاوز سن الكبير السادسة، بينما يبلغ الصغير الثالثة. قد تبدو الأسماء غير مهمة، ويمكن الاكتفاء بأنها قصة إحدى العائلات الجنوبية التي تركت منزلها في إحدى القرى الجنوبية في يوم من أيام شهر تموز ٢٠٠٦ لتعود إلى دمار لم تشهد له مثيلاً يحمل توقيع «دولة إسرائيل».

تقترب من رب الأسرة، فتجد أنك لست بحاجة لأن تسأله أي سؤال، «فقلبه من البعجور منجور»، ولديه الكثير ليقوله، إلا أنه لا يعرف من أين يبدأ. تتخبط الأفكار في رأسه، فيبدأ الكلام في مكان لينتهي في مكان آخر، تبدو أفكاره المشتتة أقرب إلى الواقع الذي يعيشه: دمار وخراب «على مدّ عينك والنظر».

هو مواطن لبناني من **عريضة دبين**، قرية صغيرة كان نصيبها ما يفوق ٢٠٠ غارة إسرائيلية، فلم يسلم منزل فيها. اسمه محمد ياسين، يعيش منذ الرابع عشر من آب مع عائلته في خيمتين وشادر خلال النهار، أما الليل فقصة أخرى، إذ ينتقل للمبيت في بيت عمه (أهل زوجته)، لأن الخيم لا تؤمن ضروريات الحياة من مياه أو كهرباء وغيرها. وقد جاء القرار بالنوم خارج الخيم بعدما وقع صغيره علي على وجهه، «وكان الأذى الذي لحق به أصعب بكثير من الحرب وأيام النزوح».

يروي محمد كيف حاول الصمود مع عائلته الصغيرة في قريته. بقي صامداً طوال ١٦ يوماً، على أمل أن تنفع المساعي الدبلوماسية. ولكن الأمل لم يأتِ بثماره. ومع اشتداد وتيرة القصف، حمل عائلته **ونزح نحو الضاحية الجنوبية**، ولكن الطيران الإسرائيلي كان قد سبقه إليها، فانتقل بعائلته إلى **طريق صيدا القديمة**. ولكن الطيران الإسرائيلي لم يتركه بحاله هو وعائلته وآلاف المواطنين المدنيين. وكان صوت المقاتلات أقوى من أن يحتمله يوماً آخر هو أو أي فرد آخر من عائلته. ويعترف محمد أنه «لم يعد يستطيع الحفاظ على هدوء أعصابه، ومنذ بدء العدوان وهو يصرخ في وجه طفليه».

هكذا، اتخذ القرار بالذهاب نحو منطقة بعيدة وآمنة، فوقع الخيار على **فاريا**. لم تكن الحال أفضل هناك، إذ اضطر إلى دفع مئة ألف ليرة لبنانية إيجاراً للشاليه في الليلة الواحدة. وكان عليه أن يدفع مسبقاً أجرة ثماني ليالٍ، حتى لو أمضى منها ليلة واحدة فقط.

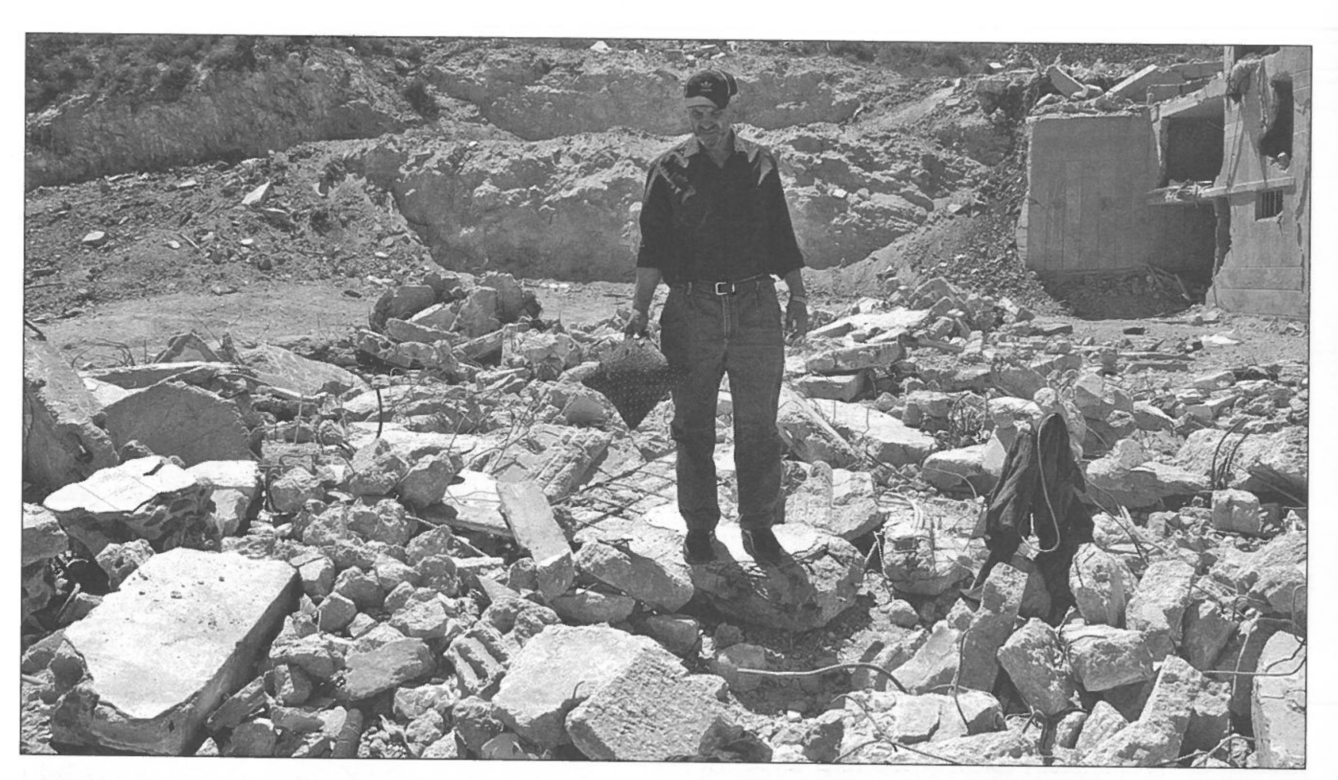


كاريكاتور من صحيفة لوتام السويسرية عن لبناني بين انقاض حيه السكني يرفع سماعة الهاتف حيث يقول المجيب: شكراً لاتصالك بالمجتمع الدولي اننا في اجازة

لذلك ما إن دعا الرئيس نبيه بري النازحين إلى العودة إلى منازلهم وقراهم في الرابع عشر من آب، حتى حمل عائلته **وانطلق عائداً إلى قريته**، علماً انه كان يعرف انه لم يبق منها الكثير. اشترى خيمتين، وحصل على الشادر من البلدية بعدما أخذت تعهداً منه ومن كل من حصل على شادر أن ينصبه ويقيم فيه.

يقف محمد أمام دمار كان في يوم ليس ببعيد عالمه والحلم الذي عمل من أجل تحقيقه. «انت ترين دماراً، وقد لا يعني لك شيئاً. ولكن هل ترين هذا الجذع؟ هو ما تبقى من شجرة جوز كبيرة كانت تنشر ظلها على الحديقة. هذا هو السبب الذي دفعنا إلى بناء سطيحة هنا، هل ترين آثارها؟ لقد بنيتها بيدي. وهناك حيث أكوام الحجارة والركام كان يوجد بستان فاكهة، وهنا كان الدرج الذي يؤدي إلى حديقة البيت، هو من الحجر القديم، وكان هناك قنطرة تستقبل الزوار. وهنا حيث الردم كان يوجد محلان تجاريان، كانا مصدر رزقي. حتى لو دققت النظر لن تتمكني من تبيان شيء. **ولكن كان هناك شجرة جوز كبيرة وبستان فاكهة وقنطرة ومنزل ودكانان. كانت توجد حياة، وجاء الحقد الإسرائيلي وحاول انتزاعها. لم يخلف وراءه هذا الحقد سوى الدمار. ولكنني لست آسفاً على شيء. فأنا أعرف مدى الحقد الإسرائيلي. وأنا باق، لذلك نصبت الخيمتين. هذه أرضي، وهنا بيتي وحياتي»**.

هو ليس آسفاً، ولكن هذا لا يمنع شعوراً بالمرارة. فهو ينتظر لفتة من دولته منذ الرابع عشر من آب. ولكن لا شيء.


يقف فوق ركام منزله الذي دمره القصف الإسرائيلي في بلدة النميرية.

لم نر أحداً من الهيئة العليا للإغاثة. «ليس أننا بحاجة إلى معلباتهم أو مساعداتهم العينية. لا. أبداً. نحن فقط بحاجة أن نشعر أن هناك من يسأل. نحن لم نر أي مسؤول. كي لا أكون كاذباً، مر موكب أحد نواب المنطقة. وكان النائب في سيارته يرفع زجاج النافذة كي لا يطاله الغبار. أما بالنسبة لسيارات موكبه، فمصروف وقود هذه السيارات يمكنه أن يعيل عائلات هذه المنطقة لأيام».

نعم عتبه كبير على دولته، فهو سمع ما قاله رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة حول موضوع التعويضات، وقد زاده هذا الكلام أسى. «لقد طلب منّا أن نصلح منازلنا، ومن ثم نقوم بتقديم الفواتير لنحصل على تعويضات. أنظري جيداً حولك. أنظري، هذا الدمار كان مصدر رزقي، فهل يعتقد السنيورة أنني أملك مالاً لأقوم بإصلاح منزلي؟ ما أطلبه من الدولة هو بناء مساكن لنا. كما أطلب منها أن تشرح لنا ماذا ينتظرنا كي أعرف ما علي أن أفعل بولدي. لقد وعد الحزب بدفع تعويضات إيجار. ذهبت إلى مرجعيون وإلى جديدة مرجعيون بحثاً عن منزل للإيجار. لا توجد منازل للإيجار».

هناك عتب آخر، وهو موجه إلى المجتمع الدولي والسفارات الأجنبية في لبنان. وهو عتب كبير جداً. «هل مجرد كون الإنسان يملك جواز سفر أجنبياً يجعله من البشر، وإلا فهو لا قيمة له؟ هل لأن ولديه لا يملكان سوى الجنسية اللبنانية يصبح دمهما مستباحاً؟ نعم عتبي كبير على ما يُسمى بالمجتمع الدولي المتحضر».

قصة محمد ياسين ليست الوحيدة، عديدون هم الذين نصبوا خيماً وشوادر أمام ما كان في يوم منزلاً يحتضنهم وعوائلهم، يحتضن قصصهم وذكرياتهم. هم باقون على أرضهم يحلمون بإعادة إعمارها، وكل ما يطلبون لفتة بسيطة من دولتهم.

(ربيعة سلمان، «السفير»، ٢٠٠٦/٨/٣٠)

«السيد» العربي

على بعد حوالى ١٤٠ كيلومتراً من العاصمة الموريتانية نواكشوط، تقع قرية ليس فيها إلا عشرات البيوت المتواضعة المترامية على الرمال، وبعض قطعان الإبل والماعز وأناس طيبون يحفظون الكثير من الشعر، وينهلون من العلوم التقليدية ويحفظون عن ظهر قلب القرآن والفقه على ألواح خشبية.

حين يتسامر أهل قرية «النباغية» الموريتانية ليلاً، فإنما ينشدون القصائد لسيد المقاومة حسن نصر الله، ويتبادلون الروايات عن بطولات «حزب الله». وما إن يرخي الليل ظلاله، وتزدان السماء بنجومها، حتى يرتفع التصفيق والتهليل والتكبير لما تحمله نشرات الأخبار من اختراقات لشبان المقاومة عبر الحدود.

لا يكاد يمر يوم إلا ويجتمع أهل موريتانيا في ندوات ولقاءات حزبية في نواكشوط، مرددين بلهجات عربية وحسانية وأفريقية في بعض المرات مطالبهم بطرد السفير الإسرائيلي من عندهم، وجمع التبرعات للبنان المحترق.

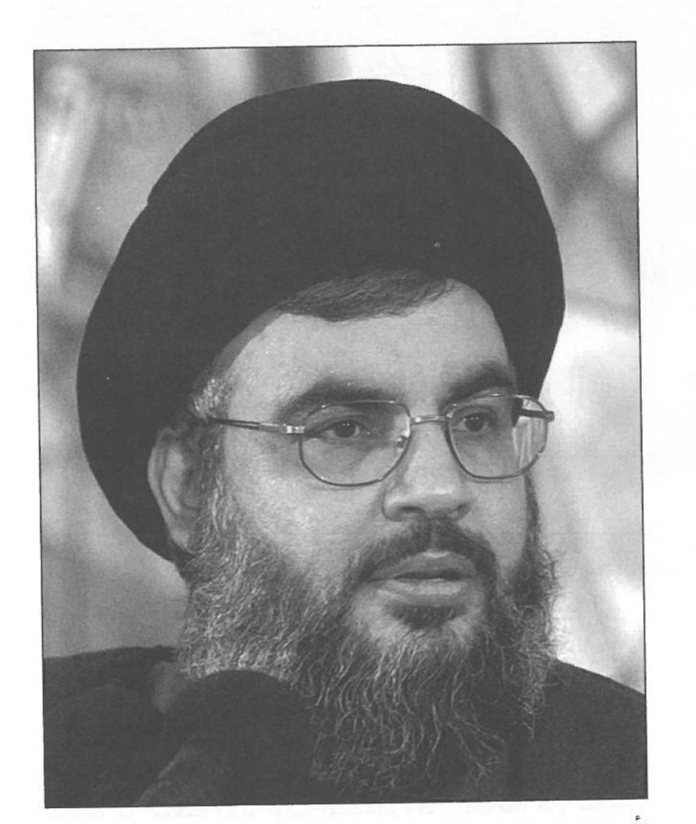
وما يحصل في بلاد الشنقيط، ينسحب على كل المغرب العربي، فمن ينتقل من نواكشوط الى الرباط، قد يجد شيخاً يمنياً عند المطار يسأل عن «السيد»، ويتمتم بعد أن يطمئن على معنويات المقاومة **«اللهم إحفظ لنا هذا القائد العربي المسلم الذي يعيد لنا جزءاً من عزتنا والكرامة».**

لا بل إن رجال الجمارك في **مطار محمد الخامس المغربي،** يسارعون الى التهنئة بما حققته المقاومة، ويحمّلون الزائر اللبناني ألف تحية للسيد نصر الله الذي باتت له ولمقاومته الشريفة ملصقات ومكتبات وأشرطة فيديو في عدد من دول المغرب العربي واليمن وصولاً الى السودان.

وفي الجزائر تفرض طباع الناس على التحية الى سيد المقاومة بعداً آخر، فالجزائري مطبوع على الكلام المباشر الذي قد يوحي ببعض القسوة اللفظية، ولذلك تراه يقرن التحية للسيد نصر الله بكثير من الشتائم للأنظمة العربية، وخصوصاً منها تلك التي سارعت لتنفيذ الإملاءات الأميركية، أو انطلقت من حسابات مذهبية فدانت المقاومة.

وليس غريباً ان يجد زائر المغرب العربي مهندساً الكترونياً تونسياً في أحد الفنادق، يقول «أنا مستعد للذهاب الى لبنان ومساعدة المقاومة وعندي خبرة طويلة في أجهزة الاتصال والالكترونيات التي تعمل في خلال الحرب، **والله هذا الرجل (نصر الله) يشرّف كل الأمة العربية».**

وليس غريباً أيضاً أن تكون مقابلة السيد نصر الله مع «الجزيرة» قد احتلت بعض شاشات مقاهي المغرب العربي. هنا الشبان موزعون حول الطاولات يشاهدون بكثير من الحماسة ما يقوله سيد المقاومة، أو يهبون واقفين عن الطاولات مصفقين لعملية تدمير دبابات الميركافا.



الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله.

لسيد المقاومة بعد عربي بامتياز، وكل من يتحدث ضده خائن في عرف المواطن المغربي، وهنا في شوارع المغرب العربي لا مجال لحسابات سياسية أو مذهبية، ولا حاجة لمعرفة ما اذا كان «حزب الله» «استفز» إسرائيل مرة أم أنها هي التي «تستفز» أنظمة الكهوف العربية منذ أكثر من نصف قرن، وإنما الاهم هو أن السيد حسن نصر الله حقق ما عجز عنه غيره، وثمة من استبدل هنا صورة «تشي غيفارا» على الـ«تي شرت» ليضع مكانها صورة قائد المقاومة، ولم يعد نادراً أن يستقل الزائر إحدى سيارات الأجرة (التاكسي) فيسمع خطابات السيد حسن نصر الله عبر أشرطة التسجيل.

لا شك أن السيد حسن نصر الله قد دخل التاريخ من بابه الواسع، وصار بلا منازع أبرز قادة العرب والمسلمين «كاريزماتية» وصدقاً وشجاعة. لقد كرس قاعدة جديدة تقول «إن العين تقاوم مخرزاً»، وإن «الهزيمة ليست قدراً».

(سامي كليب، «السفير»، ٢٣/٧/٢٠٠٦)



التظاهرة في الأزهر تأييداً للمقاومة الإسلامية

الدراسات (*)

(*) إن الدراسات والمقالات الواردة هنا تعبّر عن آراء كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء تتبنّاها «معلومات» أو «المركز العربي للمعلومات».

لبنان والمقاومة (*)

سعود المولى (**)

عند الحديث عن المقاومة اللبنانية تخطر في البال جملة أمور يحسن عرضها طلباً للوضوح ولتحديد الموضوع وضبط إطاره.. ذلك أن ما اصطلح على تسميته بالمقاومة عنوان كبير يحمل ألف احتمال واحتمال، ومشروع متعدد الزوايا والأبعاد، شهد محطات كثيرة ومتنوعة جعلت منه «حالة» فريدة ومميّزة في الوضع العربي والإسلامي عموماً، وفي تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي خصوصاً..

وإذا كان الإطار الجغراسياسي للمقاومة اللبنانية هو لبنان بحدوده الدولية المعروفة، فإن اختلاف النظرات اللبنانية الى موقع لبنان ودوره في المنطقة العربية جعلنا نشهد أكثر من مقاومة.. ونحن هنا لن نتناول تلك «المقاومة» المسيحية التي عارضت وقاتلت الوصاية السورية وقبلها الفلسطينية، والتي ميّزت سنوات ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠.. فتلك مرحلة حرب أهلية انتهت مع اتفاق الطائف والدستور الجديد. وكان لها دروسها التي استفاد منها الجميع والتي استوعبها المجتمع المسيحي خصوصاً. وقد أدى ذلك الى حصول انعطاف تاريخي في وعي وممارسة القوى المسيحية «المقاومة»، جعلها تلتزم سقف اتفاق الطائف، وتبحث عن تضامن وطني أوسع يحقق مطلب إخراج القوات السورية وأجهزة مخابراتها. وأذكر هنا أن هذا الوعي تجسد أصلاً في دخول «القوات اللبنانية» في الطائف وحل الميليشيات والمشاركة في الحكم (١٩٩٠ ـ ١٩٩٢) .. وهو تجسد فيما بعد في مسيرة «السينودوس من أجل لبنان» (١٩٩٢ ـ ١٩٩٥)، وفي «الإرشاد الرسولي» (١٩٩٧)، ثم في المجامع الكنسية وخصوصاً المارونية والكاثوليكية.. وهي كلها علامات على مسيرة المراجعة والتصحيح والتوبة والرجاء التي عصفت بالمجتمع المسيحي طوال سنوات ١٩٩٢ ـ ٢٠٠٠... ولذا أمكن لهذه «المقاومة» ان تتحول الى «معارضة وطنية» أسس لها «بيان المطارنة» الموارنة الشهير (أيلول ٢٠٠٠، اي بعد أشهر على الاندحار الإسرائيلي في الجنوب) وتلاقت معها لاحقاً مواقف وليد جنبلاط، وتشكيل لقاء قرنة شهوان، وصولاً الى مواقف الرئيس رفيق الحريري التي جعلت منه محورها وقائدها ورمزها الأوحد، حتى بعد استشهاده.

موضوعنا هنا، إذاً، هو المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وفي جنوب لبنان تحديداً.. وهذه المقاومة نفسها، ورغم تحديد حقل صراعها وأطرافه، فانها لم تستو على سوية واحدة طوال القرن الماضي. فقد يمكن التأريخ لهذه المقاومة مع بداية المشروع الصهيوني في فلسطين، **فيكون فوزي القاوقجي ومعروف سعد وأفواج المتطوعين في «جيش الجهاد» و«جيش الإنقاذ» والمتلاحمين مع ثورات عرب فلسطين طوال النصف الأول من القرن العشرين هم أوائل وكبار المقاومين... ويمكن بالتالي أيضاً إدراج مشاركة اللبنانيين (والجنوبيين تحديداً) في حركات العصابات المسلحة المقاتلة ضد قوات الانتداب الفرنسي (من أدهم خنجر وصادق حمزة وتوفيق هولو حيدر، الى الأمراء شكيب وعادل أرسلان وكل المقاتلين مع سلطان باشا الأطرش في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) وصولاً الى انتفاضة بنت جبيل التاريخية المتلاحمة مع الثورة الكبرى في فلسطين ١٩٣٦...** ويمكن أيضاً ذكر مجزرة حولا

(*) من محاضرة نشرت على موقع «شفاف الشرق الأوسط» بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٢).

(**) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

الشهيرة، وصمود القرى السبع المنتزعة من أرض الوطن، وصمود الأهالي الأسطوري في جبل عامل ضد الاعتداءات الاسرائيلية اليومية.. وصولاً الى البطولات التي سطرها **الجيش اللبناني** على مشارف الجليل في حرب ١٩٤٨..

لا بل ويمكن القول بأن النموذج اللبناني الفريد في هذا الشرق العربي كان أحد أبرز علامات المقاومة والممانعة في وجه المشروع الصهيوني، ما يجعل ميشال شيحا وبشارة الخوري ورياض الصلح، وكل الدستوريين والميثاقيين، أبطال مقاومة فعلية..

غير أن ما يمكن تسجيله هنا والتأكيد عليه هو أن هذه المقاومة كانت نوعاً من الممانعة والرفض والاعتراض الشعبي العربي على الهيمنة الاستعمارية والتجزئة والاحتلال والقهر والغدر الذي نشأ عن خيانات الحلفاء لمطالب العرب بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة الإسلامية. وهي ممانعة تتدرج في الإطار العربي والعالمي الأوسع المسمى بحركة التحرر الوطني وبحركات الاستقلال. وهي حالة أدت في ما أدت إليه الى نشوء الدول والكيانات الوطنية «القطرية» وحملت الى السلطة نخباً عسكرية بيروقراطية تبرجزت واستبدت تحت شعار فلسطين والمقاومة.. **ولا يمكن النظر الى الرفض والممانعة الشعبية والحركات الاستقلالية والتحررية لتلك المرحلة بمنظار مقاومة لبنانية ضد احتلال إسرائيلي للأرض، فلم يكن قد تبلور بعد «وعي لبناني» مقاوم مرتبط بالأرض... بل لا بد من وضعها في إطار حركة التحرر الوطني العربية الاستقلالية في وجه الاستعمار وركائزه ومخلفاته وأبرزها الصهيونية (وعد بلفور) والرجعية (الأنظمة القائمة) والتجزئة (سايكس ـ بيكو)..**

كانت نكسة حزيران ١٩٦٧ نقطة تحول تاريخية في الوضع العربي واللبناني. ولعلها فاقت في خطورة تداعياتها نكبة ١٩٤٨. وبدءاً من صيف ١٩٦٧ (الانطلاقة الثانية لحركة «فتح» في آب ٦٧ بعد الانطلاقة الأولى في ١/ ١/ ١٩٦٥) تطورت في جنوب لبنان حالة من المقاومة والصمود والتحدي ارتكزت الى عناصر متعددة:

١ ـ الاعتداءات الإسرائيلية التي تصاعدت مع تصاعد حالات التسلل الفدائي الى الأرض المحتلة عبر جنوب لبنان.

٢ ـ صمود الأهالي الأسطوري وصبرهم وتحملهم لكل أشكال العدوان، وتلاحمهم الذي قل نظيره في احتضان الفدائيين الأوائل رغم الكلفة العالية التي دفعوها في الأرواح والممتلكات.

٣ ـ الدعم المصري والسوري (وحتى العربي المحافظ او الرجعي) لانتشار وتمدد الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان، وذلك لأهداف وغايات متفرقة ليس أقلها التعويض عن نكسة حزيران معنوياً. (وخصوصاً بعد مؤتمر الخرطوم ولاءاته وبعد المصالحة المصرية ـ السعودية التي أنهت حرب اليمن)، واشغال العدو بالترابط مع حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩).. والصراعات الداخلية على السلطة في سوريا.

٤ ـ أزمة اليسار العربي واللبناني بعد نكسة حزيران، وانطلاق اليسار الجديد على قاعدة الارتباط بمشروع الثورة الفلسطينية «رأس الحربة للثورة العربية الشاملة»، وبأن «فلسطين هي طريق الوحدة»، وليس العكس.

أدى ذلك كله الى تطور شعار دعم العمل الفدائي وحرية تحركه من لبنان، والارتباط بالثورة الفلسطينية خصوصاً في الشارع السني في المدن الكبرى، وذلك كرافعة للمطالب الإسلامية ـ اليسارية المزمنة بالعدالة والمساواة، والتي اختصرها مطلب المشاركة او تصحيح الخلل في الحكم. **وأبرز مظاهر هذا التحول شهدته القوى الناصرية التي تحولت الى عشرات من تنظيمات الأحياء والشوارع في بيروت (ابراهيم قليلات و«المرابطون») وطرابلس (علي عكاوي و«حركة الغضب»، فاروق المقدم و«حركة ٢٤ تشرين») وصيدا (معروف سعد و«التنظيم الشعبي الناصري»). وولادة الحركة اللبنانية المساندة لفتح بقيادة من عائلات بيروتية مهمة (شاتيلا، عيتاني، بلعة، فاخوري، الأغا، حوري..الخ..)، ولجان أنصار الثورة في مدارس المقاصد والمدارس الرسمية وحتى في الجامعات الكبرى كالأميركية والعربية.. وجاء العدوان الإسرائيلي على مطار بيروت وتدمير الأسطول الجوي المدني للبنان، ليطلق حركة طالبية وشبابية شملت لبنان بأسره وتمحورت حول ضرورة التسلح والاستعداد والمقاومة وتحصين الجنوب.**

في هذه الأجواء تشكلت أولى المجموعات اللبنانية المقاومة، كرديف ونصير للمقاومة الفلسطينية، او كحرس شعبي في القرى الجنوبية. وقد أخذت مواقع لها في الجنوب تحت رعاية حركة «فتح»، وخصوصاً في راشيا والعرقوب وما صار

يعرف باسم «فتح لاند»، ثم في منطقة بنت جبيل. وقد ارتكز هذا التطور على جملة عوامل أبرزها تلك الحالة الجماهيرية التي أطلقتها «**معركة الكرامة**» (**٢١ آذار ١٩٦٨**)، **ثم استشهاد وجنازة خليل عز الدين الجمل (نيسان ١٩٦٨) أول شهيد لبناني في صفوف حركة «فتح»**.. وقد تلا ذلك تدفق آلاف الشباب اللبناني الى قواعد ومعسكرات الثورة في الهامة وميسلون واليرموك في سوريا .. وحتى في العراق، حيث جابت التظاهرات المليونية شوارع بغداد والنجف الأشرف، وحيث أصدر المرجع الشيعي الكبير السيد محسن الحكيم فتوى بجواز دفع الخمس لمقاتلي حركة «فتح». وقد ساهمت هذه الفتوى الى جانب مواقف المراجع الشيعة في العراق وإيران في تعميق التعاطف الشيعي اللبناني في الجنوب مع ثوار فلسطين، وفي مدّه بأسباب القوة والاستمرارية. وكان قمة ذلك في العشاء الرمضاني الذي أقامه الإمام السيد موسى الصدر على شرف حركة «فتح»، ولجمع التبرعات لها في آخر عام ١٩٦٨.

جاء التحول اليساري في «حركة القوميين العرب» ليفتح صفحة جديدة في تاريخ اليسار العربي قاطبة، إذ هو أفرز منظمات «الجبهة الشعبية» و«الجبهة الديمقراطية» ورديفهما اللبناني «حزب العمل العربي الاشتراكي» و«منظمة الاشتراكيين اللبنانيين» («منظمة العمل الشيوعي» لاحقاً)، الأمر الذي ساعد على ارتباط قوى لبنانية واسعة ومن كل المناطق والطوائف بمشروع الثورة الفلسطينية من جهة، **وبشعار المقاومة وحرب الشعب** من جهة أخرى. وأدت نكسة أيلول الأسود في الأردن الى انتقال ثقل هذه المنظمات ومن يدور في فلكها من تيارات غيفارية وتروتسكية وماوية الى لبنان، والى تشكيل تجارب وبؤر ثورية «اختبارية» عديدة كان نصيب جنوب لبنان منها هو الأكبر. وقد شكلت انطلاقة اليسار الجديد المرتبط بمشروع الثورة الفلسطينية وشعاراتها وحركاتها المسلحة تحدياً للقوى اليسارية والقومية التقليدية. فبعد انشقاقات يسار البعث وحزب العمال العربي الثوري (وتيار ياسين الحافظ)، ثم أزمة تيار صلاح جديد ـ يوسف زعين، فالتحول في حركة القوميين العرب، اندلعت الأزمة في الأحزاب الشيوعية العربية الموالية لموسكو، وعلى رأسها الحزب الشيوعي اللبناني. واستمرت الأزمة حتى انعقاد المؤتمر العام الثاني (الذي استعاد فيه تحالف جورج حاوي ـ كريم مروة ـ جورج بطل المبادرة، وذلك على خلفية تصاعد دور الثورة الفلسطينية في أوضاع هذه الأحزاب وتصاعد اليسار الجديد الفلسطيني). **أدى ذلك الى قرار الأحزاب الشيوعية العربية تشكيل قوات الأنصار**، وهي تجربة تم إجهاضها سريعاً من قبل الطرف الأردني والفلسطيني في الأحزاب الموسكوبية، لتبقى تجربة الحرس الشعبي التي أطلقها تيار الشهيد حاوي في الحزب اللبناني.. وهي أجهضت في مرحلة تالية، ولكن لأسباب أخرى.. الأمر الذي دفع بكوادر عديدة في «**الحزب الشيوعي**» وعلى يساره، ومن يسار «البعث» و«العمال الثوري» (ناجي علوش تحديداً) و«الحزب التقدمي الاشتراكي»، وبدعم من «يسار» حركة «فتح»، الى تشكيل «**الجبهة التقدمية اللبنانية لمكافحة الصهيونية**»، والتي دعت الى إطلاق مقاومة لبنانية حملت اسم «**طانيوس شاهين**»، وتموضعت في قواعد حركة «فتح» في الجنوب. وبانفراط عقد هذه التجربة نشأت من أحشائها «**الحركة الاشتراكية الثورية**» (المرحوم مرشد شبو والشهيدان علي شعيب وابراهيم حطيط) التي ارتبطت بحركة «فتح»، كما عاد البعض الى أحزابه الام او أسسوا حركات جديدة، فيما انضم «الناجون» من تلك التجربة الى حركة «فتح».

وجاء خروج قيادات وكوادر «**الحزب القومي السوري الاجتماعي**» من السجون، ثم مؤتمر ملكارت التاريخي، ليضيف قوة نظامية متمرسة الى القوى المرتبطة بالثورة الفلسطينية وبالكفاح المسلح. ولم يقتصر الأمر على تلك المجموعات المسيحية من القومي السوري التي عملت مع «أيلول الأسود» (وعلى رأسها الشهيد فؤاد الشمالي)، وانما يبدو ان الارتباط بالثورة الفلسطينية وبحركة «فتح» بدأ داخل السجن وهو استمر **خصوصاً مع تيار انعام رعد وعبد الله سعادة**.. وهو ارتباط دفع هذا التيار ثمنه غالياً في ما بعد، وخصوصاً مع اغتيال محمد سليم وتوفيق الصفدي وايلي الجقل والعشرات من كوادر وعناصر الحزب في ثكنات ومعارك الكورة الشهيرة.. ناهيك عن اغتيال كمال خير بك وبشير عبيد في بيروت مطلع الحرب الأهلية.

وشهدت سنوات ١٩٧٠ـ١٩٧٥ تمدداً وانتشاراً فلسطينياً في جنوب لبنان، تردفه عناصر لبنانية يسارية او فتحاوية وجدت في الثورة الفلسطينية ولأسباب مختلفة الحلم والأمل في التغيير، فكان التموضع الفلسطيني في جنوب لبنان بعد أيلول الأسود ووفاة عبد الناصر (أيلول ١٩٧٠) وانقلاب الرئيس حافظ الأسد (تشرين الثاني ١٩٧٠) وكان شعار

حرية العمل الفدائي ودعم الثورة الفلسطينية واعتبار الجنوب بوابة التحرير (وآية كل ذلك اتفاق القاهرة الشهير في تشرين الثاني ١٩٦٩).. كانت مقاومة السنوات السابقة على ١٩٧٥ إذاً جزءاً لا يتجزأ مما ما كان يسمى حركة التحرر الوطني العربية ومن اليسار الدولي والاقليمي.. ولم تكن هناك هوية لبنانية وطنية جامعة ومستقلة لتلك المقاومة. وما حدث بعد ذلك يرتبط بالحرب الاهلية وعوامل استمرارها أكثر من ارتباطه بمشروع وطني لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب...**فقد دفعت الحرب الأهلية وتطوراتها (وبخاصة عمليات التطهير الديني ـ العنصري في النبعة وتل الزعتر والمسلخ وضواحي بيروت الشرقية والشمالية (من حارة الغوارنة الى بياقوت والزلقا والجديدة والسبتية الخ...) بآلاف العائلات الشيعية للعودة الى قراها في الجنوب (والبقاع) حاملة معها أولادها الحزبيين الغاضبين الذين أضافوا الى القوات المشتركة (الفلسطينية ـ اللبنانية) أعداداً هائلة من المقاتلين**، الأمر الذي سمح بتوسع وامتداد واستمرار السيطرة الفلسطينية على الجنوب حتى العام ١٩٨٢ (الاجتياح الكبير). ترافق ذلك مع حرب الثكنات ونشوء **جيش لبنان العربي** (كانون الثاني ١٩٧٦) الذي سرّع في سقوط ثكنات الجنوب وفي التحاق الضباط والجنود بقراهم وعائلاتهم، وبجيوش رديفة منها جيش بركات وجيش سعد حداد وغيرها.

في تموز ١٩٧٥ أعلن الإمام السيد موسى الصدر عن تشكيل «**أفواج المقاومة اللبنانية**»، كوسيلة لتوجيه الأنظار نحو الجنوب، ولإعطاء بعد لبناني وطني للصراع في الجنوب يسمح في مرحلة تالية بطرح ضرورة ان يكون قرار الجنوب لبنانياً.. **وقد لقيت مبادرة الإمام الصدر تجاوباً وترحيباً من قبل كوادر لبنانية كبيرة وكثيرة كانت تعمل مع حركة «فتح».. وقد أثمر هذا التجاوب مبادرة مشتركة بين الإمام الصدر والكتيبة الطلابية في «فتح»**، أدت الى انتقال كل مقاتلي الطرفين الى الجنوب بقيادة الشهيد الدكتور مصطفى شمران (ومعه الشهداء محمد سعد وخليل جرادي)، والشهداء مروان كيالي وعلي ابو طوق وابو حسن البحيص وباسم سلطان التميمي (من فتح)... وبالتنسيق مع «التنظيم الشعبي اللبناني» (التابع لفتح في الجنوب)، ومع اتحاد الشبيبة الوطنية في الشمال (بقيادة الشهيد الدكتور عصمت مراد)، واللجان الوطنية في الجبل (بقيادة الشهيد ابو محمود هلال رسلان) واللجان الشعبية في بيروت (الشهيد الدكتور سمير الشيخ والشهيد نذير أوبري) والبقاع (الشهيد ابو خالد محمد الشحيمي)، وأنصار الثورة والتنظيم الطلابي وحركة لبنان العربي (وكلها كانت امتدادات لبنانية لحركة فتح)... وكان أول شهداء هذه المقاومة اللبنانية في قرية عين ابل يوم ٣٠ آب ١٩٧٦، وهم: محمود قواص وكان سابقاً من كوادر اتحاد الخلايا الماركسية اللبنانية ـ صور)، وعادل وطفي (سابقاً من حزب البعث ـ البازورية)، ونزيه دياب (سابقاً من منظمة العمل الشيوعي ـ يارين)، وكانوا قد شاركوا في تأسيس التنظيم الشعبي اللبناني لحركة فتح في أيلول ١٩٧٢، الى جانب آخرين ما زالوا أحياء ويقاومون كل على طريقته.

كان التوجه العام لهذا التحرك يستهدف بناء مقاومة لبنانية فعلية في الجنوب وتوجيه كل البنادق نحو العدو الصهيوني باعتبار ذلك هو الطريق الوحيد للخروج من الفتنة الداخلية ووقف الحرب الأهلية المدمرة ولإعادة بناء علاقات لبنانية ـ فلسطينية سليمة.. وقد أخذت هذه القوى مواقع لها في مواجهة دولة لبنان الحر (الشريط المحتل تحت إدارة سعد حداد)، وفي مواجهة العدو الإسرائيلي. وقد خاضت مواجهات تاريخية في الخيام ومارون الراس وتلة شلعبون وتلة مسعود ورب ثلاثين والطيبة، وصولاً الى الملحمة البطولية في التصدي لاجتياح آذار ١٩٧٨ (قمنا بعد زوال الاحتلال عن بنت جبيل بنبش جثث شهداء تلك المواجهة وعددهم ٣٢ كانوا ينتمون الى الكتيبة الطلابية وأفواج المقاومة اللبنانية، ومعهم عدد من مقاتلي منظمة العمل الشيوعي، وأعيد دفنهم في جبانة البلدة الى جانب رفاقهم من ابناء بنت جبيل حسان شرارة وقاسم بزي وفؤاد دباجة)... وقد شهد اجتياح ٧٨ مواجهات أخرى في تبنين وقانا وفي صديقين وزبقين، وفي مناطق أخرى، شكلت خميرة لانتشار دعوة المقاومة اللبنانية ووقوفها الى جانب المقاومة الفلسطينية في الدفاع عن الأرض. ولا يجوز هنا أن ننسى تصديات بطولية فردية كانت تحصل خلال الأعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٨ أبطالها مناضلون في أحزاب لبنانية يسارية كالشيوعي والبعث (**من الأخضر العربي وواصف شرارة وأبو علي حلاوي الى أبناء حولا وعيترون قلاع الشيوعية في الجنوب**)..ناهيك عن تموضع ومشاركة الأحزاب اليسارية الأخرى في معارك الدفاع عن الجنوب (الحزب القومي السوري وحزب العمل الاشتراكي وجيش لبنان العربي ومنظمة العمل الشيوعي

وغيرها..).. ولكن ذلك كان يحصل تحت قيادة الثورة الفلسطينية (أي فتح تحديداً) التي تولت قيادة القوات المشتركة في الجنوب طوال تلك المرحلة..

أدى اجتياح ١٩٧٨ واحتلال جزء من أرض الجنوب الى نشوء وضع جديد. وقد كان الامام الصدر سباقاً ومتميزاً في المسارعة الى فهم معنى ذلك، وبالتالي الى تقدير خطورة الوضع على لبنان وعلى الثورة الفلسطينية.. وسارع الإمام الصدر (والشهيد مصطفى شمران) الى تمتين العلاقات التي نشأت مع لبنانيي حركة فتح في الجنوب، والى احتضان «سرية شهداء بنت جبيل» كتعبير لبناني عن هذه العلاقة المميزة.. كانت الحالة اللبنانية التي ولدت في الجنوب حول الكتيبة الطلابية وأفواج المقاومة اللبنانية السباقة الى التضامن مع طروحات الإمام الخميني في منفاه في النجف ومع اندلاع ثورة العصر في ايران.. فمنذ عام ١٩٧٧، اي قبل سنتين على انتصار الثورة في إيران وقبل ان يكون أحد قد سمع بها في لبنان او العالم، نسجت العلاقات بين هذه القوى اللبنانية المقاومة وبين اقطاب الثورة الإيرانية. وكان الرسل والرسائل والاتصالات وأعمال التضامن هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن هذا التلاحم الجديد.. والى جانب الكتيبة الطلابية والتنظيم الشعبي اللبناني وسرية شهداء بنت جبيل، نشأت حركة لبنان العربي، وحركة الأرض ـ قوات الشعل (المقاومة الشعبية العربية اللبنانية)، ثم اللجان الإسلامية ولجان العمل الإسلامي، وانصار الثورة الإسلامية ... وكلها شكلت لاحقاً الى جانب حزب الدعوة (ورئيسه صبحي الطفيلي وأبرز كوادره الشيخ نعيم قاسم ومحمد رعد، ومعهم كوادر الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين) وحركة أمل (من السيد عباس الموسوي الى السيد إبراهيم أمين السيد، والسيد حسين الموسوي، فالسيد حسن نصرالله، الى العشرات غيرهم من الكوادر) الروافد التأسيسية التي صبّت جميعها في نهر «**حزب الله**» و«**المقاومة الإسلامية**».. وكانت جريدة **الوحدة** أول من نقل نداءات الإمام الخميني وأخبار الثورة، وأول من قام بالتعريف بالثورة ورجالها وتنظيماتها.. وكانت الهيئات الملتفة حول **الوحدة** هي أول من قام بالدعاية والتنظيم وبالدعم والاحتضان لمجاهدي إيران.. كما أن العشرات من قادة وكوادر الثورة الإسلامية الإيرانية جاءوا الى لبنان وتدربوا وعاشوا في قواعد الكتيبة الطلابية.. وجاء اجتياح صيف ١٩٨٢ ليطوي صفحة الوجود الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان..

قراءة في تجربة المقاومة الإسلامية (*)

ميشال إده (**)

تجربة المقاومة الإسلامية كان لها دور أساسي وموقع أمامي أساسي في اجتراح الانتصار اللبناني العربي، التاريخي، على الجيش الإسرائيلي المحتل.

أجل، إنه لانتصار تاريخي. لأن المقاومة لم تلعب هذا الدور الأساسي في التحرير وحسب، بل هي ألحقت بالكيان الصهيوني الهزيمة العسكرية والسياسية المدوية التي أدخلته في مأزق مستفحل مستعص وجودي الطابع. ودقت المسمار الثخين في نعش المشروع الصهيوني برمته. وغيرت المعادلات المفروضة، المستكان لها عربياً على وجه العموم. وسطرت ببطولاتها التحول النوعي لمصلحة لبنان وسوريا وفلسطين والعرب بأسرهم.

إن الطابع التاريخي لهذه التجربة المقاومة يجعل أمر قراءتها فعل مقاومة بدورها، ليس لأنها أحرزت نصراً وحسب، بل لكونها شاءت، وأرادت، وعملت كي يكون وكي يأتي هذا النصر فعل شعب بأسره، ونهوض وطن بأكمله. وهذا هو سر الانتصار الأكبر لهذه التجربة. سر نضجها، وفرادتها في العديد من جوانبها وتضاعيفها.

أما الأمر الآخر الذي يلزم بقراءة هذه التجربة، فلأن كتابها لم يزل يتتابع فصولاً في عملياتها، وفي أمثولاتها واستخلاصات كفاحيتها المسلحة والسياسية، وفي تداعياتها التي لا تني دائرة فعلها آخذة بالتعمق والاتساع، وداخل الكيان الصهيوني بخاصة.

لقد جسدت الارض ومسألة تحريرها، في وعي المقاومين وذكائهم وصدورهم وسواعدهم، قضية إيمانية ودنيوية في آن واحد جعلت المقاومة تتحاشى أن تكون مجرد تيار سياسي. فكان عليها، تالياً، أن تنتزع اقتناع الأهالي والمواطنين واعترافهم بهذا الانتماء المنزه عن الاغراض.

كان عليها إذاً أن تنسج علاقاتها مع الاهالي، مع الشعب، على أساس أنهم هم قواعد الارتكاز التي من دونها لن تكتب حياة، ولا استمرار لهذه المقاومة. فهم البحر الذي يمد المقاومة ـ السمكة بماء الحياة وهوائها.

أقول كان على هذه المقاومة أن تقيم هذه العلاقة الحيوية، المصيرية بالنسبة إليها، وأنا أقصد بذلك أنها خاضت معركة ضمنية قاسية حيال نفسها، ومع ذاتها، لكي تنجح في بناء تلك العلاقة، والتي من دون أن تكسبها سوف يستحيل لها أن تكسب أصغر معركة مع العدو المحتل.

صحيح جداً أن هذا الأمر شرط أساسي دائم عهدناه ضرورياً بصورة ماسة في تجارب العديد من حركات المقاومة والتحرير في العالم، والتي لم ينجح البعض منها بسبب من انعدام هذا الشرط بالذات. لكن هذا الامر، في واقعنا اللبناني، لم يكن ميسوراً على الإطلاق. فالتجربة التي خبرها أهلونا في الجنوب بصورة خاصة، بإزاء التجاوزات والأخطاء المرة التي رافقت عمل بعض من الفصائل الفلسطينية بخاصة، لم تكن عاملاً مشجعاً على الإطلاق على التقبل العام لتكرار تجربة العمل المسلح.

(*) نشرت في «النهار» في ٢ و٣/٣/٢٠٠١.

(**) وزير لبناني سابق، وخبير في الشؤون الإسرائيلية والاستراتيجية.

أجل لقد كان على المقاومة أن تقوم بالمهمتين المتلازمتين معاً: مقاومة المحتل، ومقاومة ذكريات الأهالي عن جراحهم والندوب التي تسبب لهم بها الوجود المسلح السابق في أحيان كثيرة. **ولقد تمكنت المقاومة الإسلامية فعلاً من استيعاب دروس التجارب السابقة، بإيجابياتها وسلبياتها ونقاط ضعفها بخاصة، وقست على نفسها أيما قسوة، مصرة على التحلي بأعلى مناقبية، وعلى تمتين علاقتها بالأهالي وفق قيم التضحية والتفاني، والتعامل الأخلاقي المنزه الرفيع الذي يحترم المحيط والوسط.** وبهذا انتقلت المقاومة بعلاقتها مع الاهالي إلى مرحلة ملازمة أخرى وأرقى، مرحلة كسبها والأهالي معاً، معركة عزل العدو فعلياً وعملياً في المناطق المحتلة باستثناء حفنة قليلة، ومضللة من المتعاملين معه، والذين فشلوا في خلق حالة متعاونة مع المحتل وخططه ومتطلباته.

إن الاطمئنان الذي ساهمت المقاومة بإشاعته بين البيوت والحواري وفي الانفس، أسقط بصورة رائعة جميع محاولات العدو المحتل وجرائمه البربرية التي طالما اقترفها بهدف استعداء الاهالي على المقاومة، بهدف حملهم على تصور المقاومة وبطولات مقاتليها هي سبب بلواهم والمصائب التي يمطرها بها جيش العدو. وهكذا منيت بالفشل الذريع سياسة الاحتلال في وضع الأهالي، سواء بالإرهاب أو بالإغراء، في مواجهة المقاومة، **بل تمكنت المقاومة من تحويل المواطنين، بصمودهم وباحتضانهم لها، إلى عنصر أساسي راسخ من عناصر المقاومة نفسها، إلى مقاتلين حقيقيين من مقاتليها. ولم يحاصر الأهالي الجيش المحتل بطوق العزلة فحسب، بل اتخذوا الجانب المواجه المضاد لرغباته ولخطته، فبدل أن يتمكن الاحتلال من تجنيدهم أعيناً له على المقاومين، تحولوا حقاً إلى أعين للمقاومة على تحركات الجيش المحتل وخططه وتنقلاته وأوضاعه.**

إن روحية الانضباط العالي الذي تحلت به هذه المقاومة أتاح لها بنية من التنظيم ظلت عصية على الاختراق. وتأسيساً على هذا، تمكنت المقاومة المحافظة على يقظة ثورية فائقة حقاً، نادرة الفعل والمثال. فهي لم تنجح وحسب في تحصين نفسها، وخططها، وحركاتها ضد أي اختراق من جانب عدو أول ما ينعب به امتلاكه لافعل أجهزة استخبارية، ولأغنى خبرات في هذا المجال، ولمعارف تكنولوجية فائقة التطور في هذا الصدد، بل نجحت هذه المقاومة في اختراق العدو المحتل نفسه. في امتلاك أدق المعلومات وأوفر المعطيات صحة عن أوضاعه وخططه، وتحركات قواته وضباطه وجنده، وحتى نياته. وهذا باعتراف العدو نفسه. فاثر مقتل الجنرال إيريز غيرنشتاين ذي السمعة العسكرية المرموقة، والمرشح إلى تبوؤ أعلى المناصب القيادية في الجيش الإسرائيلي، وفي جريدة يديعوت أحرونوت كتب اليكس فيشمان في ١٩٩٣/٣/١ ما حرفيته: «إن هذه العملية تشير إلى حقيقتين أساسيتين: الاولى: أن قدرة «حزب الله» على تلقي معلومات استخبارية فورية عن حركة الجيش قد تحسنت بصورة كبيرة جداً. والثانية: هي أن «حزب الله» نجح في التوصل إلى حل تقني وتكتيكي لتجاوز الوسائل التي طورها الجيش ضد العبوات».

ولكن هل استوت هذه المقاومة هكذا، على هذا المستوى الرفيع من النضج العسكري والسياسي، ومن الأداء والفاعلية منذ بزوغها الأول؟

أسمح لنفسي هنا بأن ألفت الانتباه إلى أن واحدة كبيرة من ميزات هذه المقاومة دأبها الدائم على التعلم أيضاً من الدروس والعمليات التي تعلم بها. لقد أدركت الأهمية القصوى لان تتابع بناء ذاتها وقدراتها ونباهتها في ما راحت تبنيه وتقيمه من عمليات. كانت تتعلم من تاريخها ليرتقي فعلها المقاوم إلى مستوى الحدث التاريخي الأفعل. كانت متواضعة هذه المقاومة: لم يخطر ببالها مرة أنها ختمت فنون المقاومة والقتال، ولا انها باتت بغنى عن الطابع الملحاح أبداً والراهن دائماً لتطوير قدراتها بنفسها، وباكتناز المزيد من الخبرات، والمزيد من العلم. **شابة أبداً هذه المقاومة لأنها لم تكف يوماً عن التعلم.**

وفي هذا السياق، يشير الصحافي اليكس فيشمان في **يديعوت أحرونوت**، وحرفياً، إلى «أن العملية التي وقعت في ١٩٩٩/٢/٢٨ تدل على أن الطرف الآخر وجد الوسيلة للالتفاف على الوسائل التي طورها الجيش من أجل مواجهة العبوات. والحديث يدور عن حرب أدمغة تتواصل منذ سنوات. «...لكن حزب الله وجد كما يبدو أسلوباً للالتفاف على جزء من الجهود التي طورها الجيش. وهذا التطور متوقع، وكان ثمة دليل على ذلك في الأشهر الاخيرة».

وهكذا تمكنت المقاومة من إحكام ضرباتها التي كانت تشبعها درساً قبل أن تسدد. فالأساس والمهم هو إنزال الخسائر

بالعدو، وإيلامه بأشد ما يمكن، مع الحرص الشديد على عدم تعريض مقاتليها لخطر الموت، بأقصى ما يستطاع. وعلى هذا، فلم تكن أي عملية، ولا أدنى ضربة، إلا ويوجهها هدف محدد واضح، بحسب اللحظة المعينة، والوظيفة المعينة اللتين يجيد احتسابهما عقل عسكري سياسي ناضج.

من هنا، يصح التأكيد الواقعي على الانتصار الذي انفجر متوجاً تلك المسيرة، في أيار الألفين إنما الذي كان يبني لبنة لبنة، وضربة ضربة، وعملية عملية. كل واحدة منها كانت انتصاراً، ولتبنى عليها عملية أخرى وانتصار آخر، وصولاً إلى بلوغ هذا التراكم نقطة التحول النوعي الناجز. في هذا الضوء، يبدو لي من الاهمية والإفادة الكبرى بمكان أن نستذكر الطابع، والتتابع المرحلي في الارتقاء الذي اتسم به مسار المقاومة، ليس فقط للتدليل على واقعية هذا المسار، بل للانتباه كذلك إلى أنها لم تكن طفرة، ولا مزاجية قط. واكتفي هنا بالتذكير بالمرحلة التي كرست تراجع العدو وانهياره في نيسان ١٩٩٦، والتي تمثلت بفقدانه صوابه في اقترافه **مذبحة قانا البربرية**. ثم بالمرحلة التي بعد قانا، مرحلة فرض «تفاهم نيسان» الذي تمكن لبنان آنذاك من إقراره على أساس مساندة سوريا ودعمها المطلقين، والذي كان في جوهره وأبرز معانيه شرعنة المقاومة وعملها المسلح. ول**قد شكل «تفاهم نيسان» بدوره قاعدة وأرضية كفاحية بالغة الاهمية ترتقي بالمقاومة، وبأعمالها كماً ونوعاً، إلى مستوى نوعي أعلى فأعلى. واكتفي، هنا، بالإشارة إلى عملية «أنصارية» البطلة التي أبادت فرقة من «لواء غولاني» عن بكرة أبيها، وهو اللواء الذي يعتبره جيش العدو المفخرة، وواسطة العقد في تشكيلاته القتالية.**

وفعلاً، فلقد انتزعت المقاومة زمام المبادرة في الجنوب، وباتت هي المسيطرة على ساحة المعركة، وهي المديرة للمعارك والمتحكمة بأماكنها ومداها ومجراها ومصيرها. وانكفأ الجيش الإسرائيلي، في المقابل، إلى التخبط في حال من الارتباك والضياع والتبلبل، وردود الفعل العشوائية التي تعكس انهياره المتزايد. واسمحوا لي أن أورد، في ما يأتي وبالحرف، ما كتبه الخبير العسكري الشهير زئيف شيف في **هآرتس** في ١٩٩٩/٢/٣، مؤكداً بأن «حزب الله هو الذي بات يملي شروط اللعبة في جنوب لبنان، وإن عدم رده على العملية الإسرائيلية يشير إلى حقيقة انتصاره». وأورد هنا ما حرفيته:

«لقد تصرف «حزب الله» حسب القاعدة العامة الكلاسيكية في حرب العصابات: بعد أن يوجه مقاتلو حرب العصابات للجيش النظامي ضربة قوية عليه الاختفاء والامتناع عن المواجهة. ويعود رجال العصابات بعد ذلك للعمل في المنطقة التي ينجحون فيها أكثر. ومن خلال هذا الأسلوب يعتزم «حزب الله» إملاء «قواعد اللعبة» في القتال ضد الجيش». و«..من ناحية الجيش فإن الصعوبة تنبع أساساً من حقيقة أنه لا يمتلك الحل الكامل أو على الأقل الحل المرضي لحرب العصابات في المنطقة الامنية. وهو غير قادر على حسم القتال حتى لو كبد «حزب الله» خسائر فادحة». ويضيف زئيف شيف:

«يبدو أنه قبل كل شيء لم يشأ «حزب الله» عرض وضع يلزمه بالرد على القصف بإطلاق صواريخ كاتيوشا في اتجاه إسرائيل في الوقت الذي ينوي الامتناع، عن مواجهة شاملة من أجل العودة إلى حرب صغيرة في المنطقة الامنية»..

«وواجهت القيادة الأمنية لإسرائيل أمس مشكلة. من جهة تستطيع أن تعلن لسكان الشمال بالخروج من الملاجئ، ولكن من جهة أخرى من الواضح لها أن ثمة جولات آتية في المنطقة الأمنية. وهكذا ستبقى الحال طالما لم يتم إيجاد حل أفضل للدفاع عن الحدود الشمالية»..

واقع الحال العسكري المزري هذا الذي راح يتخبط الجيش الإسرائيلي في جنباته لم يعد مقصوراً عليه وحسب، بل أظهرت الصحف الإسرائيلية نفسها، وبصورة من الهزء العلني الفاقع، انتقال عدواه إلى حكام إسرائيل أنفسهم، والذين بداوا يعانون بدورهم من التخبط ذاته، ويعلنون انتصارات وهمية كاذبة على شاشات التلفزيون، في حين أن المقاومة هي التي راحت تسطر الانتصارات على الارض. فتحت عنوان «واقع موهوم»، فإن مراسل صحيفة **معاريف** عوفر شيلح كتب يقول بالحرف بتاريخ ١٩٩٩/٢/٣: «إن الواقع الموهوم الذي ساد أجزاء واسعة من الحاضر الإسرائيلي اجتاز أمس الجدار الحدود وامتد إلى جنوب لبنان. على الارض احتفل «حزب الله» بأحد أهم انتصاراته الكبيرة وزف لنا التلفاز وجود «سياسة جديدة» و«قيادات مخربين» مسحت عن وجه الارض كما لم تكن». وأضاف الصحافي شيلح: «لقد قصف سلاح الجو بيوتاً فارغة بعشرات الطلعات وعبر التلفاز أعلن لنا رئيس الحكومة أن «حزب الله» يحسن

الاختفاء وفي اللحظة التي يخرج فيها سنقطعه إرباً إرباً. **لا يمكن منظمة العصابات أن تخرج إلى مرمى النار، ذلك لأن الحرب ليست لعبة كرة قدم، غير أننا لم نفهم ذلك بعد**».. «لا يوجد سياسة جديدة في جنوب لبنان، ولن تكون جديدة طالما لم يتم تنفيذ واحد من الخيارات الثلاثة: الانسحاب الاحادي الجانب، الاجتياح الواسع أو إقحام السوريين بمستوى من شأنه أن يدفعنا إلى مواجهة كاملة أو جزئية معهم. لا يوجد أهداف «حزب الله» جديدة أو قديمة، لا يوجد شيء كان محظوراً أمس ومجازاً اليوم. الأمر الوحيد الموجود هو إظهار قوة في وسائل الإعلام». ويتابع هذا الصحافي بالكثير من السخرية والهزء: «ليس ثمة تغيير في حقيقة أن «حزب الله» هو الذي يملي التطورات. ومثلما كان متوقعاً سلفاً فإن عدم رده بإطلاق صواريخ كاتيوشا هو الذي أنهى العملية الآن. لقد اعتاد الجيش التحدث عن ضرورة «النصر في نهاية اليوم». وعلى الأرض وفي نهاية اليوم بات واضحاً من المنتصر. ولكن عندنا تسجل نهاية اليوم عندما ينتهي البث التلفزيوني».

وينتهي هذا الصحافي إلى الاستنتاج بأن دولة إسرائيل لم تعد لديها قدرة على القتال قائلاً بالحرف: «كل ما حصل أمس هو هالة فارغة المضمون لدولة لا توجد لديها القدرة على القتال ولم يكن لها أبداً رغبة في التفكير، ولكن من عام إلى آخر تزداد رغبتها في الصراخ «أمسكوني». هذا وثمة أمر خطير على نحو خاص: محاولة الطبقة السياسية حماية نفسها بإزاء الجيش الذي يواصل القتال في لبنان في ظروف صعبة بدون هدف بدون فرص النجاح».

هذه السخرية الإسرائيلية من «انتصارية» (Triomphalisme) **حكام إسرائيل الفارغة، والذين راحوا يلجأون إلى «العنتريات» التلفزيونية والإعلامية للتغطية على هزائم جيشهم المحتل الفعلية، وعلى عجزهم الصريح عن الرد، إنما يعكس، في الوقت عينه، انهياراً صارخاً لمعنويات جنود الجيش الإسرائيلي وضباطه** بحيث بات الكاتب عاموس هرئيل في مقالة بجريدة **هآرتس** بتاريخ ٢٠٠٠/٩/١٠، أي قبل اندلاع انتفاضة الأقصى بعشرين يوماً، وبفعل تداعيات الهزيمة الإسرائيلية في لبنان، يتوقع معه وبهزء بالغ المرارة، أن يلجأ هذا الجيش قريباً إلى «نشر إعلان في الصحيفة يطالب بقائد لواء»!!

ذلك أن الأمر الأشد مجلبة للذعر الإسرائيلي في هذا السياق إنما هو تحول انهيار معنويات الجيش الإسرائيلي إلى مادة علنية للتحريض الجماهيري في إسرائيل على العزوف عن العمل في الجيش وعلى الفرار من الخدمة فيه، وإلى انتقال هذا الانهيار بصيغة تفكك واضح التفاصيل في بنية المجتمع نفسه. تدليلاً على ذلك، ينبري عاموس هرئيل في مقالته التي أشرت إليها أعلاه في **هآرتس** إلى التوقف عند ما سماه حرفياً: «الجلبة الجماهيرية التي ثارت حول العميد ميكي قائد وحدة «دوفدفان» التي قتل ثلاثة من عناصرها بنيران رفاقهم، وما أثارته عند عدد من رفاقه في جيش الدفاع من قادة الكتائب والوحدات الخاصة من أفكار وتصورات صعبة حول المهنة والاختصاص اللذين اختاروهما لانفسهم».

والجدير بالذكر أن وحدة «دوفدفان» هي أشهر وحدة قتالية في الجيش الإسرائيل، ويلجأ إليها هذا الجيش في كل عملياته الدقيقة والصعبة والإرهابية. وهي التي تقوم بتنفيذ «العمليات الخاصة» وتحديداً اغتيال الناشطين الفلسطينيين وغيرهم من مقاومي «الجيش الإسرائيلي، وهي التي فشلت في محاولة اغتيال البطل الفلسطيني محمود أبو هنود وخسرت في هذه المعركة الجنود الثلاثة الذين أتى على ذكرهم هذا الكاتب.

يتابع عاموس هرئيل مستفيضاً بالكلام عن «**فرار الأدمغة والمشاة من الجيش الإسرائيلي**»، قائلاً بالحرف: «في الأسابيع الأخيرة تحدثت قيادة الجيش عن «**فرار الأدمغة**» وعبروا عن خوفهم من أن الظاهرة أخذت تتسرب إلى ذوي اختصاصات قتالية أخرى، وخصوصاً الطيارين وقادة المدفعيات من ذوي الخلفية التكنولوجية. الحديث مع قادة الكتائب في سلاح الميدان يشير إلى أن الوضع ليس مختلفاً كثيراً هناك. صحيح أن الإغراء المالي أقل ولكن ليس هناك ضابط في سلاح الميدان لم يفكر في إمكان الرحيل ويبدو أن المشكلة أكثر حدة مما يوجد لدى الجيش استعداد للاعتراف به. الحيرة تتركز بين المنصب العالي المتطلبات والمخاطر في الجيش والحياة في الخارج».

أما نظرة الإسرائيليين المدنيين إلى هذه الوقائع، أما نظرة «المجتمع» - على حد تعبير الكاتب نفسه - فهو يرسم أبعادها بالعبارات الحرفية الآتية: «لم يعد المجتمع اليوم يصمت احتراماً وهيبة أمام مظهر قائد الكتيبة الذي يعود إلى بيته بملابسه العسكرية المغبرة. المجتمع لا يفهم حسب رأي الضباط نهج حياة الجنود وقد أصبح أقل تعاطفاً وتقبلاً، **وهنا**

تكمن المشكلة الجوهرية وهي النظرة الجماهيرية للخدمة النظامية في الجيش والآخذة في التراجع والتآكل. وقد أصبحوا يعتبرون الجندي في الخدمة النظامية مغفلاً في أحسن الأحوال».

وإذا ما تذكرنا، إلى ذلك كله، التعنيف الفظ والعبارات المسعورة التي صرح بها قائد الجبهة الشمالية غابي اشكينازي ناعتاً الجنود الذين يفرون وباتوا يرفضون الخدمة في جنوبنا البطل قبيل اندحار الجيش المحتل، بأنهم «**مماسح**»، إذا ما توقفنا عند كل هذه المظاهر لادركنا - بعد تظاهرات أمهات الجنود القتلى وأمهات الجند قاطبة - مدى استشراء الهزيمة البنيوية التي تنخر في عمق جيش ومجتمع الكيان الصهيوني.

لقد سبق لي، ومنذ ثمانية عشر عاماً، أن توقعت، في حديث مع الصحافي عبد الهادي محفوظ، نشر في ٧ آب ١٩٨٣ في جريدة كل العرب، انهيار الجيش الإسرائيلي. ووصفت يومها توقعاتي هذه، ومن قبل العديدين، بأنها مجرد رغبات وتخيلات وأضغاث أحلام ليس إلا. وعلى امتداد الاعوام الثمانية عشر المنصرمة كنت الاحق وأرصد عملية تتابع الانهيار الواقعية لهذا الجيش، وتفاقمها إلى أن أدت تراكمات هذا الانهيار الكمي ومجرياته إلى حالة الانهيار النوعي الناجزة، وباعتراف العدو الإسرائيلي نفسه. وعينة من مظاهر هذا الاعتراف العلنية الأمثلة التي قرأت بعضاً من فقراتها. وأسمح لنفسي هنا بأن أقرأ مقاطع من أحدث اعتراف إسرائيلي بهذه الحقائق. لقد كتب الخبير العسكري زئيف شيف ومنذ شهرين في جريدة **هآرتس** (١٤/١/٢٠٠١) يقول حرفياً تحت عنوان: «تقرير «بيليد» يشير إلى تآكل في وحدات الجيش»:

«إنه يمكن إيجاز نتائج أعمال لجنة التحقيق برئاسة اللواء (احتياط) يوسي بيليد، والتي حققت في عملية اختطاف «حزب اللـه» الجنود الإسرائيليين الثلاثة في شهر تشرين الأول بكلمة واحدة: صدأ، صدأ ميداني في الجيش الإسرائيلي، وليس فقط في خلية واحدة. صدأ يؤدي إلى أنه حتى لو وصلت معلومات موثوقة عن نيات العدو، وحتى لو كانت هناك خطط ميدانية ناجحة، وحتى لو صدرت الاوامر إلى القوات، فإن الأمور لا تنفذ لأنه في مكان ما في القناة تراكم صدأ يغلقها، والنتيجة المحتمة هي القصور والإخفاقات الميدانية». ويتابع زئيف شيف قائلاً:

«**لقد ميزت هذه الانغلاقات الجيوش العربية في شكل عام. أما الآن فقد كشفت لجنة التحقيق بأن الجيش الإسرائيلي مصاب هو الآخر بهذا المرض**، والأمل هو الا يكون الصدأ قد انتشر في أماكن كثيرة. قبل سنوات عندما وصل أول وفد إسرائيلي إلى مصر بعد زيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس تابع أحد أعضائه نشاط آلاف رجال الأمن المصريين، وعندما سألته عن استنتاجه الأساسي، أجاب أن كل شيء بدا للوهلة الأولى على ما يرام. فالضباط يتلقون الأوامر السليمة، وخطط الحراسة ناجحة، ولكن الغريب هو أن أياً من الضباط المصريين لا يتأكد ما إذا كانت الأوامر قد نفذت حرفياً في الميدان. فهم يكتفون بإصدار الأمر والتوجيهات ويعجبون بعد ذلك من أن هذه لم تنفذ بالكامل. أو ليس هذا ما حصل في قضية اختطاف جنود الجيش الإسرائيلي الثلاثة»؟ ويضيف المحلل العسكري بالحرف:

«هذا الصدأ عثرت عليه لجنة التحقيق في المفترقات التالية: لم تكن هناك ترجمة عملية على الأرض للمعلومات الأمنية عن «حزب اللـه»، والتهديدات على حدة، وسلوك الجنود على الأرض على حدة - وكأن الحديث يدور حول عالمين منفصلين: فلم تطبق دروس من مناورة، عنيت بمحاولة اختطاف يقوم بها «حزب اللـه»، ولم يكن هناك تنسيق بين الوحدتين الميدانيتين، **وكانت هناك قطيعة بين القيادات والميدان**».

أما آخر اعتراف يتخبط إسرائيل وعجزها وتفاقم الانهيار الذي يلف جيشها ومجتمعها، فأدلى به علناً في جريدة **معاريف** في ٢٠/٢/٢٠٠١، الصحافي حجاي سيغال الذي كتب بلهجة المرارة والسخرية ما حرفيته: «مصدر أمني مجهول الاسم، مقرّب من القسم العسكري في **صوت إسرائيل** عبر بالأمس عن معارضته لرد عسكري قوي على مقتل الجندي الإسرائيلي في «هاردوف» (مزارع شبعا) في جنوب لبنان. أصوات مشابهة قالت أيضاً من **إذاعة صوت إسرائيل** غداة سقوط الرائد خليل طاهر في الموقع نفسه قبل أشهر عدة وأيضاً بعد اختطاف الجنود الثلاثة. في ذلك الحين مثلما هي الحال اليوم لم يخرج رد فعل جيش الدفاع عن حدود الاحتجاج الديبلوماسي القوي». «وأوضحت هذه الاصوات للجمهور بأن الرد القوي سيؤدي إلى التصعيد الذي سينزل سكان الشمال إلى الملاجئ. المسافة من هناك حتى خط الحدود الجديد هي ٣٠ كيلومتراً فقط وهو في إطار مدى الكاتيوشا الحديثة». ويتابع الصحافي سيغال قائلاً:

«**حسن نصر اللـه لم يجد أمامه إلا السخرية من الإذن للاذن. عشية انسحاب جيش الدفاع من لبنان هدده ايهود باراك بأن لا يحاول أن يجربنا بعد الانسحاب. كل العالم سجل تصريحات إسرائيل أمامه حيث قالت إنها لن تتحمل ولن تطيق حتى إطلاق رصاصة واحدة من الشريط الحدودي سابقاً نحو أراضيها السيادية». ويصل هذا الصحافي الإسرائيلي إلى القول الساخر:**

«**... أما اليوم فقد بات واضحاً أننا وحدنا الذين انفعلنا لتلك التهديدات. أما على الطرف الآخر فلم تترك هناك أي انطباع. فهو يعرف أن انسحاباتنا حقيقية أكثر من أي تهديد. ولديه أساس للافتراض أننا في النهاية سنهرب من جبل دوف أيضاً (مزارع شبعا)، ولكن ليس قبل أن نهدد بمهاجمته في حالة مواصلة إطلاق النار علينا من الخط الجديد**». «وبعد ذلك سنعلن على الملأ بأنه حتى لو أطلقت طلقة واحدة فقط من شرق القدس، عاصمة فلسطين، فإن إسرائيل ستعرف ما تفعل. وعندما يطلقون النار رغم ذلك، ونواصل نحن كبح الجمام والانسحاب، سيعد مصدر أمني رفيع بأن يدنا الدولية ستنال من العدو حتى من حدود العام ١٩٤٨». ويختتم هذا الصحافي مقالته بهذه الخلاصة المعبرة بحزن سخريتها عن الانهيار الكامل، كاتباً ما حرفيته:

«**تجربتنا ليست جديرة بكم (أي الفلسطينيين والعرب)، سيهذر الإسرائيلي الأخير قبل لحظة من صعوده إلى السفينة عائداً إلى أوروبا**».

هذا التحول النوعي الناجز إنما تحقق واكتمل تحققه، بفضل كفاحية المقاومة وصمود الشعب والدولة في لبنان المستند إلى دعم سوريا لنا.

هكذا تم فضح وإسقاط «أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر»، والذي انهزم إلى غير رجعة. وعلى الأشقاء العرب أن يدركوا هذه الوقائع والحقائق الجديدة التي تبدد الاقتناعات التي سادت من قبل، والتي اعتبرت إسرائيل وجيشها قوة لا يمكن أن تهزم مطلقاً.

أنا، هنا، لست أقول بانعدام قدرات إسرائيل على أن تضرب، وعلى أن تشن أعمالاً إرهابية بربرية تدميرية. إنها قادرة على القيام بذلك من دون ريب. لكن ذلك لا يخفي مطلقاً واقع التآكل الذي ينخرها من الداخل، ولا واقع الانهيار الذي تعاني منه، ويستعصي عليها الخروج منه.

لا تزال إسرائيل تستطيع أن تقصف، وأن تؤذي، وأن تخرب وأن تضر، لكنه لم يعد بوسعها أن تنتصر. هذا هو جوهر التحول النوعي الجديد الذي علينا جميعاً نحن العرب أن نأخذه في الحسبان، وأن نحدد في ضوئه خططنا ومواقفنا. **إن إسرائيل دخلت في عصر الهزيمة.** وهي لن تخرج منها إلا إلى المزيد من الهزائم، في حال استمرارها بانتهاج السياسة العنصرية التوسعية العدوانية الرافضة للسلام العادل والشامل..

الخوف من المقاومة يتحول إلى خوف كاذب عليها
دعوة حبية إلى الانتحار... أو النحر (*)

نصري الصايغ (**)

«تعالوا نحاسب المقاومة في لبنان»

ليكن هذا تقليداً. المحاسبة نادرة في لبنان، كالتاريخ تماماً. نتمرن على كتابة تاريخ وتاريخ مضاد. الحساب، مجرد ثأر. الحماسية انتقام موقت. المساءلة حكم مبرم بالنوايا. نحمل في ثقافاتنا السائدة إدانات موروثة، وبراءات مسبقة، وفق اصطفافاتنا القبلية.

هذه المرة، «تعالوا نحاسب المقاومة عن جد».

ليكن هذا تمريناً جدياً. فلم تعتمد مؤسساتنا العائلية والمدنية والاجتماعية والحزبية والسياسية و«الشبه ديمقراطية» على تقييم أو مساءلة أو محاسبة حقيقية. ينعدم التجديد ويتكرس التقليد، عندما تتغيب سلطة النقد، وتستحضر لغة الإدانات المتبادلة، ثم... «عفا الله عما مضى»، و«لنفتح صفحة جديدة»... للممثلين القدماء أنفسهم. أو، لورثتهم من بعد. أليس، لغياب المساءلة والمحاسبة، بموضوعية وحرية وغائية، يعيد لبنان إنتاج نفسه، منذ قرن تقريباً، بنسخ تميل الى الأسوأ؟؟؟ أليس التعبير السائد: «اليوم انحس من البارح وأفضل من غد»، صحيحاً ومعبراً عن حالة اللبناني؟ أليس كلما نتقدم نتراجع؟

إذاً: «تعالوا نحاسب المقاومة قبل قطع رأسها»، كما هو مطلوب. حتى ولو كان ذلك افتئاتاً، كما يظن، إذ ليس من العدل أن نرفع بوجه المقاومة لائحة اتهام، ونعفو عن الطبقة السياسية، او معسكرات السياسيين المحترفين، أو سلالات القناصل. وللحقيقة، أن هذه الطبقة المتوارثة او المستولدة من الحرب اللبنانية، أو، من الرحم الأنثى لهذه الحرب، لم تخضع للمساءلة، لأن اللبنانيين تلكأوا عن ذلك. معظم اللبنانيين يرى أن الاصطفاف الطائفي انتماء، وحماية، ومتراس. فالأغلبية اعتادت الوراثة السياسية. تحضر حفلات التتويج والتطويب وإلباس العباءة السياسية، عند شغور المنصب/ الرتبة/ النيابة/ الزعامة. اختارت هذه الأغلبيات المتناقضة الفراش الزوجي لينتخب عنها. فمعظم السياسيين في لبنان، وُلدوا، وملاعق السلطة في أفواههم، فأكلونا. ومن لم تلده أمه سياسياً، استولدته الأجهزة... وصار تقليداً. **«تعالوا نحاسب المقاومة الإسلامية في لبنان» قبل تقديمها ذبيحة، قرباناً على منصة القرار ١٥٥٩.** تعالوا نحاسبها في العام والخاص، في الكبيرة والصغيرة، في المبادئ والوقائع، في التفاصيل وتفاصيل التفاصيل، قبل أن نتبرع بأقل الإيمان اللبناني: **«فلنغسل أيدينا من دم هذا الصديق... دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا».**

(*) نشرت في «السفير» في ١٦/٢/٢٠٠٥.

(**) كاتب سياسي

اتهامات ناصعة

سأبدأ بالأعمال المنسوبة الى المقاومة.

عملها فادح جداً. لم يسبقها إليه أحد من قبل. جاءت في زمن أعدمت فيه الثورات. ساد منطق التبرير. انتشر فكر المسالمة. سقط النصير السوفياتي. انهارت الثنائية الدولية. انكشف ظهر الثورات وصدرها مشرع. القوة السوبر عظمى كاسحة. المواءمة خير من المناداة. السلامة أفضل من المقاومة. **جاءت في وقت انتقل فيها اليسار الى اليمين، واليمين الى أقصاه...** الثورة صارت حلماً من أحلام الكوابيس. الانتصار أفق مسدود أمام الأفق. والسائد عند العرب: إحباط «بناء»، خضوع «ملتزم»، واستسلام «واق». في هذا الزمن الذي كثر فيه اتهام الثوري بالخرافي، في هذا الوقت/المفصل بالذات، أنجزت «المقاومة الإسلامية في لبنان» تحريراً ناصعاً ونموذجياً، ألزمت فيه العدو الإسرائيلي (استعمل عبارة العدو الإسرائيلي، لياقة، على الأقل) على الانسحاب والاندحار، من معظم الجنوب اللبناني المحتل، بلا قيد او شرط... حصل التحرير، فيما كان الإسلام السياسي، المنتشر في حركات أصولية سلفية، يقاتل في أفغانستان، أميركياً وعربياً، او، يتقن صياغة الأشكال المهتمة بالهندام الإسلامي، وكيفية ممارسة التزمت، وتوزيع بطاقات الإيمان على من يكفرون كل من يفكرون بغير طريقتهم المنسوبة الى الصراط المستقيم.

هل هذا متفق عليه؟

لعل إضبارة الاتهام، تحمل في رأس لائحتها تبرئة لإسرائيل من ارتكاب فعل الاندحار. فإزاء العالم، نفذت إسرائيل قرار مجلس الأمن الدولي، فلنفرض على لبنان، شروط السلامة الإسرائيلية: نرسم الخط الأزرق. ورُسم. ننزل الجيش الى الجنوب. طولب به وما زال. ننزع سلاح المقاومة. **وهذا هو مربط الخيل الإسرائيلي/الدولي...** الحجة: إسرائيل نفذت شأناً دولياً، فعلى لبنان أن يمتثل للرغبات الدولية، التي ترجمت أخيراً، بالقرار ١٥٥٩.

لنعد الى الموضوع. لبنانياً، وربما في أوساط عربية متذاكية، استبعاد لهزيمة إسرائيل القوية. لا تستبعد نظرية الصفقة. فالرصيد اللبناني المعمول به، لدى فئة لبنانية، محول من خزان العجز والضعف. فالعجز اللبناني تقليد، والاستبكاء العربي عريق، فكيف تكسر هذه القاعدة الذهبية؟ إذاً، يستحيل على المقاومة، في لبنان المنهك والمنتهك بحروبه الداخلية والعربية، أن تحقق هذا الإنجاز. إن في الأمر إن...

لن نحاسب الضعفاء... فالضعف يعفي صاحبه: أما، والمقاومة قوية، فلنسألها بجرأة عما ارتكبته في لبنان، فلنسألها أيضاً، من أين لك هذا؟ وعلى ضوء ذلك حاكموها، علانية.

المقاومة والمال الحرام

أسئلة غير بريئة أبداً. وهذه عينة منها:

ما مقدار مسؤولية المقاومة في اهتراء السلطة؟ لماذا وقفت حاجزاً أمام تطبيق اتفاق الطائف؟ لماذا لم تنتظم كسواها في معسكر الدولة، وتقدم سلاحها، كما فعلت الميليشيات المتقاتلة في الحرب؟ ما حجم ما استنزفته المقاومة من بنود الموازنة السنوية اللبنانية، بالرواتب والإنفاق؟ **لماذا تمنعت عن تسديد ثمن منشآتها على الأملاك البحرية والنهرية الممتدة على طول الحدود اللبنانية البحرية؟** لماذا سكتت عن حلف جهنمي مالي بين أهل السلطة وأهل المعارضة (الجملة هذه غير صحيحة أبداً، ولكن، لا بد منها، للاتهام) لإدارة الشأن العام كالشأن الخاص، وبرخص كبير؟ ما حجم مسؤولية المقاومة في هجرة الشباب اللبناني، وزحفه غير المقدس للهروب من البطالة وانسداد الافق؟ ما منسوب الإساءات التي أصابت الجامعة اللبنانية التي تعامل كسبايا حرب سخية التجدد؟

كل الاقتصاد الريعي اللبناني من تأليفها؟ والزراعات البديلة من تصديقها؟ **يجب ألا تتهرب المقاومة من الإجابة عن حجم مسؤوليتها في ترتيب ٤٠ مليار دولار ديناً على اللبنانيين؟** عليها أن تجيب بذلك صراحة، وبالأرقام، حتى

لا تبقى التهمة في خانة من وعد بازدهار لبناني... و«سندهش العالم».

ثم لا مفر من تحميلها تبعات انقطاع الكهرباء، والالتزامات، والتشغيل، والفيول، والشركات القابضة على عنق العامل وأطراف الشبكة. أليست هي السبب في الارتكابات التي حصلت، إنشاء وتعاقداً ومعامل على الغاز، لأنها استدرجت العدو لقصف المحطات والمنشآت الكهربائية؟ يلزم أن تقدم كشفاً بما أصابها من منافع، كي لا تحمل السلطة والمعارضة معها، العمولات والهدر الذي صاحب كل عقد.

ثم... وهنا بيت المال الحرام: كم مرة انتهكت صندوق المهجرين ومجلس الجنوب، ومجلس الإنماء والإعمار؟

قولوها بالفم الملآن. ما دور المقاومة الناصع في كل هذه الطلحة المالية الدامسة؟ دلوا على كفها الأبيض، وسط الأيادي السود، التي تعاملت مع اللبنانيين، على قاعدة الولاء المافيوزي. افصحوا عن دفاتركم الحسابية، وافتعلوا الجردة التي تريدون، فإن رأيتم خللاً في عمل المقاومة، حاسبوها. لا تعتبروها «مافيا مقاومة». كما تتعاملون مع مافيات الدواء، منذ ذلك المقام الشرس الذي قضى قبل ان يسقط شعرة من هذه المافيا. هل تتذكرون الوزير الدكتور طربيه؟

دلونا على فضائح المقاومة لنحاسبها بقسوة. لنقول لها، إن غدك لعسير. فلتكن عبرة لنفسها. لأن لبنان اعتاد ان يعفو عن المرتكبين سياسياً واقتصادياً وأمنياً وقضائياً ومالياً وتربوياً وصحياً. اعتاد ان يبيض صفحتهم، ويعيدهم الينا، إما زعماء طوائف، أو وزراء ثوابت، أو من أرومات عائلية سياسية، او قيادات سياسية، لا تتخلى عنها المرجعيات الدينية. **هذا العفو لا نريده للمقاومة.**

حتى ولو أعفيتم المرتكبين المتربعين على منصة السلطة او على منابر المعارضة، نريدكم ان تحاسبوا المقاومة، لأنها مسؤولة وقوية، وليست فوق الحساب.

ديون المقاومة

لعل التهمة التي توجه الى المقاومة هي أنها تركت لسواها أن يحمي منجزاتها، فعاث فيها فساداً وسلطة وتحالفاً واستهانة.

هناك من يرى ان المقاومة أخلّت بالتوازن، لأن سلاحها لم يجمع أسوة بسلاح الميليشيات. حاسبوها. قولوا لها ذلك. لعل الجواب الذي يأتيكم هو أن سلاح المقاومة كان سلاح مقاومة وتحرير، لم يكن للتشبيح، أو لفرض القوة، او للاستعراض (باستثناء الاستعراضات المناسباتية المنظمة) او للاقتتال الداخلي، أو لمحاصرة المخيمات الفلسطينية، او لغرض سياسي أو انتخابي.

هل استقبلت روجيه تمرز مثلاً، وقبضت منه ملايين الدولارات، كما تشاطر زعماء الميليشيات وأمراء الحرب السياسة اليوم، مجتمعين في موالاة او معارضة. الأرقام تشيب رأس الشعر. رجاء لا تحاسبوهم عليها. ذلك انه يحق للمتنبي ما لا يحق لغيره، حتى في سوقه الشهير.

ان إسرائيل تدعي قداسة السلاح. اذا كان ذلك كذلك، فماذا نقول عن سلاح المقاومة، وتحديداً بعد العام ١٩٩٢، اي بعد زوال حالات الحرب اللبنانية المعلنة؟

ما رأيكم بتهمة اللاجدوى، وتعريض لبنان للخسائر؟

حسنا. ارفعوا ذلك عالياً. قولوا للمقاومة إنك السبب في انتكاسة مشروع إعادة البناء والإعمار. نسيان ما كتبه جورج قرم وكمال حمدان وإده يعتبر إهانة موضوعية. فليس صحيحاً ان عدوان إسرائيل في العام ١٩٩٦ هو الذي أوقف عجلة المشروع الطموح للبنان الشرق الأوسطي. وربما من الغبن القول ان المقاومة تتحمل تلك المسؤولية، ذلك ان سقوط أوسلو، الذي انهار في كامب ديفيد، لم يكن بسبب مقاومة الاحتلال في لبنان، بقدر ما كان نتيجة طبيعية لفشل مشروع «السلام» (التسوية أفضل تعبيراً واكثر دقة). ألم يكن الرهان على لبنان في المشروع الشرق الأوسطي هو الخطيئة؟

تهمة الإسلامية

فلنفتح الدفاتر والنوايا كذلك. فلنعلنها على الملأ، حتى إذا اتخذتم قراراً للإطاحة بها، كان لديكم الجرأة في مواجهتها بالحقيقة، وليس بادعاء حمايتها موقتاً، بانتظار **سفكها دولياً** ونقل النصيحة لها بضرورة انتحارها بيدها، (تسليم سلاحها) او نحرها بأيد كثيرة.

ليس مطلوباً معاملة مستحيلة بالمثل، لطبقة سياسية متعالية عن المحاسبة.

بماذا تتهم المقاومة؟

بإسلاميتها؟ بشيعيتها؟

حسناً. فلنقارن الهيئات والمؤسسات اللبنانية، القائمة او الموروثة. ماذا يقال عن «قرنة شهوان» (حية ترزق)؟ ماذا تسمى خلية حمد (المرحومة غب الطلب)؟ ماذا يقال عن الاصطفاف اللبناني خلف رهط من سياسيين لم يحاسَبوا يوماً على ما ارتكبوه، وأعلنوا عنه، وتراشقوا به؟ **ثم، هل المقامات اللبنانية، مقامات علمانية؟** البديهي بين الطائفي والوطني! منطقياً، الواحدة تلغي الأخرى. ومع ذلك، يُجمع ما بين الاثنين، جمعاً تلقائياً، ويستقيم النظام اللبناني).

كان يمكن ان تكون الإسلامية نعتاً غير مناسب، لو ان لبنان قدم، عبر تجاربه وأحزابه ومجالسه المتعاقبة نموذجاً لاطائفياً، او نموذجاً مدنياً يحتذى. كان يمكن ان تلام مقاومة بتلوين ديني او مذهبي، لو أن الأحزاب اللاطائفية لم تتفيأ الخنادق الطائفية في الحرب، أو لم تشارك ظلها في زمن السلم. كأن الطائفية هي المركز «واللاطائفية»، تدور حولها اقتراباً، في عملية استفادة طردية، غير جذبية.

أما وأن الحالة اللبنانية تتمتع بحيوية طائفية، واقتسام طائفي، فإنه من الطبيعي، ان تُحتضن المقاومة من أبناء طائفتها أساساً، وبعض الطالقين من طوائفهم عرضاً. غير أن إسلامية المقاومة لم تلغ لبنانيتها، ميداناً وعملاً ونتائج. **ذلك ان التحرير، لم يكن لاقتسام السلطة، او لتقوية مواقع المقاومة في بنية الدولة. كان التحرير من أجل دحر الاحتلال واستعادة السيادة.**

لو كانت المقاومة شيوعية أو قومية أو... فهل تسقط عنها لبنانيتها؟ إذاً، فلنسقط عن «حماس» و«الجهاد الإسلامي» في فلسطين، الهوية الفلسطينية. نظرة دقيقة للحالة المقاومة في لبنان، انها تبنت هذا في الخصوصية اللبنانية، وهذا هو سر نجاحها. لم تنزع الى عالمية مجنونة وساقطة، او استبدادية تكفيرية قاتلة، او انقسام لمجتمع وسلطة. عاشت المقاومة في الدولة، الى جانب الدولة، ومع الدولة، وفي ظل الدولة، وأمام الدولة، وخلف الدولة. أقامت علاقة نموذجية بين نقيضين: الدولة ومنطقها، والمقاومة ومستلزماتها. وهذا ما أخفقت نظريات كثيرة في تطبيقه، عندما حاولت إيجاد المخرج النظري للعلاقة المحتكة بين الدولة والثورة في لبنان، كان التنظير لاحقاً على التجربة: تعايشت الدولة والمقاومة في انسجام وتناغم وحل الى حد التلاحم. **فلماذا نفرط بهذه التجربة الفريدة، بدلاً من الاستفادة في تعميمها؟**

الانتصار الناقص

لعل التهمة الحقيقية هي أن المقاومة بعد التحرير، وقد باتت أقوى، تفسح المجال أمام اختلال خطير في موازين القوى الداخلية، المرتبطة بموازين قوى خارجية مهيمنة.

حسناً أيضاً. فلنهتم ولنناقش كذلك.

لم يعرف العالم حركة مقاومة، فازت في ميدان التحرير، من دون ان تمد السجادة الحمراء لتصل الى تكوين سلطة، او لترث سلطة. إما لتقيم نظامها السياسي، او مكافأة لنضالها، او حراسة لمنجزاتها، او... لتنفيذ مشروعها السياسي بعد التحرير. وتنشيطاً للذاكرة، «الفييتكونغ» و«جبهة التحرير الجزائرية». «الساندينيون» في نيكاراغوا، أنجزوا انتصاراً وأقاموا سلطة. **وحدها هذه المقاومة، انصرفت الى مهمة التحرير أولاً وعاشراً.** ولما وصلت الى غايتها، أو أقل قليلاً، في ٢٥ أيار عام الفين، بشهدائها ومجاهديها وجرحاها وأبطالها وصبرها وجهدها، وعرقها ودمها، عادت الى مواقعها

السابقة على التحرير. **لم تطلب سلطة. لم تسرق موقعاً. لم تتسلط على صندوق، لم تطلب مغانم... لم تسع الى تعديل موازين القوى. فتحت انتصارها لمن يريد أن ينتسب إليه من دون ان يدفع ثمناً، فلساً أو نقطة حبر.**
لماذا لم تتسلم زمام السلطة، وتشارك فيها أسوة بغيرها من المقاومات التي اعتلت السلطة وأفسدتها؟
الجواب متعدد. ربما يكون من الأفضل وصف الوقائع، وليس تفسير النوايا. هذه المقاومة لم تكن مشروع سلطة، بل مشروع تحرير. كأن منطقها كان يقول: «تعالوا نحرر الارض أولاً.. ولنختلف في ما بعد على كل شيء». فالحرية شرط للحوار وتنظيم الخلاف.
هل هذا مقنع؟ اذا لم يكن كذلك، قولوا بصوت مرتفع، أين اختل التوازن الطائفي؟ هل التوازن يقضي بأن التحرير في لبنان تحريران: واحد من اسرائيل، تقوم به المقاومة، وآخر من سوريا، تقوم به قوى متجذرة في الاعتراض على المقاومة ومن يدعمها.
هل هنا بيت القصيد. فالاختلال ليس إلا باباً للعبور الى كتابة تاريخين، تاريخ مقاومة اسرائيل، وتاريخ مقاومة سوريا. تاريخ يلغي تاريخاً.

علاقة استقواء ضد العدو فقط

تسهل الاتهامات بالجملة، على علاقة سوريا بلبنان، أو، تحديداً، على علاقة سوريا ببعض من اختارتهم، وقلما اختاروها عن قناعة، من الطبقة السياسية.
هل تندرج المقاومة في صياغة هذه التهمة؟
قليلاً من التأمل والوضوح. علاقة سوريا بالمقاومة، كانت العلاقة المميزة اللائقة، على مستوى الأغراض والأهداف والاحتضان والوفاء. **لم نر المقاومة تزحف الى سوريا طلباً لمنصب او مغنم او... كانت في طريقها الى التحرير، بحاجة الى حماية فوجدتها، وكانت بحاجة الى تنسيق فوجدته، والى دعم فرحبت به، والى تحمل مسؤولية مشتركة، فثابرت عليه. نموذج من العلاقات بين دولة ومقاومة.** لا جوائز ترضية، انتخابية أو اقتصادية أو مالية. دعم للمزيد من الكفاح والنضال بهدف التحرير ودحر الاحتلال.
لم نسمع أبداً أن صفقة أبرمت بين سوريا والمقاومة حول شأن لبناني كان من اختصاص الطبقة السياسية. بل، ربما يعرف الكثيرون انها كانت تضحي بقوتها، كي تستقيم العلاقات السلمية، بين أبناء الطائفة واللبنانيين.
الشكوى المرتفعة لم تكن على مستوى هذه العلاقة النموذج بين سوريا والمقاومة، بل هي على المستوى المتدني من العلاقات الأمنية السياسية الاقتصادية، كأسلوب منافع متبادلة، بين طرفين مستفيدين من حالة الفساد والتسيب.
هل كانت المقاومة منزهة عن هذه المنزلة الوضيعة؟
الأكثرية تظن ذلك، وأحياناً تجزم، ومن له شبهة عليها، فليعلنها. كانت سوريا نصيراً للمقاومة، وكانت المقاومة عمقاً لسوريا، من حيث القوة الضرورية، للوقوف في وجه الضغوطات الكثيرة على سوريا، ما عبر عنه بتلازم المسارين والهدفين.
تنشيطاً للذاكرة: اتفاق نيسان، التوازن مع العدو، صاغته دمشق بصبر وأناة وعناد، مترافق مع صمود بطولي في لبنان.
وهناك من يصرخ: «لماذا وحدنا؟». من حقهم ان يرفعوا الصوت عالياً. الخرس العربي قاتل. العجز العربي مُضنٍ. الكسل العربي ممل... لماذا على لبنان أن يضج بمقاومته؟ هذا جدل، كان يصلح قبل التحرير. اما وقد انجز التحرير، باستثناء مزارع شبعا (المحرومة من انتماء لبناني ناصع)، فبات هذا الجدل بيزنطياً. جدوى المقاومة أنها حررت جنوب لبنان، وكان لها من الحكمة، ان اعترفت بوقائع السياسة الدولية، غير القابلة للاختراق، فوقفت عند خطوط الهدنة، لكنها، أسست لحالة نهوض فلسطينية، اشتعلت في انتفاضة الأقصى، وأرهصت في حجر أصاب رأس رئيس حكومة فرنسا آنذاك ليونيل جوسبان، الذي اختار منبر الجامعة في بير زيت، ليتهم المقاومة الإسلامية بالإرهاب.

استحق العقوبة. كان ذلك درساً.
ان اختلال التوازن في لبنان، حصل بعد الحرب، وفي اتفاق الطائف، وفي طبقة سياسية تعمدت اختيار ما يناسبها من هذا الاتفاق. المقاومة نأت بنفسها عن ذلك. تحدت الابتعاد عن هذه المهمة. كانت مشغولة بتأمين سلامة الطريق الى قضيتها: التحرير، والتي تطورت بشكل طبيعي بعد ذلك، الى تحصين قوتها للدفاع عن لبنان، إزاء اي عدوان قد تقوم به إسرائيل.
هناك اختلال في لبنان، بسبب ما أفرزته الحرب من التعديلات الدستورية، وانتزاع العروبة نصاً، مقابل نهائية الكيان، ومن ثم الانقضاض على الطائف من كل الأطراف تقريباً، من المدافعين عنه، أكثر من الرافضين له، سياسياً أو باطنياً أو علنياً.

مقاومة تهدد لبنان

بماذا يمكن أن تتهم المقاومة أيضاً؟
الأخطر أنها متهمة بتعريض سلامة وأمن لبنان للخطر مستقبلاً. لأن هناك حملة دولية ضد الإرهاب، و«حزب الله» و«المقاومة الإسلامية» مرشحان لاحتلال اللائحة الدولية، بعد تبوئهما مراكز هامة في الأجندة الاميركية.
لهذا السبب، وصداً لكل محاولة أميركية غير مرتدة، عن لبنان وسوريا، وإراحة لبنان من معركة غير متكافئة، فإنه من الحكمة كما يرى بعض المعترضين على سلاح المقاومة، دولياً وعربياً ولبنانياً، أن تتخلى المقاومة عن سلاحها، خصوصاً أنها أنهت مهمة تحرير لبنان، وأفرجت عن معظم السجناء اللبنانيين، مقابل ان تتولى الأسرة الدولية بت مصير مزارع شبعا، بعد لبننتها على أيدي السوريين المتمنعين حتى اللحظة، عن تقديم أوراق عمادة لبنانية لهذه الاراضي. فالمشكلة في مزارع شبعا أنها رهينة الرغبة السورية بالاستغماء.
فماذا ستربح المقاومة اذا استجلبت بمواقفها المتعنتة الويل الأميركي الى لبنان. فالرهان على حكمة المقاومة، وعلى تعقلها، كي لا يفقد لبنان توازنه الداخلي. و«المعارضة» حالياً، كفيلة بحماية المقاومة، بعد انخراطها السياسي في مشروع الدولة المسالمة، بلا اتفاقية سلام.

نفاق على المقاومة

هذا منطق يلبس ثياب الحكمة، والواقعية، ولكنه منطق مراء جداً.
أولاً: هذه المطالب ارتفعت قبل التحرير، من قبل بعض المعارضة (آنذاك)، خصوصاً أنها كانت ترى أن خطر المقاومة على لبنان أكبر من خطر الاحتلال الإسرائيلي. فالثمن الذي يدفعه لبنان من كل اعتداء على بناه التحتية أكبر بكثير مما تخسره إسرائيل في جنوب لبنان. كانت المعادلة كمية. ما جدوى المقاومة؟ هكذا قيل، وارتفعت مطالب لبنانية متناغمة مع مطالب أميركية وإسرائيلية، قيلت علناً، ومورس ضغط من أجل تنفيذها، تطالب بنزع سلاح المقاومة، وإرسال الجيش الى الجنوب، واستعادة السيادة من المقاومة.
تنشيطاً للذاكرة: راقبوا تصريحات المعارضين اليوم. وتصريحات وخطب بعض المستجدّين في المعارضة: المضمون: انتهى الاحتلال، فلماذا تبقى المقاومة؟
ثانياً: لا يعوز العقل، لدى المعترض أساساً على وجود المقاومة، من إيجاد المقدمات لذلك. فإذا كانت النتيجة المطلوبة نزع سلاح المقاومة، فهاكم المقومات لذلك: ما جدوى السلاح غير التكافئ؟ لبنان يدفع ثمناً غالياً فوق طاقته. لبنان يتحمل عبئاً عربياً تخلى عنه العروبيون. التحرير أنجز فلم السلاح. الهجمة كبيرة فالمطلوب النجاة. **كل المقدمات تصلح لنتيجة وحيدة: نزع سلاح المقاومة.**
الغيرة والحكمة المتفشية حالياً، لحماية المقاومة تدفعها الى القبول بوليمة السلطة اللبنانية. ولكن، للذاكرة، عندما

تدخلت المقاومة، عبر «حزب اللـه»، في مسألة مطلبية، او في جسر المطار، ألم تخرج الألسنة لتطالب المقاومة بالانصراف الى المقاومة، بدلاً من الدخول في الزواريب السياسية اللبنانية؟.

في المقاومة، يريدونها سياسية فقط.

في السياسة، يريدونها مقاومة، منزهة عن السياسة.

أليس في ذلك تهافت؟

كأن المطلوب ان تخرج المقاومة من المقاومة والسياسة معاً.

ثالثاً: إن المضحك، وفق ما يقوله يساري سابق ولاحق، ان الذين يدعون تأمين الحماية للمقاومة بعد نزع سلاحها، لا سلاح عندهم ليقوموا بذلك. مثلاً، مَن من الموالاة أو من عتاة المعارضة سيحمي المقاومة؟ هل من يتبوأ ألفي صوت او عشرة آلاف صوت (مع التجيير)، يستطيع ان يؤمن الحماية، على فرض انه يريد ذلك؟

المقاومة تحمي نفسها بنفسها، وبالتفاف فئات شعبية، مع أغلبية طائفية، حولها. الآخرون بحاجة الى حمايتها.

ولكن هذا الرأي يمكن دحضه، والاتهام يمكن إثبات عكسه، ذلك أن عدداً كبيراً من المعارضة يستطيع مثلاً الدفاع عن المقاومة ولا يفعل ذلك. إن تأييد القرار ١٥٥٩ والركوب في قاطرته، يفضيان في النهاية الى انتزاع سلاح المقاومة. لم تسمع المقاومة أحداً من أصحاب الباع الطويل في العلاقات الدولية والتأثير الدولي دفاعاً عنها. لم يفت أحد برفض إدراج المقاومة بنداً غير متفق عليه.

بصريح العبارة، هناك ظن وتخمين، بأن بعض المعارضة، لم يهدف الى هذا القصد، اي إخراج المقاومة قبل سوريا، من الحياة السياسية اللبنانية. ورسائل التطمين الحالية، هي لتحييد قوة المقاومة، انتخابياً، لانتهاز أصواتها في بعض المعاقل، او، ليؤكل الثور الابيض بعد الأسود.

لم يدافع أحد عن المقاومة في المحافل الدولية.

جل ما قيل: نحن نعترف بالمقاومة... ولكن العالم لا يعترف بها. ونحن مع العالم وليس مع أنفسنا.

هذا احتضان قبل الطعن.

نعم. تعالوا نحاسب المقاومة... لا تهددوها بالويل الأميركي. هذا ابتزاز. إن الذين يفعلون ذلك يتهمون الموالاة بأنها تهددهم بالقبضة السورية وسلاح الفتنة. الفريقان متساويان ومتعادلان في منطقهما التهويلي.

فلا أميركا تجازف في المدى المنظور بحرب تؤذي إسرائيل كثيراً. ولا سوريا تتبرع بهجوم، فيما هي تعد العدة للانسحاب التدريجي السريع للخروج من مسلسل الاخطاء المتراكمة.

ما العمل؟

فليقاتل كل طرف بغير المقاومة. فليمارس المغامرون، حروبهم الصغيرة الانتخابية، من دون استدراج عروض نصرة من الأعداء والأصدقاء...